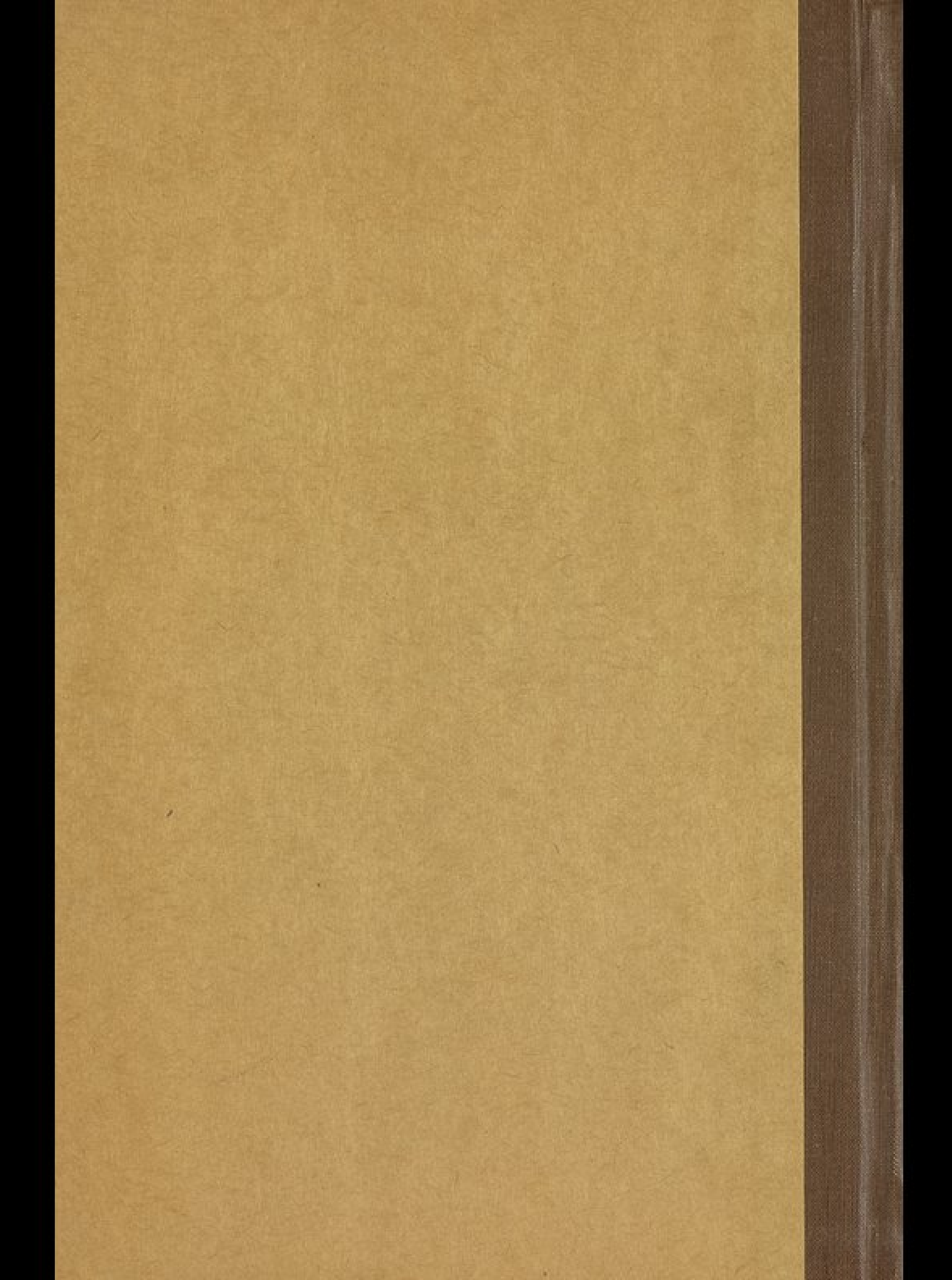
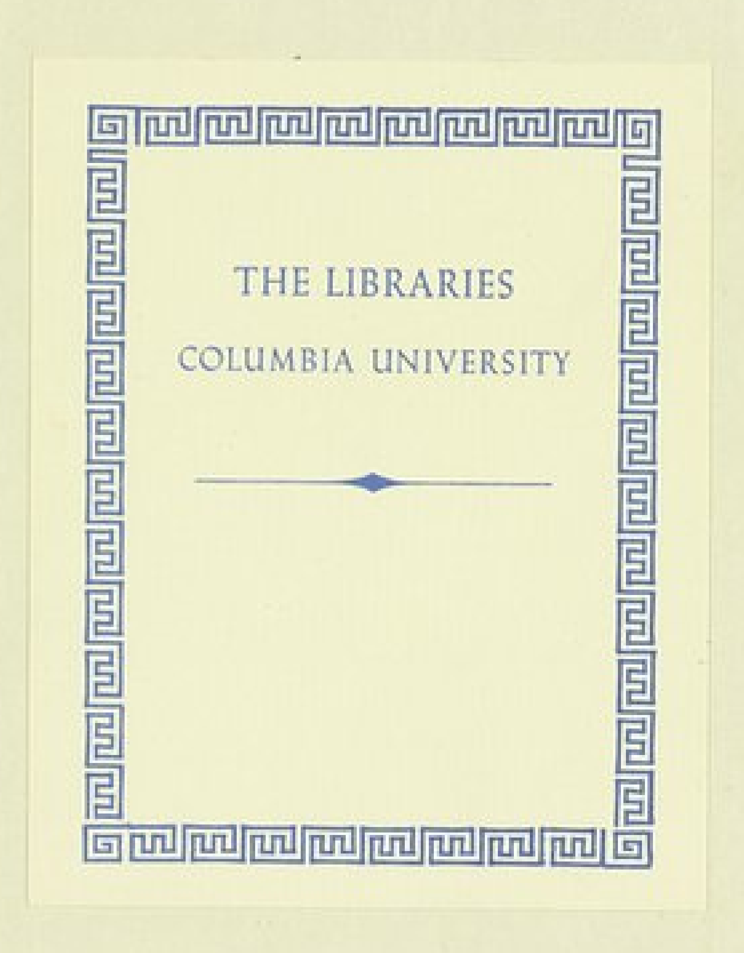
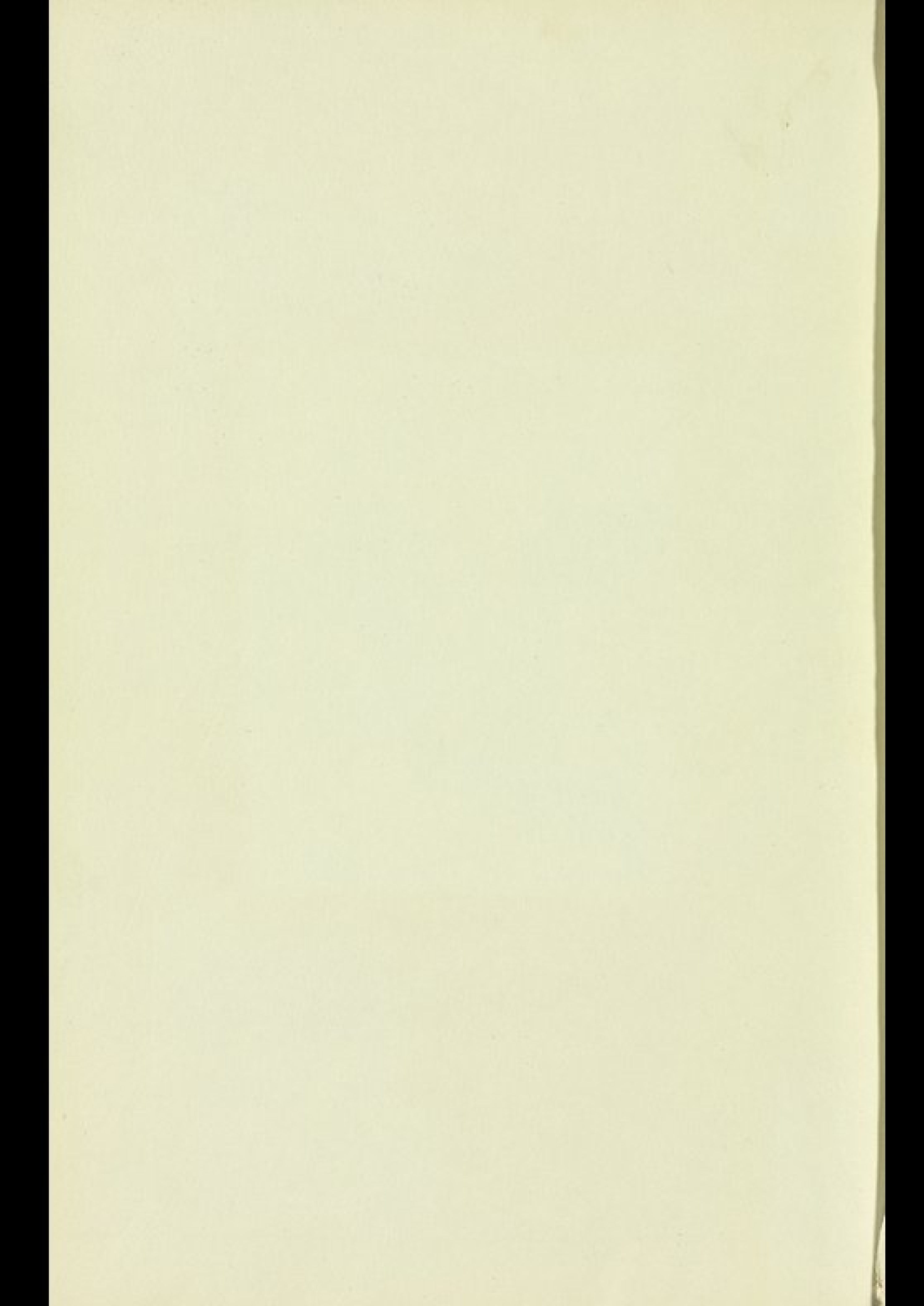
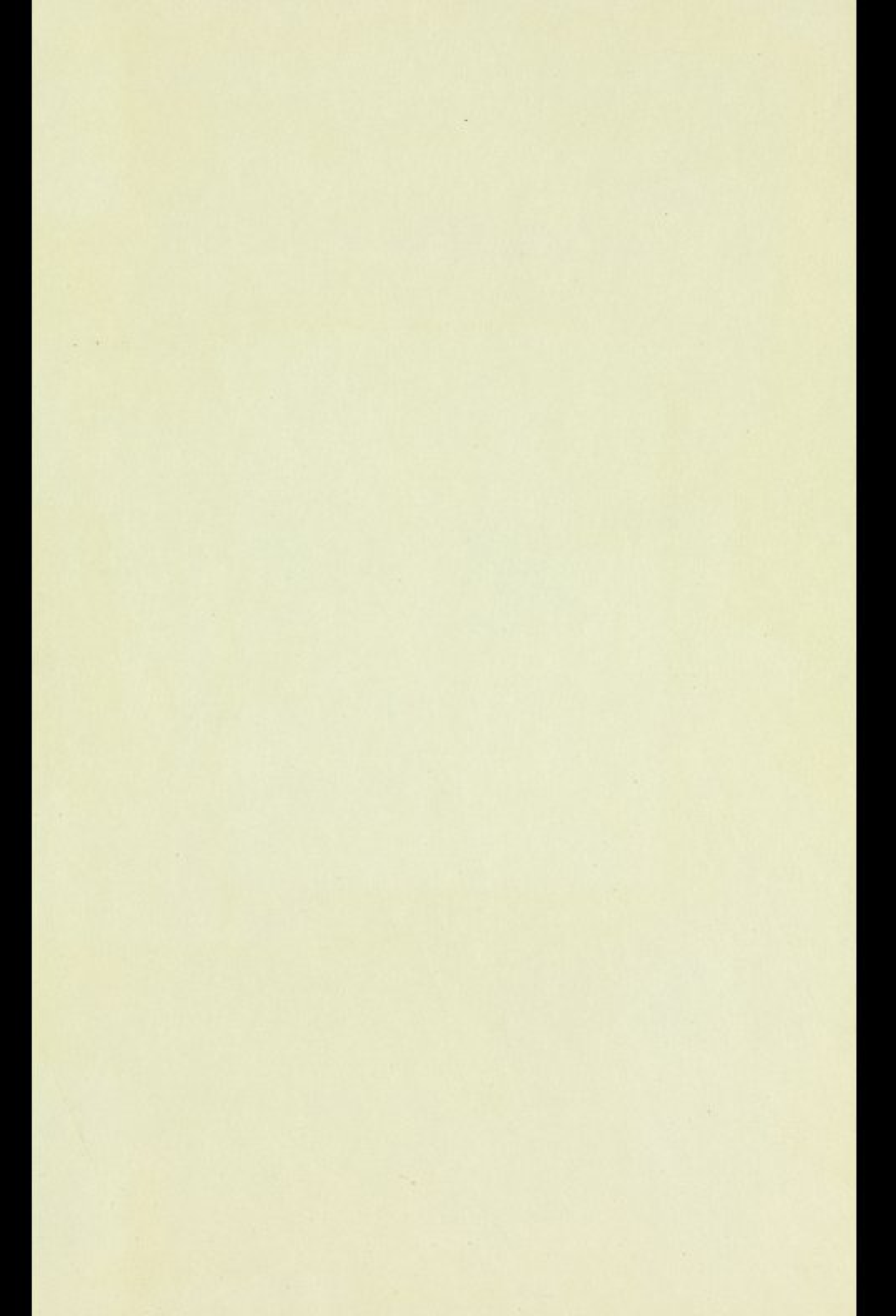



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY





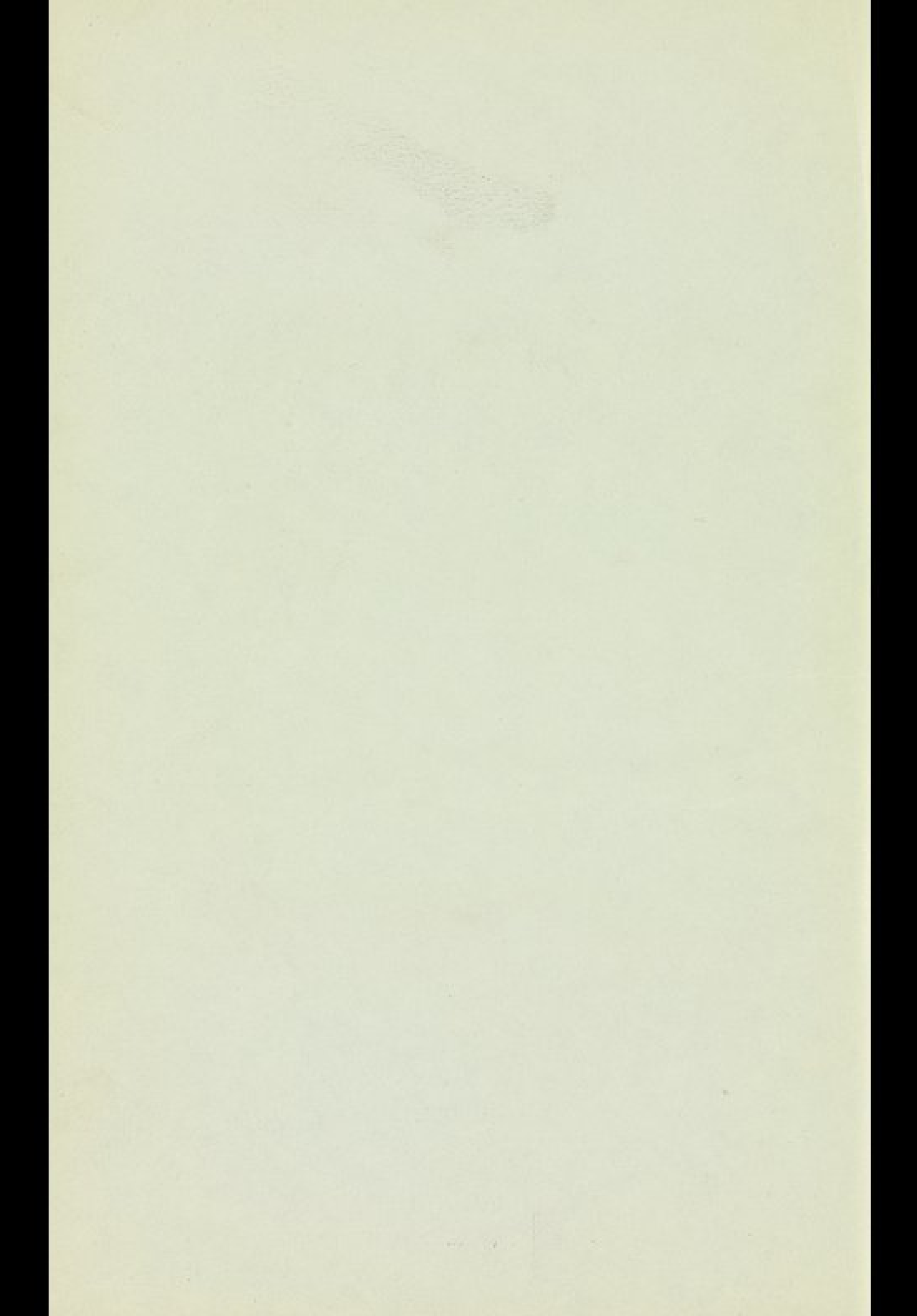
وزارة الثقافة والارشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة

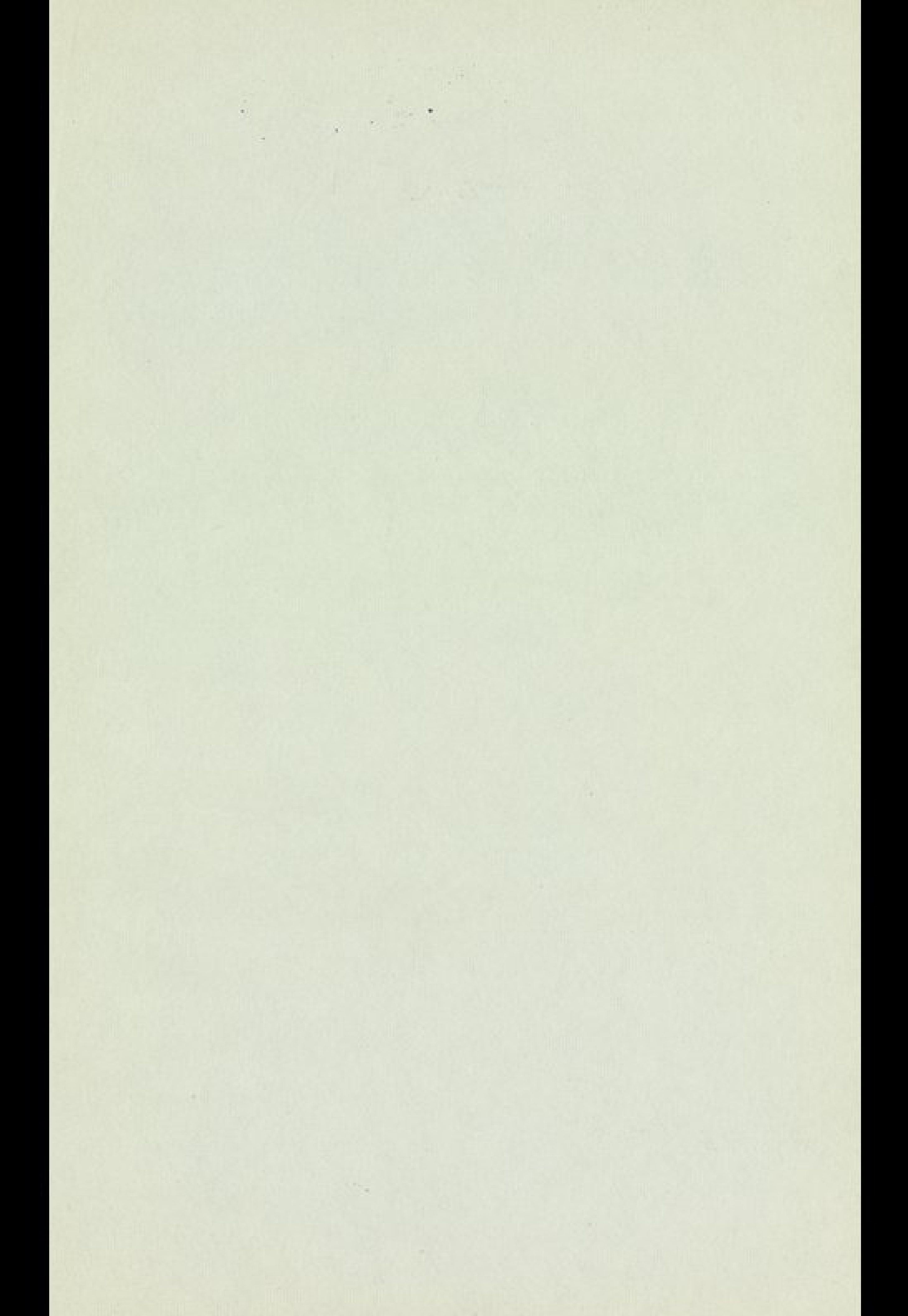
انطباعات مغترب في سورية

تأليف
عبد المسيح حداد

دمشق ١٩٦٢









وزارة الثقافة والارشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

انطباعات مغترب

في سورية

تأليف

عبد المسيح حدّاد

دمشق

١٩٦٢

مقدمة

عندما سأل أحد الصحفيين العرب الاستاذ عبد المسيح حداد عن شعوره اثر عودته لوطنه العربي الاول صيف السنة الماضية بعد غياب خمسين سنة اجاب : « انه شعور من استطاع استنزال كوكب من السماء الى جيبه » وهذه العبارة البليغة تلخص في رأيي أروع تلخيص فصول هذا الكتاب القيم وما انطوى عليه من مشاعر نبيلة لمغترب وكاتب كبير وانطباعاته وتأثراته ببلاده .

واستنزال كوكب من السماء الى قبضة اليد صورة شعرية ملهمة نادرة تعكس حسا مرهفا مثقلا بأسرار النفس والروح وروعة الحياة والوجود . وواقع الامر أنك حين تقرأ هذا الكتاب فكأنك تقرأ قصيدة طويلة تخترق مع صاحبها حجب الزمان والمكان فتعود القهقرى الى الوراء خمسين عاما أو يزيد ، حين اغترب أديبنا الكبير عن وطنه سوريا العربية ، وهو فتى في مطلع الحياة ، وفي وقت كانت فيه

البلاد رازحة تحت نير الحكم العثماني ، وكابوس الجهل والمرض والطائفية والفقر . وعاد اليها الصيف الماضي فاذا به يرى بلاده دنيا جديدة : جديدة بمدنها وابنيتها وشوارعها ومدارسها وجامعاتها ، جديدة بعزيمتها وشبابها وروحها المتدفقة الساعية الى تثبيت دعائم الحضارة الثلاث الحق والخير والجمال . مدفوعة ومندفعة بروح عربية قومية صادقة تسعى لان تعيد الى العالم الجديد صور الماضي العربي المجيد ومآثره وأمجاده . ولان تفرض احترام العرب على العالم اليوم كما فرضته في الماضي بما ساهمت من مآثر حضارية وعلمية تخدم الروح وتوسع آفاق الفرد وتسعى الى رفعة الانسان العربي الجديد وتحقيق وجود أملأ وحياة أفضل . ويشع في الكتاب بكامله شعور غبطة فائقة اذ يجد الكاتب بلاده حرة بعد أن كانت مستعبدة . وسيدة نفسها بعد أن كانت مكبلة بالقيود . ومستيقظة متحركة بعد أن كانت نائمة راكدة . يذكر الماضي كما عرفه قاتما مظلما ، ثم يرى الحاضر كما شاهده فيجده نيرا مشعا . ويبدو وكأنما هو في حلم جميل يحرص أن ينقل تفاصيله . والكتاب من هذه الناحية ــ أي من ناحية تصوير انطباعات مفكر عربي يشاهد بلاده بعد غياب نصف قرن من أروع ما في الادب العربي في المهجر كأثر بليغ يربط الحاضر بالماضي من جهة ويكون صلة وصل روحية بين الحاضر والمستقبل . انه اختراق الزمان الى الوراء وانطلاقة بديعة الى المستقبل .

ان من يدرس دقائق الهجرة العربية الى العالم الجديد شماله وجنوبه واحوال المغتربين ليأخذه العجب من المآثر الكثيرة التي حققتها الجاليات العربية في المهجر من اقتصادية واجتماعية وادبية . ولا ريب في أن طليعة هذه المآثر الحركة الادبية التي بلغت أوجها في الرابطة القلمية في نيويورك والتي عرفت بين قادتها مؤلف هذا الكتاب الاستاذ

عبد المسيح حداد وجبران والريحاني ونعيمة وأبو ماضي وعريضة وندرة حداد وغيرهم . ولا نبالغ ان قلنا ان هذه المدرسة الادبية العربيـة في المهجر تكون ظاهرة فذة فريدة لا في النهضة الادبية العربية الحديثة فحسب بل وفي تاريخ الاداب العالمية اطلاقا . ذلك اننا نجد هنا وهناك اديبا يرتحل لبلد ويعيش وينتج فيه . اما ان نجد مدرسة ادبية بكاملها تنشأ في تربة أجنبية وفي بيئة غير بيئتها ويكتب قادتها بلغتهم الاصلية فينشؤون مدرسة جديدة مجددة بروحها واسلوبها وتؤثر في ادب البلاد الام فهذه الظاهرة لم توجد الا في الادب العربي في المهجر . ان جاهلا فقط ينكر ما كان لهؤلاء الادباء من أثر عميق بليغ في تطور الاساليـب العربية الحديثة او ينكر اصالتها العربية . وان دل ذلك على شيء فانما يدل دلالة قاطعة على عمق الروح العربية في المغتربين اجمالا وفي قادتهم المفكرين خاصة وتمسكهم ببلادهم وتعظيمهم لتراثها واملهم بمستقبـل مشع لها . انها برمتها ظفر الروح المتوثبة وانطلاقها من قيود الزمـان والمكان لتدرك ببصيرتها ما وراء الزمان والمكان وما تحبل به الاحداث وما تتمخض عنه . فادباء المهجر والاستاذ عبد المسيح حداد من أكبرهم وبين أول قادتهم كانوا بين الاوائل الذين رأوا الرؤيا : رؤيا عالم عربي موحد متوثب متغلب على ضعفه . انها رؤيا انبعثت من آلامهم الصارمة وآمالهم الحرة وسجلت بادبها نثرا وشعرا دستور الفئة العربية الواعية للمستقبل العربي . « وانطباعات مغترب » حلقة أخيرة في هذا السجل المجيـد الخالـد .

ولئن كان يحز في نفس كل أديب عربي أن تنطفىء هذه الشعلـة المقدسـة المباركة التي كانت الرابطة القلمية منبرها للعالم وان يطوي الابد بين طياته زفرات جبران ونعيمة وحداد وعريضة فمن نعم الحيـاة الادبية العربية ان يضع اليوم الاستاذ عبد المسيح حداد ــ الذي سجل

في ما مضى على صفحات جريدته ـ السائح ـ توثب الروح العربية وشوقها وحيرتها وألمها ورجاءها ، والذي شارك في كل أزمة من أزماتها والذي خلد في كتابه « اقاصيص المهجر » تفاعل المغتربين مع البيئة الاميركية الجديدة ـ اقول من نعم الادب والفكر أن يطلع علينا اليوم بكتابه الجديد « انطباعات مغترب » فكأنه الجذوة الاخيرة لشعلة ملتهبة لئن خف ضياؤها لكن ومضات نورها لا يمكن أن تغيب . وهل اقدس من الكلمة سجلا خالدا لتوثب الروح .

★ ★ ★

لقد اتاحت لي الظروف بحكم عملي أن اعيش بضع سنوات في المهجر وان أعرف عن كثب حياة الكثيرين من المغتربين وان ألمس عن قرب بين الفئة الواعية منهم حبهم لبلادهم وتعلقهم بها وحنينهم لها وغيرتهم على مصالحها . ولكم تكتحل عيون الكثيرين منهم بالنور عندما تذكر بلادهم لهم ولكم تطفح قلوب الكثيرين منهم بالشوق عندما يسمعون عن جهاد بلادهم وكفاح قادتها في سبيل انطلاق الشعب العربي من أغلال التقاليد وتحريره وتوحيده . وقديما قال الشاعر :

لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

واتاحت لي هذه السنوات أن أتعرف الى الاستاذ عبد المسيح حداد وان تجمعني اليه صداقة فكرية وقرابة روحية عميقة . فعرفت فيه صفاء الروح كأكثر ما يكون الصفاء ، وتوقد العروبة الحية كأكثر ما يكون التوقد ، والايمان بمستقبل امته كأقوى ما يكون الايمان . كل ما ذكرت ، كل هذا الصفاء وذاك التوقد ، الذي لا أظن أني وفيته حقه في ما قلت ، ينعكس في أبعاد وسيعة وتصوير ممتع في كل صفحة من صفحات « انطباعات مغترب » وكل فصل من فصوله . انه حديث من وحي المحبة ، محبة الاديب المغترب لبلاده ووطنه ، وجولة روحية في

احداث الزمان وتطوراته ، تعكس فهما عميقا لمشاكل البلاد وقضاياها وعوامل التقدم والتطور فيها وعللها وادوائها . وللروح حديث يبتدىء ولا ينتهي . وما تحسبه أو تظنه نهاية فهو ليس الا أول البداية .

جورج طعمة

كلمة المؤلف

قيمة الكتابة ولا سيما عن الرحلات هي في استطلاع وجوه المستقبل من وجه الحاضر .

اذن فوضع كتاب مهما يكن موضوعه ، لا يكون ذا فائدة ان لم تكن له هذه القيمة التي تصل الحاضر بالمستقبل وتضع نور الاختبار والاستنتاج والتحليل على الاشياء المجهولة او الغامضة لفائدة القراء التائقين الى ادراك المصائر من حساب الدهر بوقوفهم على الادلة الثابتة في توجيه حاضر حالهم أو من التكهن الذي له عادة أكثر من وجه .

لذلك أراني أمام أمر هام ، وهام جدا ، في عزمي على وضع كتاب عن رحلةقمت بها في صيف ١٩٦٠ الى الوطن بدعوة من وزارة الثقافة والارشاد القومي وأنا حيال عزمي هذا أكون رهن بصري وسمعي وضميري وقلمي الذي لا يسطر الا حرا جريئا في قول الحق

وفي ابداء الرأي بعد درس وتبصر شاملين •

ولقد جاءت رحلتي الى الوطن الاول بعد اغتراب طال ثلاثا وخمسين سنة وكنت هجرته وأنا في مطلع الشباب ولما عدت اليه كنت محاطا بأصفاد الشيخوخة الا انه لم يكن طول اغترابي الا ساكنا في وجداني محتلا آفاق خيالي وملازما جناني وقد حملني هذا كله على أن أخدمه وأنا مغترب عنه بقلمي فأنشأت في نيويورك جريدة « السائح » لتكون عدتي في الوفاء بعهد وطني الاول وكنت حينذاك في مطلع السنة الثانية والعشرين من العمر وظللت على اصدارها حتى بلغت عتبة الشيخوخة لا يحلو لي من الاعمال العالمية غير الانشاء وغير العمل في سبيل تحرير وطني الاول واستقلاله من أي نير خارجي أجنبي أو داخلي أناني •

وأقول « وطني الاول » لانني تعلقت معه بوطني الثاني وما هذا الوفاء مني بعهد الاول الا ما يجيزه لي الدستور الدمقراطي الذي لوطني الثاني الاميركي فهو الذي سمعته من فم القاضي الذي تكلم في جمهور امثالي عند تسلمنا ورقة الجنسية الاميركية اذ قال :

« ان من لا يتعهد وطنه الاول بحبه وغيرته وميله الى عضده لا يمكن أن نثق بحبه وطنه الثاني وغيرته عليه وميله الى عضده فهو قد تألف من امثالكم المهاجرين اليه من شتى بلدان العالم فكونوا بعد انخراطكم في جنسية هذا الوطن الثاني أوفياء مخلصين بعهد اوطانكم الاولى » •

وقبل أن أرسم خطوط الرحلة في وطني سورية وتدوين ما ابصرت فيه عيناي من تغييرات زمنية وسياسية ارغب في نشر بعض ما نشره قلمي في بعض الصحف السورية خاصة عن عواطف الوطنية التي صحبتني طوال حياتي فأبدأ بمقال لي نشرته جريدة « الايام » الدمشقية لصاحبها الاستاذ نصوح بابيل عميد النقابة الصحافية وهو ما يلي :

وطني الحبيب مهد صباي الغالي

قال قلم الجريدة في مطلع المقال هذه التقدمة :

الاستاذ عبد المسيح حداد صاحب السائح ، الشاعر الناثر ، وبقية الرابطة القلمية في نيويورك ضيف دمشق بعد اغترابه الطويل ، سجل عواطفه ، عند وصوله الى الوطن بعد ثلاثة وخمسين عاما من الاغتراب ، في هذا المقال الممتع ، ننشره مثنين على جهاده في سبيل العروبة وفي سبيل لغة العرب) •

قال أبو جرير :

« خلته لا يعرفني بعد دهر طويل من تغربي عنه • فاذا بي أرى نفسي على مرآة روحه الزكية ، فاهتز طربا ونشوة وأقول ــ هذا هو وطني وانا ابنه على أرضه الان ، والله ما اطيب ترابه !

اما انا فلم أنسه ولن انساه ، فقد حملت صورته بين أضالعي اطلع عليها كل يوم ــ كل ساعة ــ فتلذ لي ذكراه • ثم تنفتح شفتاي عن ألف آه وآه ••••

يا وطني الحبيب ــ يا سورية أم الامم ــ ها أنا ابنك المغترب قد عاد اليك وجلا حائرا في ذاته فهل تعرفينني بعد ثلاث وخمسين سنة ؟

اوه ما اصعب الاغتراب عن الام الحبيبة ! ولكن لله ما أحلى العودة الى احضانها ، وقد شاخ الابن مثقلا بهموم الشواغل ، وفي نفسه ما يزال أمله باجتماع الشمل !•

وانا ان اخترت وصفا لعاطفتي نحوك يا سوريا ــ يا أمي الحبيبة ــ يا غادة احلام الصبا وعروس الشباب وقبلة العين والقلب ــ لا أجد في حافظتي ما ينطبق عليها غير بيت من قصيدة عاطفية نظمها أخي الحبيب المغفور له ندرة وهو :

لا زار جفني الكرى لاهزّني الطربُ　　ان كنت يوما لغير العرب انتسبُ

كثيرا ما حاول اصدقائي في نيويورك اقناعي للقيام بزيارة الوطن القديم فكنت أتردد عند الافتكار بأني اصبحت في دنيا ذلك الوطن نسيا منسيا • وكثيرا ما كنت اذكر في مجال ذلك افراد الاهل وأوضاع الزمان والمكان مما لم يفارق حافظتي فأقول في نفسي :

« ما لي ولزيارة سورية بعد طول اغترابي – لم يعد لي فيها من اذكرهم – لا أبوان ، لا اخوان ، لا اتراب ، لا اصحاب – الدار مهجورة ، وتوتتها الكبيرة الوارفة الاظلال ، والزيزفونة ذات الازهار المعطار ، والدالية الحانية بعناقيد الحصرم والعنب – كلها ذهبت في طيات العدم ، فمالي وللرجوع ؟ » •

لكنني رجعت ، وها أنا اجدني عارم الصدر فرحا بما رأيت ومترنحا بما سمعت وبما وعيت • هذا وطني الفقير قديما أصبح غنيا باصلاحاته ، متطلعا الى المستقبل بازدياد عمرانه ، وبالاكثر بحرصه على الخلق العربي الكريم الفريد – ذلك الخلق الرضي المتمعك بالطيب منذ أن عرف الانسان انسانيته – الحب في صميمه وقلوب أبنائه ، والضيافة، التي لا تدانيها مداهنة ، والاخاء الصحيح الذي يجمع المقيم بالمغترب مهما تباعدت الاوطان وآفاق الهجرة •

عليك السلام يا وطني الحبيب ، واليك بواسطتي السلام المبارك الوافر طيبه من جميع الذين انجبتهم وودعتهم بطرف باك • هم حملوني اليك هذا السلام مما تحت شغاف قلوبهم •

وأنا بعد هذه الرحلة سأعود لاخبر الجاليات السورية بأن أمهم سورية لا تزال أمهم الحنون • وأن اخوانهم بنيها المقيمين هم اخوانهم الذين لا يحول لهم لون اخاء ، ولا يتغير له وضع ولا شكل ، على الرغم من كل تغير زمان وتوارد نواشيء تتلاحق وأزمات تتعاقب •

سأعود بعد الجولة لهذه الرحلة لاخبر عن اختبار ، انكم أيها

المغتربون اخواني الاعزاء ، مثلي تذكركم أمكم سوريا ، وسأتحدث عنكم لها في مقال آخر أو أكثر عن ثبات عواطفكم نحوها وعن افرادكم المجاهدين في تاريخ اغترابكم ، وعن أولئك النفر الخالدين بآثارهم الادبية الذين بدأ أدبهم على أساس تعلقهم باللغة العربية ـ لغة آبائهم وأجدادهم وميلهم الى تعزيزها تحت كل سماء .

أما أنتم يا زعماء سوريا فما لي الا أن أضرع اليه تعالى أن يحفظكم لهذا الوطن الذي سعد بخدماتكم واصلاحاتكم . سلمت أيديكم يا أرباب الوفاء بعهد سوريا العربية الفخور بفنونكم وأعمالكم في سبيل رقيها ورفع اسمها عاليا بين جميع الامم » .

ونشرت جريدة « النصر » الدمشقية مقالا لي اقترحه عليّ مراسلها في حمص وهو ما يلي :

وطني الحبيب

بعد اغتراب طويل عنه في المهجر

شاهدت منزلي بعد فراق طال ثلاثا وخمسين سنة ، فرأيته أولا غريبا ثم وجدته قريبا ، اتلمس فيه روح الوطن الذي منه هاجرت ، ولكنه لم يفارق نفسي كيفما اتجهت وسرت ، وقد تزاحمت ذكرياته بين الضلوع ، ولا سيما منها ما يكون عن حوادث جسيمة ، وتقلبات عظيمة طرأت عليه ، فتمثلت فيها ادوارا كنت عندها افرح للمفرح واحزن للمحزن منها، كأني حامل جميع وطني في نفسي المحدودة الصغيرة ، وكأن الوطن نفسه كان لي الزم من خيالي في جميع ضروب تغربي وترحالي .

انا الآن في هذا الوطن الذي لم يغب عن فكري وضميري طوال غربة عديدة السنوات ، وقد شاهدت فيه تجديدا وتجويدا آخذين بتطويره ورفع مستواه أكثر مما كنت أتصور وأحسب فيما كنت بعيدا عنه .

ولدت تحت سماء سورية ، وعلى أرضها شببت ، وواسفي لاني في

سواها شبت فلم يكن لي حظ الجهاد مع أبنائها في تطورها المتسارع ، الا بالقلم والا بالتحرق والالم .

وسورية وطني العزيز في التاريخ أقدم بلدا عمرا ، وأكثر بلدان العالم تجارب ومصائب . الا أنها أثبت ، مما ذكره التاريخ عن سواها ، على وطنيتها ، ومن أرضها وروح عمرانها بدأ ما ندعوه تمدنا عالميا على الرغم مما فوجئت به من غزوات ، وما منيت به من فتوحات وانقلابات كانت جميعها غذاء للحياة فكانت تبقى حائزة فتحا بعد فتح ، وانقلابا بعد انقلاب ، على اعجاب التاريخ وكتابه وقرائه بقوة حياتها .

وهي كما أراها اليوم تلفظ عنها الاطمار ، وتمزق أغلال الاسار ، وتفتح العيون والاجفان ، لتأخذ شأنها بين أمم العالم شابة مهابة ، وناشطة وثابة لا كما زعم الاعداء عنها انها قد شاخت وهرمت .. بل كما هي اليوم كما تراها عين مغترب مثلي . عروسا وضاحة المحيا . جذابة خلابة تجر اذيالها هازئة بوحوش الاستعمار . ساخرة بقواهم المخذولة بضعفها . تستدعي اعجاب ارباب البصائر والابصار بمقدرتها على أن تولد من جديد بعد انطوائها حينا بعد حين تحت اثقال المعتدين ومظالم الفاتحين .

هذه هي سورية التي كانت مطمع الساميين والاوروبيين والفرس والاتراك استعمرها الانتداب الفرنسي أخيرا فدفعته بعزمها وقوة روحها الى الفاتحين القدامى مخذولا يعض ذنبه مقهورا لتستعيد حريتها ، صلبة العقيدة في الحياة مهما تعاظم عليها طغيان الظلم والعدوان . ومهما تألب على اذلالها من مطامع المعتدين الظالمين .

وهؤلاء بنوها ، كما شاهدتهم ، فازداد فخري بهم وأملي بنهوضهم . يعملون ويعملون جادين واعين لحياة بلدهم بشبابهم العليم وأملهم النشيط القويم .

رأيت في سورية الخلق الذي عرفته في ناسها الشم الانوف وعنها وعنهم قبسته وادخرته وفاخرت به • لا يزال حيا وناميا • لا يزال ناسهم له كيفما بلوتهم • فهم للقرى وحفظ الذمام ورعي العهود بهذا فقيرهم اغنى من غني بمادته وغنيهم يغني الحياة باحساناته وعواطفه وليس كغيره من اغنياء الدول المستعمرة ينهب ليكبر • وفقير سورية وغنيها • قويها وضعيفها • العامل والمعمول له ، الحاكم والمحكوم منه ، لايعرفون لهم ربا غير خالقهم المعجب بحياتهم ، وبأجيالهم السادة النجباء •



تسميــة هــذا الكتاب

اطلقت على كتابي هذا اسم « انطباعات مغترب » وهذا الوضـع للاسم يعود فضله الى ذكاء الصديق الاديب العربي الكبير الاستـاذ حبيب جاماتي احد محرري مجلة « المصور » القاهرية فقد قرأت لـه في عدد من المجلة صدر في اثنـاء وجودي في القاهرة الكلمة التالية :

نسيـم الوطـن

« عبد المسيح حداد ، الكاتب الصحفي المغترب ، مر بالقاهرة في طريق العودة الى مقر عمله في نيويورك ، بعد أن أقام بضعة شهـور بين سورية ولبنان ...

هذه أول زيارة له ، بعد هجرته منذ ٥٣ سنة وصحبته عقيلتـه الفاضلة ، التي غابت أيضا عن الوطن الاول ٢٨ سنة .

قال عبد المسيح ان كل شيء قد تغير ، ليس في مسقط رأسه ومهد اسرته « حمص » بل في كل مدينة وكل قرية .

دنيـا اليوم غير دنيـا الامس في بـلاد العـرب

ولكن دنيا اليوم خير الف مرة من دنيا الامس ،لان الشعوب العربية تنعم الآن بحريتها واستقلالها في ظل أعلامها الوطنية ، بعـد أن طويت معالم الطغيان العثماني ، ثم أعلام الاحتلال .

الاماني التي طالما تغنى بها عبد المسيح حداد على صفحات جريدته « السائح » في ديار الغربة ، اصبحت الان حقائق ملموسة ، وقد رآها ولمسها ، وعاد يحمل ـ كما قال لنا ـ في طيات صدره نفحات مـن نسيم الوطن ، وفي ذهنـه ذكريات سوف يدونها في كتاب قد يكـون عنوانه « انطباعات مغترب » .

ظلت جريدة « السائح » تصدر مدة ٤٥ سنة . ثم احتجبت . ولكن صاحبها لا يزال يوافي القراء بنفثات قلمه الرائعة ، في جريدة « البيان » التي تصدر في نيويـورك .

وسيصدر عبد المسيح حداد ذكرياته عن جبران خليل جبران . فقد كان زميله ورفيقه في « الرابطة القلمية » التي ضمت في وقت من الاوقات ألمع أدباء المهجر وشعرائه .

جهاد مستمر في سبيل الابقاء على الادب العربي ، واللغة العربية ، والصحافة العربية في بلاد الغربة . ولكن هذا الجهاد ـ جهاد الافراد ـ لا بد أن يدعمه تشجيع مادي وأدبي ومعنوي من الحكومات العربيـة ، وعلى الخصوص من حكومتي دمشق وبيروت .

أطال الله في عمر عبد المسيح ، ورفاق عبد المسيح ، من العاملين في حقل الادب والصحافة ، فقد صنعوا العجائب ، ومجرد بقاء صحفهم في الميدان معجزة من المعجزات .

ونحن في انتظار « الذكريات » وفي انتظار « الانطباعات » .

هذا ما جرى به قلم أخي حبيب جاماتي ومنه انتصبت أمام مخيلتي

« انطباعات مغترب » التي جاءت لتفكيري بمثابة مفتاح الالهام فقررت تسمية الكتاب بها وشعرت في الحال بانجلاء الطريق أمامي الذي انتقي منه تلك الانطباعات كأنها سبقتني اليه وكان الفضل للحبيب « حبيب » في التسمية والتدليل على الطريق نفسه فأشكره الآن وبعد الآن مثنيا على فطنته وهدايتــه .



عـودة الى الوطـن

بعـد غربة ثلاثـة وخمسين سنـة

لا يخفى على كل ذي حجى ان لأي مغترب طال اغترابه ثم عاد الى وطنه ، وجهين من الانطباعات ــ هما : الوجه الذي عرفه لبلده حـين بدأ اغترابه ، والوجه الذي شاهده فيه بعد زيارته . فأنا المغترب العائد الى الوطن الاول بعد غربة ثلاث وخمسين سنة أكون مخضرما وطنيا ، أي أمضى جزءا من عمره في الوطن الذي ولد تحت سمائه ، وجزءا آخر في بلد غريب توطنه مختارا . ولا مراء في أن تكون له بعد عودته من غربته انطباعات خاصة ترسمها على صفحات نفسه تطورات اجتماعية استجلاها بمروره في ديار وطنه حرية بكشف اللثام عنها لبيان ما تجدد منها قياسا على ما كان عليه حال وطنه قبل اغترابه عنه ، ولتحصيل رأي في ذلك بطرق التحليل والاستنتاج ، اللذين لا بد من أن يكون منهما تأثير على شأن بلده وشعب بلده .

على هذا ترتب عندي أن للمغترب حياتين : واحدة عبرت وأخرى حضرت . وعلى الاخيرة أبدأ بمحط الكلام عن انطباعات الحياة الجديدة وما رافقها من التطور في ظواهرها وبواطنها معا .

ولقد أدركت عند هذا أن العربي اليوم غائص في فترة انتقال من حال الى حال ، الاولى حال تركت في نفسه أثرا سيئا لحلول احتلالات متتابعة اجنبية على وطنه ، والثانية حال تحمله على الاطمئنان الى المستقبل القائم على أساس الحرية والاستقلال ، وهما العاملان اللذان سطر قلمهما على صفحات نفسي هذه الانطباعات التي سأحدث القارىء عنها .

رحلت عن سورية في بدء شبابي ، لا كيان لها ، فقد كانت نهبا للاحتلال العثماني ، وكان فيها كل شيء من عوامل النهوض والنشاط أما نائما واما خائفا ، ثقافتها متعددة الالوان وجميع الوانها جامدة . واقتصادياتها أضعف وأجمد . أما اليوم في عهد استقلالها فهي على كثير من النشاط ، ومدارسها عديدة تشمل المدن والقرى ، ومشاريعها الاقتصادية وفيرة تتناول جميع نواحي العمل وآخذة بميول عالمها الى مختلف النهضات العمرانية على وعي حر من أبنائها وادراك حر من لدن الطامحين الى توفير خيرهم وخير بلدهم ، والى استكشاف طرق عديدة نحو مستقبل بارع الامال ، رفيع المثال ، بميزاته وباقتباساته وانصهاره على بوتقات الكد والجد ليستقيم شأنه في أسواق الرواج ، وفي تنقلاته من حسن الى أحسن الى الاحسن لذلك حمدت الله تعالى لاني شهدت في الحياة الثانية لوطني الاول صورا عديدة افهمتني أن اخواني المقيمين أصبحوا لا يشكون حكما ولا يشكون بمقدرة حاكم واخلاصه ، بل يشكرون سانحة استقلالهم التي أفسحت لهم مجالات الوعي والرقي فانصرف كل منهم في طريق نهضته لتحقيق آماله فيما هو شاعر بزوال

الضغط الاستعماري على رغباته وتفكيراته وأحلامه وآماله •

وانه ليلذّ لي في صدد الكلام عن هذا أن اذكر مثالا رائعا لانفساح آمال الناس بالارتقاء نفسيا وعمليا ادركته من سائق سيارة نقلني من بيروت الى حمص وفي الطريق حدثته وحدثني عن حاله فأخبرني أنه حمصي بلغ من العمر أواخر كهولته ولكنه مضطر الى متابعة جهاده في العمل جادا فيه ليله ونهاره ، لان عليه واجب اعانة ابنين له يتلقنان العلم في احدى جامعات ألمانيا الغربية احدهما يدرس الطب والجراحة ، والثاني يدرس الهندسة الكهربائية وسمعته يقول : اذا كان الزمان حرمه من الدرس والعلم فهو لن يحرم ولديه منهما ولذا فهو يجد دون ونــاء ويعمل دون شعور بالعياء حتى يكمل أبناه دروسهما وعندئذ يطل عليه وعلى بيته نور المستقبل الزاهر فيلجأ الى التقاعد شاكرا الله على نعمته • وقفت عند حديث ذاك الوطني وقفة مفكر فيما كانت حياة أمثاله عندما هجرت وطني وفيما صارت اليه حياتهم في عهد الاستقلال وقد تفتحت امامهم ابواب الوعي وادراك المسئولية لمستقبل ابنائهم ووطنهم مثل هذا السائق المجتهد والعامل المفكر بالمستقبل ، الواضع حياته وقيدا ليدفىء بها حياة بنيه ، كثيرون تعرفت اليهم في حمص ودمشق وحلب وكل بلد زرته ارتقوا في غضون سنوات استقلال سورية القليلة سلالم الطموح لاقتياد سوانح سياسية واقتصادية وثقافية ، ناشطين مجاهدين لرفع مستواهم من الحضيض الى درجات رفيعة ، ومن الفقر الى الغنى ، ومن الجمود الى بركات الحركة والاندفاع اللذين لا يقلان عن مثلهما في اغلب المغتربات ، ولكم اجتمعت بحلقات في المنازل والمقاهي والحدائق رأيت فيها جل احاديث المجتمعين بي عن هذا المشروع العملي وذلك الثقافي ، وذلك السياسي • ووعيت آراءهم في كل ذلك تتمخض بأحلى الآمال بسرعة رقي بلدهم وشعبه في كل مضمار اجتماعي •

ولكم اتسعت تلك الحلقات وأدركت فيها أن افرادها يثبتـون وطنيتهم منزهة عن عوامل التفرقة اقليمية كانت أم طائفية مـداورين كاخوة بني وطن واحد ، حول اوضاع انفتحت أبوابها الواسعـة أمام تفكيراتهم ومطامحهم ليدخلوا منها الى مستوى حياة اسمى وأرفع — حياة وطن أصبح حرا لوطنيين أصبحوا أحرارا لا يشكون أصفـادا ولا تعثر أقدامهم بعثار أي الاستعمارات الزائلة من تركية وفرنسية • بل هم يفكرون بأمور المستقبل وما عليهم من واجبات لتحقيقها لخيرهم وخير وطنهم •

هذه صورة خاطفة لاحدى الانطباعات الاولية التي لزمتني وعدت بها من وطني الاول الى وطني الاميركي ، ولما كنت خلال قيامي في وطني العربي زهاء خمسة أشهر قد تحدثت عن انطباعاتي مع عدد غفير مـن رجال الصحافة في العالم العربي أرى لزاما عليّ أن أنشر من تلـك الاحاديث ما هو من الادلة على جوهر تلك الانطباعات ومنها ما يلي :

في دمشـق طرح عليّ مراسل مجلة المصوّر هذا السؤال :

ماذا كان شعورك عندما صافحت عيناك أرض الوطن ؟ وكان جوابي عن سؤاله ، وقد التمعت الدموع في عينيّ ، حسب قول المراسل ، هكـذا :

« انه شعور من استطاع استنزال كوكب من السماء الى جيبه » •

وفي حمص قلت لمراسل مجلة الجندي الدمشقية جوابا عن سؤاله : ما هو أبرز برنامج في رحلتك ؟ ، هكذا :

« دعني أشكر بواسطتك وزارة الثقافة والارشاد القومي على هذه الدعوة التي أتاحت لي تحقيق أمنية غالية طالما ارتسمت في تصـوراتي وتمنيت تحقيقها ، بأن أكحل عينيّ بأرض الوطن قبل انتقالي من هذا العالم • فقد خرجت من بلدي حمص فتى في السادسة عشرة من عمري

واليوم أعود الى أرض الوطن وأنا في حدود السبعين .

وطوال هذه السنين كان الحنين يلح بي الى الوطن الذي ولـدت على أرضه وتحت سمائه ، وكنت خلال غربتي الطويلة أشعر بسعـادة عظيمة كلما سمعت الاخبار المسعدة تترى عن الوطن الام تروي حكايات انتصاراته الباهرة في الميادين الداخلية والخارجية ... وأشكـر الله على أنني وجدت الوطن وقد أصبح دولة عظيمة تصنع تاريخا ماجدا . ولهذا سيكون برنامج رحلتي زيارة كل المحافظات السورية ثم زيـارة لبنان ومصر .... » .

يرى قارئي العزيز وصفي للوطن الاول « بالدولة العظيمة التي تصنع تاريخا ماجدا » فقد طابق هذا الوصف شعوري بتقدير مااختبرته فيه من نهضات المواطنين المتسارعة في حقول الاقتصاد والثقافة وغيرهما . وفي اليوم التالي لحديثي مع مراسل مجلة الجندي وقعت على آيـة باهرة كانت تجيش في صدور العامة قبل الخاصة ، ويردّد معانيهـا الصغار قبل الكبار ، لؤلؤة مشرقة تتراءى في كل عين ، وتختلج في كل قلب ، وتلتمع على كل لسان عربي ، وفحواها :

« هدفنا قيام دولة قوية في هذا الشرق العربي هي أصيلة لا دخيلة ، حقانية لا عدوانية تكافح وتناضل وتهزم بحقها كل باطل ، وكل مغتصب مكابر ، هدفنا قيام دولة قوية توحد الصفوف والقلوب فلا يطمع في العرب طامع ، ولا ينتهك حرمة أراضيهم منازع ، دولة تصـون التراث العظيم وتبني للحضارة صرحها العظيم ، وتنشر ألوية العدل والسلام وتوفر الرخاء لابنائها وللبشر جميعا بقدر ما تتّسع صدرها من حـب وسماحة » .

قلت في نفسي لما وقعت على هذه اللؤلؤة الباهرة : انها خير دستور لدولة مهما يكن حجمها صغيرا وعدد سكانها قليلا لا بد من أن تصنع

تاريخا ماجدا حسبما قلت في جوابي لمحدثي مراسل مجلة الجندي .

وجاء في عدد السادس من تموز ١٩٦٠ من جريدة الاخبار الدمشقية جوابي عن سؤال « ما كان من انطباعاتي النفسية الاولية لجولتي في الربوع السورية » ما يلي :

« لقد وجدت كل شيء عربيا في وطني الاول والاخير .. الفندق والشارع والناس ، ان مظاهر التقدم والعمران بدأت تسود المجتمع الجديد بشكل عظيم لم يسبق له مثيل ... » .

وجاء في عدد الثاني من تموز ١٩٦٠ لمراسل جريدة الوحدة الدمشقية قولـه :

وتحدث الحداد عن انطباعاته عن دمشق فقال :

« انني اعيش في حلم جميل وليس في قدرتي أن أقارن بين دمشق التي تركتها من ٥٢ سنة ودمشق اليوم ... ان انقلابا شاملا وكبيرا قد حدث فيها وفي مختلف المدن السورية الاخرى .. » .

« وأنا سعيد كما لا تتصور ، بهذا الانقلاب الاجتماعي والفكري . وبارتقاء المواطنين بالثقافة والوعي .. انني لا آسف أبدا على زوال الشكل الذي كان منطبعا في مخيلتي » .

وقد عقب المراسل لجريدة الوحدة على ما ذكره من انطباعاتي بقولـه :

... واذا سألت عبد المسيح حداد عن القومية العربية ومشاعر الشباب العرب في المهجر .. اندفع يقول بحماسة :

« لقد كنا نعيش مع الوطن بكل معاركه القومية . وما تزال آمالنا بالحرية والوحدة العربية التي حملناها معنا في سنوات الشباب تجري في دماء أبنائنا هنالك جيلا بعد جيل . ولعله ليس في قدرتي أن أصور لك الايمان العميق ، وتعلق شبابنا الكبير ، بالقومية العربية التي نأمل أن

توحد بين مختلف أقطار الضاد لتصبح دولة قوية أهدافها المثلى من الحياة الدمقراطية الحرة ومكانتها المرموقة في المحافل العالمية ... وغدا حينما أعود الى الولايات المتحدة سأنقل الى اخواني هنالك كل مظاهر النهضة التي يعيشها الوطن . سأقول لهم ، ان ما رأيته كان فوق ما أملت .. رأيت التقدم والانتصار . رأيت الوعي والتفتح والسير في مضامير الحضارة » .

ما تقدم نقله عن أحاديثي مع الصحفيين في سوريا قبسة من مدّ او القليل من الكثير ولو أني آتي على كله لاصلحت منه كتابا ضخما يوضح انطباعاتي عما شهدته من تقدم وطني الاول ، وحماسة الاخوان المقيمين فيه في نهضاتهم الاجتماعية والاقتصادية والوطنية .

والان اختم هذا الفصل بمقال جريدة الاصلاح النيويوركية لصاحبها العلامة الدكتور الفونس جميل شوريز وقد نشر في عدد اليوم التاسع من تشرين الثاني ١٩٦٠ أي على أثر عودتي من الرحلة وهو ما يلي :

حديث شاهد عيان

عن اقطار الشرق الاوسط

« عاد الاستاذ عبد المسيح حداد من رحلته الى أقطار الشرق الاوسط دامت اربعة اشهر ونصفا زار في خلالها سوريا ولبنان ومصر . فذهبنا للسلام عليه لسببين : الاول لانه صديقنا ومستودع لقرابات روحية أدبية أودعه اياها رفاقه اصدقاؤنا من أعضاء الرابطة القلمية أمانة يحق لكل أديب ان يغرف منها ما شاء ومتى شاء . فهو من هذه الوجهة ليس لنفسه بل لغيره ممن يحبون الارتشاف من منهل الادب ــ نظيرنا ــ والتقرب للتدفؤ من كانون الادب الذي لا زالت جمراته تستعر وتنير الغريب قبل القريب ممن يقصدون مكتبه الواقع على الجادة الخامسة في

قلب نيويورك العظمى •

والسبب الثاني هو الاستطلاع منه عما حل بسوريا بعد مغادرته لها منذ أكثر من نصف قرن أي من يوم كانت سوريا كغيرها من الاقطار العربية خاضعة للنير التركي الثقيل — وعما تم فيها بعد استقلالها — وأخيرا لنعرف منه — وهو السوري الصميم — ما يعتقده اليوم عن سورية ، أما لبنان فلم نشأ الاستعلام عنه لانه ، ككل بلد دمقراطي يقرأ من عنوانه ، ليس من دفتيه بل في كل من صفحاته ، فليس ثمة ما يخفى عن أهليه ، ولا عن العالم المتمدن ، وليس اللبنانيون ممن يخجلون بدستور بلدهم وبكيفية تسيير شؤونه • فضلا عن أننا لم نشأ أن نسترخص وقت الاستاذ الكبير فنصرفه دون قيمة لمعرفة ما هو جلي واضح •

ولذلك تلطف الاستاذ حداد وقال لنا أولا عن سورية مسقط رأسه ما يلي :

تركت سورية منذ ٥٣ سنة ولم أعد لها الا هذه السنة ولا أغالي اذا قلت انني وصلت الى مدينة حمص فكدت لا أعرفها لانها اليوم هي مدينة عصرية ، يبلغ عدد سكانها دون مبالغة ، حوالي مئتي ألف نسمة ، بينما على عهدي ما كانت تزيد على الخمسين الف نسمة •

والمنازل العصرية بطبقاتها الجميلة ، والفنادق المتعددة الغرف والاناقة تزينها من كل جوانبها ، وحتى نهر العاصي صرت ترى على جانبيه البنايات الفخمة ، وتلك البطاح ترى الناس مثل النمل يسيرون فيها قوافل قوافل الى أحد المعامل الضخمة الرابضة كمن يقول — أنا هنا وسأظل •••

الحركة في حمص حركة تجدد ، حركة عمل وانتاج ، اسوة بالبلدان الاوروبية والاميركية • والناس فيها متآخون متحابون ، لم اسمع نعقة

لنعرة ، ولا خطر ببالي انني لست في غير داري .

وما أقوله عن حمص أقوله عن حلب ودمشق ولكن على نطاق أوسع وأكمل وأجمل . ولا يسعني وجداني أن اشمل مدينة حماه في هذا الركب المتجدد المبارك ، فمدينة حماه جالسة هناك كالمضربة على نفسها لا تود خلع الاسمال القديمة عن كتفيها . ففيها لا تزال البراقع والحجب. أما أنا فأود أن أرى الاشياء الواضحة المتقدمة التي من نفسها دون أن أزعج أحدا ، أو أضطر أحدا الى أن يعمل شيئا ما لم يكن من تلقاء نفسه . ولكن وضع حماه الفردي لا بد من أن يغلب عليه روح التجدد الجماعي .

ويسوؤني جدا أن أقول أن هنالك مدارس طائفية خاصة هي على تقهقر مستمر مزمن ، وبالتالي هي على عدم استعداد تام لمواجهة مقتضيات الحياة الجديدة في سورية ، بينما يضطرني الحق الى التصريح بأن المدارس اليسوعية هي في أوج مجدها من عملها التهذيبي وخدمتها للناشئة التي تتعطش الى انتهال العلوم من ينابيعها الخاصة ، غير أن الفضل في النهضة الثقافية الجبارة يعود الى وزارة التربية والتعليم التي أنشأت ألوفا وألوفا من المدارس الابتدائية والعالية في ألوف القرى وعشرات المدن السورية وحسبك جامعة دمشق وجامعة حلب .

بنوع اجمالي لقد أفادتني هذه الرحلة من وجهات عديدة وأولدت فيَّ الامل الوطيد ببلوغ الاقطار العربية أوج المجد المنشود » .

وختم محرر الاصلاح فصله هذا بما يلي :

« لدى هذه الخاتمة شكرنا للاديب الاستاذ عبد المسيح حداد اعطاءه لنا هذه المعلومات المفيدة التي نحن ننقلها الى القراء لنضم جميعنا الاماني والتمنيات الصادقة الى تمنياته لرؤية أوطاننا الاولى في أعلى قمة من الرقي والمجد » .

عوامل العودة الى الوطن

كان لي عونان في حياتي الادبية المهجرية وقد قضت الايام بأن يسبقاني الى العالم الثاني الا انهما كلاهما تركا لنفسي من شعرهما ما لم يفارقني معناه من اللوعة والحنين الى الوطن القديم الحبيب وكثيرا ما وقفت عند توجه نفسي الى الشرق الذي منه هجرت على هذه الأبيات لشقيقي ندرة فقيدي الاكبر وهي المقطع الاخير لاحدى مخمساته :

هكذا كلما سررتُ بأمر — لاح في الحلم رسم حمص لفكري
فتمنيت أن أرى في العمر — تربة اشتهي تكون لقبري
عند لفظي الاخير من أنفاسي

كما لازلت اردد مع الثاني صهري ورفيق عمري نسيب عريضة في مقطع من مقاطع قصيدته الشهيرة « أم الحجار السود » أي حمص وهو ما يلي :

يا دهر قد طال البعـاد عن الوطن

هل عودة تُرجى وقد فات الظعن

عد بي الى حمص ولو حشو الكفن

واهتـف : اتيت بعاثـر مردودِ

واجعـل ضريحي من حجار سـودِ

رحم الله ندرة ونسيباً وسقى الله ضريحهما في بروكلين بغيث رضوانه. ولقد غادرانا ولم نتوفق لتحقيق وصيتهما بأن يكون مقرهما الاخير في تربة الوطن ـ في حمص مسقط رأس كل منهما .

ويزيد على هذين العاملين ، اللذين حملاني على أن أزور الوطن قبل اللحاق بندرة ونسيب فأراه بعيني عن عيونهما ، عوامل أخرى منها الاحتكاكات والاتصالات بممثلي البلاد العربية الذين جاؤوا الى نيويورك أو واشنطن بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت عن استقلال سوريا ولبنان وارسال مندوبين عنهما الى الامم المتحدة وسفراء وقناصل الى واشنطن ونيويورك وكانوا قريبين بروحهم من المغتربين وعاملين على تجديد الصلات بين المغتربين ووطنهم الاول .

ولكم شعرت بجوع في النفس الى رؤية أرض وطني القديم وعالمه الآخذ بالوعي والنشاط في سبيل رقيه وتجديد معالمه بعد زوال ظلمة الاستعمار عن سمائه ـ أجل لكم شعرت بذلك كلما اجتمعت بفارس الخوري وكلما طرق مسمعي صوته الرنان في منابر الامم المتحدة دفاعا عن قضايا بلاده العربية ، ولكم شعرت بذلك الجوع النفسي عندما صافحت السفيرين الاولين لسوريا الدكتور ناظم القدسي فالدكتور قسطنطين زريق وانفتح القلب افتخارا بأننا قد صرنا في غربتنا الاميركية نرى لوطننا القديم استقلالا يمثله بيننا اعلام كبار بنفوسهم وعلومهم واخلاصهم كالذين ذكرتهم استرعوا انتباه العالم كله الى سوريا التـي

ابتلعها الحوت التركي وظلت في معدته اربعة قرون ثم ابتلعها الاستعمار الاجنبي لثلث قرن خرجت اعجوبة حيويتها يبسم لها الزمان ويعجب بقوة حياتها جميع العالم .

ولكم ازددت رغبة في زيارة وطني الاول كلما اجتمعت بالصديق الحبيب الدكتور فريد زين الدين السفير الرابع لسوريا ورئيس وفدها لدى الامم المتحدة وكلما سمعته يخطب في المجالس الدولية دفاعا عن أمنا سورية . كذلك كان لي عامل قوي يغذي النفس وأملها المتنامي لزيارة الوطن القديم بشخصية الدكتور فائز صائغ الذي اذهل سامعيه خطيبا ومذيعا بدفاعه عن الوطن العربي وفقأ أحمض الحصرم في عيون الذين شنوا مختلف الدعايات ضد ذلك الوطن وضد رسله الاعلام الكبار .

وأخيرا كان لي العامل الاكبر على القيام بزيارة الوطن الحاج الصديق الكريم الدكتور جورج طعمة وهو الذي رأت فيه الجالية العربية صورة تامة للوطنية وآية من آيات العلم والادب ورسما جليلا للعبقرية العربية .

هؤلاء وغيرهم من رسل الاوطان العربية الذين رفعوا اسم العروبة بألمعيتهم وبما توصلوا اليه في المجتمع الدولي بفضل علمهم ومروءاتهم مما حبب الجيل الاول من المغتربين الى التعرف على الوجه الجديد لبلادهم بعد استقلالها فتعددت الرحلات العامة الى الاوطان العربية في السنوات الاخيرة وكان لي منتهى الغبطة أن أقوم برحلتي الى سورية ومصر بضيافة وزارة الثقافة والارشاد القومي وهي الرحلة التي فيها تمخضت قريحتي فوضعت هذا الكتاب وفيه الانطباعات النفسية لعلها تنتقل من نفسي الى نفوس القارئين من اخواني المغتربين .

الوحـدة العربيـة

لا خلاص للأمة العربية من آثار الاستعمار بعد اندحاره وتقلص ظله في معظم أقطارها الا باتحادها وتوحيدها على نظام فدرالي يكفل لكل قطر استقلاله الذاتي على مثال نظام الولايات المتحدة الاميركية .

ولا بد من القول بأن هذا التوحيد العربي يحتاج الى ثورات فكرية، وهذه قد تتحول الى ثورات دموية لازالة الاستعمار الداخلي ، والا فزوال الاستعمار الاجنبي وبقاء صنوه ووليده الاستعمار الداخلي من قبل الزعماء الوطنيين أرباب المصالح الفردية لا يفيد على مرور السنين ــ لا يفيد الامة سوادها وخاصتها ، بل قد يكون لآثاره الباقية عوامل ينتعش بها الاستعمار الراحل الذي عندما تراءى له قرب آجله عمد الى الفرار ولكن على أمل استبقاء منازعه في بعض الاقطار العربية . وما انشاء اسرائيل في قلب البلاد العربية غير تعبيره عن أمله بتركيز عثرة كبرى في سبيل الوحدة العربية . وأقصى الغاية منها حمل الاقطار العربية المجاورة

لاسرائيل على بذل معظم ماليتها على الشؤون الحربية فلا تفكر عند ضعفها ماليا الا بالاستقواء على اسرائيل منصرفة عن التفكير بالوحدة المنشودة ومن انصرافها هذا تشتعل نيران الخلافات بينها .

يجب أن لا نجهل أن دول الاستعمار الاجنبي تكره في الدرجة الاولى الوحدة العربية ، وهي ترتعد فرائصها اذا ما بدا لها مجموع عربي متحد يفوق عدد نفوسه سبعين مليونا وقد نهض من غفوته مشمرا عن سواعد قوية للحاق بركب الامم المتفوقة بمالها واقتصادها وصناعاتها ، ولهذا نرى تلك الدول الشادة بأزر اسرائيل تعكف على افهام العالم كله والعرب خاصة أن بقاء اسرائيل في فلسطين أمر واقعي يجب أن لا يقاوم على الاطلاق .

واذا ما أدركنا أن سورية تنفق على قضية الدفاع من جراء وجود اسرائيل في جوارها خمسة وخمسين بالمائة من دخل خزينتها وهي ستستمر على هذا الانفاق كل سنة ، تبين لنا أن الاستعمار الاجنبي لم يطلق لساقيه الريح عن البلاد العربية الا بابقاء عونه على اضعاف الاقطار العربية فلا يؤمل منها تحقيق نهضة توحيدية عامة مستعيناً بالمأجورين والعملاء الذين تنكروا لأوطانهم وخانوا شعوبهم .

لذلك ليس منا نحن العرب من يجهل الغاية الاستعمارية الاجنبية من الاصرار على التدخل في بعض القضايا العربية وظهورها بمظهر الحامية لبعض الاقطار والارتكاز على محالفة بعض الامراء الاقطاعيين وتثبيت عروشهم ، على الرغم من ارادة شعوبهم العربية التي تحلم بالحرية والانطلاق وتبذل الارواح في سبيلهما .

لهذا يلوح لي أن بقاء اسرائيل في فلسطين يتعدى الاندفاع نحو رغائب الصهاينة ، وان حقيقته هي ايجاد العثار امام الشعوب العربية اذا توجهت عزائمها لتحقيق أمل الوحدة العربية الشاملة على أساس

الفيدرالية والدمقراطية والحكم الذاتي .

أجل هو الاستعمار الاجنبي الذي لم يندحر حتى استطاع تركيز غايته السياسية في الاقطار العربية وهو المسؤول عن ضم هذا الانقباض الذاتي الذي سدّ على الدول منافذ التفكير في العمل على التمهيد للوحدة العربية ، فاستسلمت اليه دون ان تدرك مدى الخطر الاسرائيلي الذي يتهددها في كل لحظة ، فكانت من حيث انقباضها السياسي الذاتي كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمل هربا من الصياد الذي هو اسرائيل المغتصبة الباغية التي يتوقف مستقبلها وحياتها على الفسحة الحيوية في الجوار العربي شمالا أو جنوبا أو غربا .

مع هذا نرى حكومات العرب جميعا يختلف بعضها مع بعض الا أنها جميعا موحدة الرأي وان مظهرا في عدائها لاسرائيل وهذا من أوضح الادلة على أن دول الاستعمار لا يهمها مسايرة الصهاينة في الابقاء على اسرائيل أكثر من همها في ابقاء الاقطار العربية مختلفة فلا تتحد بحكومة واحدة بل تبقى نفقات تسلحها تتزايد فتلبث أضعف من أن تتبنى فكرة التوحيد . ولكم يحز في نفس كل عربي مخلص للعروبة أن يسمع اذاعات الحكومات العربية تتراشق التهم الشنعاء وتعمد الى المهاترات والاهانات ! وكل هذه الامور من تأثير الاستعمار الاجنبي الذي رحل ولكن آثاره ورواسبه لا تزال عالقة ببعض النفوس الضعيفة التي تخدم المستعمر بالاباطيل والافتراءات العلنية التي لم تكن الأفضل السبل للتفرقة والهدم ، ثم كيف نقول اننا عرب ، وان هدفنا جمع الصفوف وتوحيد الكلمة واعلاء شأن العروبة ، في حين اننا انصرفنا بكل قوانا الى تفريق الصفوف وصرم حبال الود بين الاخوة العرب ، وشن الحملات الطائشة على كل من لا يسير في ركاب امارة موسوس فنقول انه خائن وعميل ورجعي ... متى كانت الافتراءات والشتائم

سبيلا الى الوحدة وسلما الى المجد ؟ أم أن رواسب الحقد الأعمى والانانية الطاغية هي التي يجب أن تسوس الدولة ، وهي التي يجب أن تحدد علاقة الدولة بسائر الدول العربية الشقيقة ؟

ان الزعماء العرب أو من نصبوا أنفسهم زعماء ، يحملون تبعات ثقيلة أمام شعوبهم التي لا بد من أن تستيقظ وتنتفض يوما وتحاسبهم حسابا عسيرا ، هؤلاء الذين خدعوا شعوبهم بشعارات زائفة مستعارة انما خدعوها بعض الوقت ولكنهم يعجزون عن خداعها كل الوقت • وقد حان للمغامرين المغررين بشعوبهم أن يتعظوا بالتاريخ وأن يعتبروا بأنه ليس في طاقتهم مهما أوتوا من قوة ، أن يغيروا نواميس الحياة ، ولا أن يمحوا الآية الازلية القائلة : لا يصح إلا الصحيح ولا يبقى الا الافضل •

وخلاصة انطباعاتي عن هذه الحال السياسية المضطربة اضطرابا عنيفا أنانيا تحملني على أن أبدي رأيي فيها فأقول : العنف يولد عنفا ولا يفيد الوحدة أية فائدة يتوخاها العرب المخلصون الآملون باتحاد جميع شعوب الامة العربية اتحادا دوليا مكينا تهابه الدول وترتعد فرائص الاستعمار الاجنبي منه ارتعادا يقضي على أمله ببقاء العرب اشتاتا متنافرة تتضاءل عن مقاومة اطماع الاجانب الاستعمارية •

العـدل
أسـاس الدولـة
التي يكتب لهـا الثبات

قال ابن المقفع ، وان الحكمة لفي مقاله :

« ما دين الدولة الا العدالة التامة في معاملة الرعية ، وبصـلاح الرئيس تصلح الرعية ، وبفساده فسادها » .

أما أنا فأزيد على رأي ابن المقفع الكاتب العربي القديم بما يلي :
« العدل الدولي اساس الدولة المؤلفة من اقوام وطوائف وأديان ، ولا يقوم لها نهوض شامل الا بعدلها بين الجميع كاخوان لوطن واحد تجمعهم الوطنية على رغم اختلاف معنوياتهم فهو الاساس لصـرح حياتهـا » .

ان الله تعالى خلق الناس أشكالا ، وأجيالهم أغلب ما يكون ، ترث عنهم نوعيات تلك الاشكال ، كالدين غالبا يأتي بالوراثة ــ هكذا شاء

عز وجل ـ ولقد أفصح القرآن الكريم عن مشيئته هذه بقوله : (لـو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) الا أنه لم يشأ بل شاء أن يخلـق الانام أشكالا منوعة تسر بصره الاسمى وقلبه الاعلم •

لِمَ اذن يتعصب مذهب ضد آخر ، في حين أن الله هو خالق الناس ومذاهبهم وأشكالهم ؟

اننا نستقضي شعورنا في بناء الدولة من رأينا في عدل ربنا ووجوب جعل هذا العدل دين الاديان وأساس العمران لمختلف أشكال وقوميات وطوائف الاخوان في الوطن العربي •

ولقد كان من أكثر الانطباعات أثرا طيبا في نفسي أني لم أجد في سورية تعصبا كما كنت لا أعرف مسلما من مسيحي أو مسيحيا من مسلم• بل شهدت كلا المسلم والمسيحي أخوين يطويان الدين في قلبيهما ليأخذا من وجدانيهما ما يوثق العلاقة الوطنية بينهما ، ومن ايمانيهما امـلا برقي جميع الشعب في مجال العروبة الشاملة البالغة أعلى حد من الجمال برفقها وعطفها المتبادلين •

وتلمست شيئا من هذا في مصر ، على قصر مدة الزيارة ، فلقـد أدركت ممن قابلتهم أن التعصبات الدينية تمضي الى الزوال شيئـا فشيئا • ولقد سمعت بعضهم يشيد بفصل الدين عن الدولة على الرغم من أن عامة الناس هناك بقيات العهود البائدة ، وهذه العامة الامية لا بد من زوال ما لصق بصدور أفرادها من آثار التعصب للديـن ، زوالا لا رجوع له ، فينعم الجميع بنعم صحة اجتماعهم بعد استئصال علة الانقسام منه ، وهو الانقسام الذي كان مطية الاستعمار لتوطيـد طغيانه واثرته ، فهو الذي كان حجة بريطانيا في احتلالها مصر عندمـا انقلبت ثورة أحمد عرابي باشا من وطنية الى مهاجمة دينية داخليـة وقد يكون للاجانب اصابع في تدبيرها لاتخاذ حجتهم على الـدولة

المصرية وشعبها بأنه غير صالح للاستقلال والحرية .

والعدل كان هدف كل الثورات التي استأصلت الملكية الجائرة والتمييز بين الطبقات والطوائف والعدل هو الذي أطاح بصروح الاقطاعية الداخلية والاستعمار الاجنبي حتى أخذ الشعب يرى أمله بالحياة الحرة مطلا على بلده مشرقا نوره ، وباسما محياه ، وباشا ثغره ، مبشرا ببدء عصر جديد اساسه العدل ، ولا غير العدل .

ومن ذا الذي يستطيع أن يقف في وجه عجلات الزمن ، وأن يتحدى بغرباله نور الشمس ليحجبه . ان التطور سنة طبيعية ، ولكل عصر مقوماته واسباب نجاحه وما صلح في الماضي قد لا يصلح اليوم ، لان العصر عصر العلم والذرة واكتشاف مجاهل الفضاء والعربي بسليقته ذكي يعرف كيف يتجاوب مع ركب الحضارة .

ونحن نفهم أن الخلق في نظر العدل سواء فهو يمنح الجميع حرية النهج ، وحرية الفكر ، وحرية الدين ، وحرية الرأي . واذا كان الشعب العربي لم يبلغ من عدلها الاساسي جميع حرياته المذكورة حتى اليوم ، فلا بد من أنها ستكون أجمع ، نصيبه ، لقمة لقمة أو خطوة خطوة ، في تطور متحرك ، ان يكن بطيئا في أول أمره فلا مراء بقوة استمراره بعد حين ، والمهم أن نتحرك ونسير كما تحركنا وسرنا يوم كانت أوربا غافلة غافية ، فأسهمنا خير الاسهام في بناء الحضارة ونشر العلوم والمعارف .

بنـــاء الوطـــن

كثـيرا ما شعرت بانجذاب نحو هذا العنوان ــ بناء الوطـن •
رأيته عنوانا جذابا لمجلة ضخمة صدرت في القاهرة ، فصولها مشبعة
بروح الامل بمستقبل باهر يبنى على مشاريع الحاضر الزاخرة بنشاط
وحماسة في جميع آفاق العمران والبنيان • وكثيرا ما قرأته على جلدة
غلاف يتضمن جرائد يعرض بائعوها نسخ ذلك اليوم منها في حمص
ودمشق • وكأن « بناء الوطن » قد احتل من نفسي ما احتل من نفوس
جماهير الواعين لمستقبل أمتهم وبلادهم ، المتفنين على لحن العنـــوان
ــ بناء الوطن ــ بانشاءات دولتهم وآمالهم التابعة لها بنمو عمـــران
بلدهم وازدياد خير سكانه • ولكن بعد اكتمال رحلتي الى سوريـــة
رحت القي على نفسي أمثال الاسئلة التالية :

« هذه مصانع قائمة ، وورشـــات لقيام انشاءات ، واحـــداث
اصلاحات ، في الشوارع والبنايات وحدائق وجنئات ومقاصف ومقاه

وملاه ، ولكن أين مثلها مما سيعنى بتجديد روح الامة ، عامتها وخاصتها ، في مجال بناء الوطن ؟

« تشاد المعالم المختلفة ولكن لماذا لا يقوم بناء الروح في النفس العربية فتطهر من ادران تقاليدها التي لم يعد لها محل في العصر الحاضر، فيتم بناء الوطن على الوجهين الجسدي والروحي في وقت واحد » ؟

« ألا يعوز العمل على بناء الوطن اكتشاف الهامات النفس العربية التي نامت دهرا طويلا في عصر الاحتلال المنوع • أيكفي الاختراع الاصلاحي لبناء الوطن دون الاكتشاف النفسي في سبيله » ؟ •

هذه وغيرها من الاسئلة كانت تتوجه الى نفسي كل ساعة اتفرغ فيها من مقابلة زعماء ، أو زيارة أماكن صناعات ومشاريع ، أو رحلة استطلاع ما يشير الى المستقبل على ضوء بناء الوطن في الوقت الحالي أو بعد حديث بيني وبين مراسل صحفي •

أيقنت كذلك بأن العلم المدرسي قد أخذ شأنه المتنامي ولا سيما في سورية فقد عرفت أنه يندر أن تكون فيه قرية أو مزرعة خالية من مدرسة • وفي دمشق جامعة علوم وطنية كبيرة وكذلك في حلب وفي حمص وسواها كليات مزدحمة بالطلاب • الا أني لم أجد هنا وهناك قلبا من قلوب ادباء الوطن مرتاحا الى نصيبه من دنيا أدبه وعلمه • وهم اذا ما راعوا امر مستقبلهم انتصبت امامهم طرق الاغتراب لتعذر وضع مواهبهم بين عوامل بناء الوطن المادية •

وهنالك مجامع علمية تعرفت الى جمهور اساطينها وهم من أكابر العلماء ، الا اني لم أتعرف الى نتاج اهداف مجامعهم ، فكأنها أصبحت كالسلام يحكى عنه ويرجى ولكن العمل به مقعد وجامد في نية الزمان ومستقبل حكومته وأهله • مع هذا لا أجحد فضل المجمع العلمي العربي الذي تأسس بدمشق منذ ست وثلاثين سنة فكان أبا للمجامع اللغوية

في كل الاقطار العربية ، له مجلته الرصينة ، وله فضله العميم في احياء تراثنا الفكري واللغوي العظيم •

سألت بعضهم هل تقوم الحكومة باعداد جوائز تلمذية لاذكياء الطلاب الاحداث ؟ الجواب كان وجوما في حيرة • ولكني علمت بعدئذ أن المتفوقين من الطلاب ينالون منحا مدرسية عالية تفتح لهم آفـاق العلوم والمعارف • فعسى •

وسألت عما اذا كانت المجامع العلمية العربية قد قررت الاتفاق على انشاء دائرة معارف اسوة بالامم الراقية ؟ الجواب أيضا كان وجوما في أسف وحيرة • ولعلي أسرفت اذ سألت عن دائرة معارف عربيـة حديثة ، وكان الاسهل أن أسأل عن معجم لغوي حديث على أسـاس شبـه علمي •••

وأدركت أن الشعب العربي أينما كان ، هو مثل أي شعب مـن شعوب العالم المتمدن ، عامته ، أكثريته ، إلا أن أكثرية شعوبنا العربية لا يزال سرح الكرى مستوليا على نفسها فهل فكرت الحكومة الآخذة ببناء الوطن في أنه لا بد من أن يكون بين عامة شعبها من أبناء المواهب العلوية اذا أزيل الصدأ عنها ، كان من أربابها أمثال لنكلن أوفرنكلين أو تولستوي أو صلاح الدين ، بل أمثال الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن المقفع ومعاوية وسيف الدولة وسواهم من عظمائنا •

ان الوطن لفي حاجة الى البناء • ولكن بناءه يجب أن يشمـل جسده ونفسه معا ، وأن يكمل به تعمير البيت وتعمير نفس ساكنه •

مضى على العروبة قرون عديدة بأجيالها المتلاحقة كادت في غضونها تنسى نفسها وقد جعل منها الاستعمار مطية سهلة لاستغلال كنوزها الطبيعية ولامتصاص خيراتها بمعاونة الزعماء الوطنيين الذين باعـوا أمتهم بالوظائف التي اسندت اليهم على عدم أهليتهم •

الا ان الاستعمار لم يبدأ برحيله حتى كان قد وضع عثرة كؤودا في سبيل الوحدة العربية ، وهذه العثرة هي ايجاد دولة اسرائيل في فلسطين ـ في قلب الاقطار العربية ـ وهو أي الاستعمار الاجنبي مصر على اعتبار اسرائيل أمرا واقعيا فلا يحق للعرب الانتفاض عليه فدون ذلك قوات الدول الكبرى والامم المتحدة ، كما قلنا في فصل سابق •

مع ذلك لا يزال الاستعمار الاجنبي قائما في أجزاء عربية عديدة في عدن ومسقط وعُمان وحضر موت وقطر والبحرين والجزائر التي تنافح عن استقلالها بشجاعة تحير العقول •

وما هجوم بريطانيا وفرنسا على مصر عام ١٩٥٦ ، مسبوقا بهجوم اسرائيل على سيناء ، الا الدليل الاوضح على أن الاستعمار الاجنبي لن يرضى عن الوحدة العربية وأنه وضع اسرائيل في فلسطين كعثرة قوية ترتد عنها الدعوة العامة لتأليف الوحدة العربية من جميع الشعوب والاقوام والقبائل •

لذلك يحسن بنا القول أن الله كان مع العروبة عندما اعربت بلسان زعمائها المخلصين الذين خاضوا معارك الاستقلال عن شعورها الكلي بالتحرر وتجنيد النفس العربية اينما كانت لتحقيق الوحدة ، واذا كانت لم يكتب لها تمام النصر فلا بد من أن تبلغ كمال تحقيق حلمها ، وأن غدا لناظره قريب •

وللقارىء أن يتفهم أني أجدُ كل الجدّ عندما القي على رؤساء الحكومات العربية والملوك والامراء وسائر الزعماء تبعة المستقبل العربي والمصير • انهم مشتركون في حمل الدعوة العربية ، ومسؤولون أمام شعوبهم وأمام التاريخ عن نجاح أو اخفاق هذه الرسالة العليا التي تشبه من حيث هيكلها المادي والقومي دعوة الرسول محمد

عندما جمع شتات العرب تحت راية الدولة الاسلامية العربية ، فسارت هذه الراية المشرقة من نصر الى نصر ومن قطر الى قطر ، لتبني للعرب أمجادهم ، وتوحد قبائلهم وآحادهم ، تحكم بالقسطاس • وتعدل بين الناس •

ان كل واحد من هؤلاء الرؤوس العرب يحمل بحكم مركزه شيئا من نفحات الرسالة القومية التي انطلقت مع رسول العرب منذ أربعة عشر قرناتقريبا ، وهيهات أن يتنصل واحد منهم من هذه التبعة الثقيلة التي لا يضطلع بها سوى المخلصين الاقوياء الذين لا يركضون وراء الفخفخة والبهارج ومظاهر الفخفية • ولا يهرجون ولا يستخفون بشعوبهم فينصبون أنفسهم أشباه آلهة والويل لمن ينظر اليهم شزرا • انه متآمر أو رجعي أو عميل للاستعمار ، وكأن التحرر يعني فرض العبودية ، وأي مجد لزعيم يجعل من شعبه عبيدا مطأطئين مصفقين ؟ لا يمضغون في أفواههم من الكلام غير كلمة الزعيم ، ولا يسلكون في طريق الارادة غير ارادة الزعيم ، ولا تغشى عيونهم من صور الجمال سوى صورة الزعيم •

ولقد قلت في نفسي لماذا يقوم مئات الوف السكان لدى كل رحلة يقوم بها هذا الزعيم أو هذا الحاكم في احدى مهمات دولته بمثل تلك الحفاوات البالغة اسمى المظاهر ؟ وكأنه عاد مكللا بغار النصر ، من معركة تاريخية حاسمة ؟

وأغرب ما كان مما اطلعت عليه في صدد ذلك ، أن حاكما عاد من رحلة استغرقت أقل من اسبوع ثم بقيت الصحف تنشر رسائل أفراد وشركات لاكثر من اسبوع في تهنئته برجوعه سالما معافى ومنتصرا ذا عزة وجلال ! ! وما كنت أرى في تلك الصحف خبر غاية تلك الرحلة ولا ما كان انتصار الحاكم فيها •

وهي انطباعة وقفت عندها حائرا مستغربا كيف أن الصحافة لا تزال تجري على أساليب قديمة في المغالاة بكل أمر وكيف أن الشعب نفسه لم يطلق بعد تحرره ، ميله الى المغالاة العاطفية مما لم يعد له في هذا العصر محل عند الشعوب الراقية . ففي أمريكا كثيرا ما يقصد رئيسها بلدا لغاية حكومية خطيرة . ثم يعود الى عاصمته وقد لا يدري الناس ماذا كان منه الا من الصحف المحلية ، فمن هو المسؤول . أهي الصحافة ، أم هو الشعب أم هو الحاكم الذي يطالب بمثل هذه المظاهر السخيفة التافهة للادلال بمحبة الشعب له ؟

ومن العادات الباقية في المجتمع تلك الالقاب التركية تفخم بها الاسماء في المخاطبات على الرغم من أن الحكومة قررت الغاء تلك الالقاب ــ باشا وبك وأفندي ــ أما في الصحف والرسميات فيراعى قانون الغاء الالقاب ، ولما لم يرعَ الشعب حتى اليوم القانون المذكور في محادثات أفراده ، وخصوصا مع الموظفين وكبار الوجهاء ، فلا مندوحة من لقب « بك » .

ولكم أفهمت كثيرين من الاصحاب الذين اجتمعت بهم أن لا يسندوا الي لقب البكوية فما نجحت في طلبي الا قليلا حتى أن بعضهم رغب اليَّ في التغاضي عن الامر بدعوى أن السنتهم تعودت استعمال اللقب التركي فلم تعد قادرة عن تناسيه واهماله .

وأكثر ما وعيته من هذا التلقيب كان في سوريا ولبنان ، ولكن اذا استسغنا بعض الشيء هذا اللقب في أفواه العامة فكيف نستسيغ في ظلال الحكم الجمهوري الدمقراطي القاب فخامة الرئيس ومعالي الوزير وعطوفة المحافظ ، وسعادة السفير أو القنصل تنقلها الاذاعات وتنشرها الصحف ؟

أما لقب « أفندي » فقد تبع تركيا في الزوال عن أقطارنا العربية

فما بال « الافندي » زال ولكن « البيك » لا يزال ؟ .

ولقد حرت في أوائل رحلتي فيما عساني أصدُّ من يلقبني بالبيك . وكم تململت من سماع اللقب وكم امتعضت منه ، وأنا الصحافي العربي الاول في العالم العربي ، الذي أنادي بتسفيه الالقاب التركية منذ سنة ١٩١٢ أي منذ اصداري جريدتي « السائح » وصدور الامر الشاهاني في الاستانة بمنع الجريدة من الدخول الى بلاد السلطنة العثمانية لانها عربية النزوع تدعو الى تحرر الامة العربية من النير التركي وألقابه السخيفة .

أما كان أولى بالشعب العربي افهام العالم بأنهم أصبحوا أحرارا من كل شيء تركي ، وأنهم صروا الالقاب التركية ورموا بها في أثر تركيا قائلين لها : « بضاعتك ردت اليك » ؟

التطـور
بين القديم والجديد

كثيرا ما شئت الانصراف عن ابداء النظريات الى التغييرات السياسية في أحاديثي مع مراسلي الصحف واذاعات الراديو ، لاعتقادي بـأن الحديث غالبا ما يكون ذا شجون وما عليّ وأنا ضيف على الحكومة ، الا أن أبتعد عن السياسة وشؤونها واتركها جميعا لغيري من الذيـن برعوا في أمورها . ولكني مع ذلك كثيرا ما وجدتني مضطرا الى الاجابة عن سؤال بسيط يُعدّ على هامش السياسة وهو :

« ما رأيك في الاصلاحات الجديدة وأثرها في نفس الامة التـي فتحت عينيها للشمس » ؟

وأذكر جيدا فحوى جوابي عن السؤال بما ألخصـه الآن في مـا يلي :

« لكل جديد وجهان عند الناس : واحد يصفه الراغبون فيـه

بالجمال المتناهي ، بينما الآخر يصفه بالقبح المتناهي . ولكل من الفريقين رأيه وحججه وهذه كلها تبدو من تأثير الجديد على مصلحته . وما من مصلح ، في شتى شؤون الحياة كشف الغطاء عن رأي جديد ، أو اختراع جديد ، واكتشاف جديد ، الا وكان في البدء بين محبذ ومسفه في قومه . هكذا أخبرنا التاريخ عن قيام الذين يقدسون القديم ويحاربون كل جديد ولا يزالون ينوشونه سهامهم حتى يُغلبوا على أمرهم .

« ألم تثر الجماعات المدنية والدينية والطائفية على مكتشف حروف الطباعة ؟ ألم يثر حتى زعماء البلد والكنيسة على مكتشف مصل الجدري ؟ وهل في طول العالم وعرضه اليوم من ينكر فائدة الطباعة ومصل الجدري » ؟

« لذلك لا أرى مايبعث على التخوف من أي اصلاح جديد أتى به التطور الحديث ، فالذين خسروا أجزاء من أراضيهم هكذا شعروا أنهم خسروا ، ولكن سواد الامة العاملة والمزارعة ، وهم الاكثرية الساحقة ، ربحوا ولم يخسروا وربحهم تقدم باهر لسير أمتهم ورفع معنوياتها ومستوى أفرادها . ولا بد عند ذلك من أن يقتنع المعارضون وأن ينكفئوا عن مواقفهم اذ يرون الحق أبلج ، وأنه أغلب وهو يعلو ولا يعلى عليه ، وما عليهم الا أن ينظروا بأعين العدل والانصاف الى التجديد يتبع بعضه بعضا لخير الامة وأبنائها ، فلا بد من التطور ولا مهرب من مسايرة ركب الحضارة .

ولكم سمعت من جماعة الاعتراض على فوائد الاصلاحات ، قولهم أنهم لم يروا منها بعد أية فائدة ، فكنت أبتسم من قولهم ثم أقول لهم المثل العالمي : « ان رومية لم تبنَ بيوم واحد » وأن الطعام لا يصلح غذاء حتى يتم طبخه ، فاصبروا تروا أهداف الاصلاحات تتحقق شيئا

بعد شيء من وقت الى آخر ، وينبغي أن تدركوا أن التطور الشعبي لا يقاس بمقاييس الناس ، وأنه ليس الا أساسا يأتي بعده وعليه الصرح المنشود ينشأ حجرا بعد حجر حتى يعلو بناؤه .

أما من ناحية تأليف الوحدة العربية ، فعندي أنه تأليف لا غبار عليه الا أنه البداية لهدف عميم شامل في تقوية الامة العربية التي لعبت بعد نشوء الاسلام أدوارا جليلة في التاريخ حتى بلغت المكانة الاولى بين دول العالم ، ولم تزل قدمها عن تلك المكانة الا عندما تراخى شأنها وتعددت زعاماتها فتمزق شملها وصار أشتاتا عديدة ، في العراق والشام والحجاز والاندلس وفارس وغيرها من الاقطار التي دانت للفتح العربي الاسلامي ، فأخذت تلك الامة العملاقة الجبارة بالضعف والتقهقر حتى خسرت أمجادها ومنها الاندلس بعد تمكنها فيها أكثر من سبعمائة سنة ، ثم تحول تمزقها الى عقر دارها فطغت عليها فتوحات المغول والبربر الى أن استهانت للاستعمارات الاوروبية واستعبادها حتى الامس القريب .

اذن ما لا بد منه في مجال تمنينا الاستقواء للامة العربية الا أن تجتمع أقوامها وأقطارها في نظام وحدة شاملة . لكننا نرى دون شك أن الاتحاد ليس الا النواة لتحقيق الهدف الاعظم الذي هو الوحدة العربية على الرغم من كل مقاومة له الآن فهو لن يتجلى بنصاعته وعظمة فوائده حتى يدرك كل عربي أينما كان واجب التوحيد السياسي ، ولكن يجب أن لا ننسى أن الزمان الكفيل يتحقيق هذا الهدف لا يأتي قرنه بسنة ولا سنته بشهر ولا شهره بيوم ولا يومه بساعة .

على هذا أرى الوحدة العربية بين صراع القديم وصراع الجديد ، ولكنه صراع سينتهي عند الامة العربية اليقظة في هذا العصر ، باقتبالها من يد الحياة هديتها العظمى جائزة جهادها فليصبر العالم العربي الآخذ

بنشاط وطني مع تفتح وعيه ليرى يوما بعينه وروحه فوائد وعيه وسعيه للوحدة الشاملة ، ويؤمن بقلبه ووجدانه بأن سيره في هذا الطريق سيسعده بقيادة روح التطور الى الميناء الهادىء ، والى المكانة التي كانت لاسلافه بين دول الارض ، ليلعب دورا يزاد به على ما لعبه القدامى في سبيل الامة العربية ، فلكل حال دولة ورجال • والامل بالدولة الجديدة ورجالها معقود على أن تبلغ الامة العربية قوتها بضم شتاتها لتحقق بذلك لها مكانا دوليا عزيزا مكرما بين دول هذا العصر •

بلـد جديد
بهيئـات جديـدة

من أجل الانطباعات التي حزتها ما شهدته في الوطن الاول من اسناد وظائفه الى رجالات علم ووعي ونشاط ــ رجال كفاءات للمراكز التي يشغلونها ــ رجال سداد رأي في نشاط وحماسة •

رأيتهم جميعا في محافظات سورية شبانا مثقفين مرنين في مداورة شؤون الوظائف التي اسندت اليهم ، حازوا الشهادات العلمية من جامعات العلوم • وشهد لهم بالامانة والاخلاص والنشاط • وهم يقومون بأعمالهم دون ملل ، ولئن اضطرهم بعضها الى مواصلة النهار بالليل • بينهم كثيرون ممن كان لي حظ سعيد بمرافقته في بعض الادوار وشهدت اندفاعا في الاصلاح وتوفير أسباب التقدم والنجاح •

تعال معي ، يا قارئي العزيز ، لاصور لك ما كانت عليه حمص مسقط

رأسي قبل اغترابي ، وما صارت اليه في عهد الاستقلال بقوة الجهد الصادق ومضاء العزيمة وعلو الهمة والاخلاص في الخدمة •

تركت حمص العزيزة أشكو منها ، كما يشكو كل من اغترب عنها من أبنائها ، كثرة الذباب حتى كان يغطي ثيابنا ونحن عائدون من ناحية بستان أو متنزه ، فاذا به اليوم أثر بعد عين • وكنا نشكو كثرةالكلاب تملأ الأزقة تعوي في النهارات وتعثر بها في الليالي ، فاذا بها كذلك قد زالت من الوجود كليا • وكنا نشكو كثرة الشحاذين عند مداخل الكنائس والجوامع حتى اذا أقفلت أبوابها داروا على أبواب المساكن يزعجون السكان باسترفادهم واحد بعد آخر ، فاذا بهم غير موجودين اليوم الا في معهد انساني كبير لجمعية البر والخدمات الاجتماعية لمساعدة المرضى والفقراء •

كانت المراكز الحكومية في العهد التركي تؤخذ بطرق الرشوة والمحسوبية فلا أثر لذلك على الاطلاق فالمراكز الرفيعة والتي دونها يشغلها أكفاء من الشبان علما ومداورة واندفاعا يزينه نشاط الشباب واخلاص الموظف • وهناك النهضات والاصلاحات العمرانية • كانت منطقة (المحطة) حقولا زراعية ، وهي اليوم شبه مدينة صغيرة مبنية على الطراز الحديث ، تزين دورها الحدائق ، وتخترقها شوارع مستقيمة عريضة ، وفي ضواحي المدينة بُنيت أحياء جديدة تحتوي على ألوف الدور ، كما قامت في الشوارع الوسطى مبان ضخمة فخمة تضم عشرات المحال التجارية والمكاتب وسواها كبناية الميتم الارثوذكسي ، وبناية الميتم الاسلامي والهلال الاحمر ، وبناية الاوقاف ، وأكبرها بناية جوزيف زيتون واخوانه أمام حديقة البلدية • ومن الاصلاحات العمرانية التي تلفت النظر توسيع طريق دمشق بعرض مائة متر ونقل المقابر وغرس الحدائق الواسعة وتزويدها بالألاعيب المتعددة لترويض

الاطفال وتسليتهم • أما الاصلاحات العمرانية التي تستحق أعظم الاعجاب فهي تلك التي قامت في منطقة السيد خالد بن الوليد فقد كانت المقابر التي ارتفعت على هضبة أمام جامع السيد خالد ، تحجب ساحة الجامع عن الانظار ، فاهتم المحافظ رئيس البلدية بتمهيد هذه الهضبة ونقل القبور الى مقابر جديدة ، ثم شق الطرقات والحدائق أمام الجامع فبرز بأجمل مظهر وتحولت تلك المنطقة الى أجمل ما تقع عليه عيون المسافرين من الجنوب الى الشمال، ومن الشمال الى الجنوب ، بعدما كان منظرها يصدم العيون والقلوب •

وهنا كأيضا طريق طرابلس الذي يشق حي المحطة من الشرق الى الغرب وعرضه مائة متر وقد قامت حوله الحدائق المتعددة •

وكانت شوارع حمص مرصوفة بالحجارة المدببة المستديرة التي لا تسلم الاحذية والاقدام من أذاها ، فانتزعوا هذه الحجارة وعبدوا معظم الشوارع على الطراز الحديث ، واهتمت البلدية بأمر النظافة العامة وقطع دابر الحشرات فعمدت الى الغاء العربات التي يجرها الخيل بعدما عوضت على أصحابها ، وكانت خيول هذه العربات تملأ الساحة الكبيرة بالاقذار التي تنبو عنها العيون والانوف وتجتمع حولها جحافل الذباب والهوام •

وكان في حمص ثلاث أو أربع مدارس اعدادية للمعاهد العليا وهي طائفية ، ونحو عشرة كتاتيب ابتدائية ، أما اليوم فقد أصبحت حمص بفضل ما أنشأته فيها وزارة التربية والتعليم من المعاهد العالية التي تمنح البكلوريا ، المدينة المثقفة الاولى في كل سورية ، ورجال الفكر والادب الذين يفدون اليها لالقاء المحاضرات والقصائد يحسبون لها حسابا بعدما ارتفع فيها المستوى الثقافي • وللمدينة مركزها الثقافي

القائم الى جانب مبنى البلدية وهو يضم دار الكتب الوطنية وبهوا واسعا للمحاضرات والتمثيل والموسيقى ، وقد أنشأته وزارة الثقافة والارشاد القومي فكان لحمص ندوتها ودار ثقافتها وفكرها وفنونها ، وسد هذا المركز فراغا كبيرا طالما شعر به الحمصيون • ويعود الفضل في فعالية هذه « السوق العكاظية » الى نشاط مديره الاستاذ عبد المعين الملوحي •

وفي حمص ناديان كبيران للموسيقى والغناء وهما دوحة الميماس ، ونادي دار الالحان ، يقوم عليهما نخبة من رجال الفنون الموسيقية والغنائية ، وآية هذين الناديين أنهما يأخذان بالطابع الموسيقي العربي الاصيل ، ولا يتعرفان بالهجين الذي أبوه غربي وأمه شرقية ••

ولا نستغرب بعد هذه اللمحة الوجيزة عن حمص أن تلقى فيها مئات الاطباء والمحامين والمهندسين والمعلمين وعشرات الادباءوالشعراء، وألوفا من حملة شهادة البكلوريا بينهم مئات من الجنس اللطيف ، وقد تعرفت بالكثيرين منهم ، اذكر من المحامين الاستاذ فيليب فركوح ، وقد عهدنا اليه في حل بعض القضايا الارثية المعلقة فقام بالمهمة على أحسن شكل •

١

وجه المستقبل
للوطن العربي الجديد

قيل الامور مرهونة بأوقاتها وعلى هذا المقول الحقيقي أرى من واجبات كل وطني مخلص أن لا يستسرع بناء صرح جديد على أساس وطنه العربي الجديد . أما السلبيون الذين اعتادوا أن ينظروا بتشاؤم الى كل ما يقع تحت أبصارهم ، فهؤلاء لا وجه لاقناعهم لأن الحجة مهما تكن قوية لا تستطيع أن تغير من طبيعة الاشياء والرجال . ان البناء كما يعلم الجميع لا يأتي عفوا ، والطفرة أضعف من أن تذلل النواميس الطبيعية . بناء الاوطان والشعوب يستغرق وقتا طويلا كما يحتاج في الوقت نفسه الى تفاعلات شتى على صعيد الوعي الاقتصادي والاجتماعي والعلمي ، ولا غنى لنجاح البناء العظيم عن تجاوبات عميقة في الداخل تذكر كل واحد بواجباته .

ان من يعدل في رأيه وينصف في تفكيره لا بد من أن يرى وجها

حسنا لمستقبل باهر يطل على الامة العربية بروعته وجماله • نـرى هذا الوجه في امتداد المشاريع الاجتماعية والاقتصادية في الاقطـار العربية وخاصة سورية حيث قامت مصانع جبارة مختلفة الانتاجـات اثارت الحركة العملية في البلاد وأشعرت دول العالم بأن سورية زال عنها شبح الاستعمار البغيض وعوامل ظلمه وضغطه حتى جرت في ميادين الحياة كالامم السعيـدة بحرياتها ، السعيدة بـدمقراطيتها ، السعيدة بأحلامها وآمالها •

من المظاهر العمرانية التي انطبعت في صفحات نفسي في تقديـر واعجاب كثيرين ، ما شهدته في مدن سورية من تحف التجديد والتجويد، سواء ذلك أفي الشوارع أم المنازل أم الفنادق ومـن ضخامة المصانـع المنتجة أكبر انتاج وابدعه • وتأتي في الطليعة مصانع المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية التي تضاهي بجودتها ومتانتها وتزويقها وتلوينها أفضل ما تنتجه المعامل الاجنبية ، وهناك معامل السكر والاسمنـت والزجاج ومواد البناء والادوات المنزلية والتخمير وحل الحرير والدباغة الجلدية والمعادن والمطاحن والالبسة والتبغ والاحذية والمواد الغذائية والسجاد ومحالج القطن والمناشر الحديثة والزيوت والاسمن النباتيـة وسواها • وقد سارت شوطا بعيـدا في صناعة المعادن ومشتقاتهـا فاستطاعت أن تصنع البرادات والغسـالات والمدافىء على الطـراز الاميركاني ، وهناك أيضا الصناعات الحربية المتعددة التي لا سبيل الى تعدادها ، أضف الى هذا الصناعات الأهلية التقليدية التي اتخذت طابعا عصريا ، وهناك مشروعات خاصة شتى تطرح أسهمها على الشعب كمصانع السماد وعجلات المطاط للسيارات والحديد • أما مصفـاة البترول في حمص فهي ركن اقتصادي خطير • وفي طليعة القضايا التي تعالجها الحكومة في سورية ، قضية ري الاراضي وتخزين المياه في

السدود الصناعية كسد بحيرة حمص (قطينة) وسد الرستن ، وسد محردي واستصلاح أراضي الغاب الخصيبة علاوة على سدود أخرى في مناطق متفرقة . وقد اهتمت مؤخرا بانشاء أعظم سد في العالم العربي وهو سد الفرات الذي سيروي من الاراضي الزراعية في منطقة الجزيرة ، ما يفوق نسبة ما يرويه سد اسوان . وتبلغ نفقات سد الفرات أكثر من مليار ليرة سورية وستمول هذا المشروع الجبار ألمانيا الغربية التي أرسلت الى سورية المهندسين والخبراء الفنيين لمباشرة هذا المشروع العظيم .

وشهدت ما يقرب من هذه النهضة الصناعية في لبنان المزدهر اقتصاديا كل الازدهار ، غير أن المواد الاولية التي تستهلكها المصانع اللبنانية يستورد معظمها من الخارج باستثناء معمل الاسمنت والتبغ وسواهما مما يتغذى بمواد أولية لبنانية .

وفي مصر مصانع كبيرة للمنسوجات القطنية في الدرجة الاولى ، والاقطان المصرية مشهورة بجودتها ، كانوا في الماضي يصدرونها الى انكلترا وسواها ثم يستوردونها أقمشة مضاعفة الثمن أضعافا ،والفضل في هذه النهضة الصناعية لطلعت حرب مؤسس الصناعة المصرية وباني الاقتصاد المصري ، ثم اتسعت هذه الصناعات وشملت ميادين أخرى وخصوصا بعد اكتشاف مناجم الحديد ، وقد أنشأوا له في حلوان أفرانا كبيرة تصهر الحديد وتسكبه في قضبان وصفائح وسواها . وهناك معامل أخرى ولكن موادها الخام مستوردة من الخارج .

ونلحظ أيضا في الاردن شيئا من هذه النهضة الصناعية على ضيق هذه المملكة وضعف استعدادها ، ولكن بروزها يعني التفاؤل بالمستقبل .

ومع بناء المصانع والامداد والمنشآت الاقتصادية والعلمية والاجتماعية تبنى النفوس والاخلاق ، والنفس العربية من الجواهر الثمينة بطبيعتها ولكنها تحتاج الى الصقل والعناية فتصفو وتلمع ، فاذا لمعانها يعانق دخان المصانع ، واذا شدوها الانساني يرافق قعقعة العجلات والآلات ...

موكب
الرقي قوامه الجنسان

عندما هجرت وطني العربي كان المجتمع الانساني جامدا ضمن قيود التقاليد البالية وكان نصفه مغطى فلا حرية لعيونه أن ترى الاشياء كما هي ولا تراه عيون الآخرين كما هو ، فلما تبلّدت نيويورك واستوطنت الولايات المتحدة ، بدأت أدرك أن تقدم وطني الثاني يرجع بنجاحه واستعلائه الى اشتراك الجنسين في العمل ، كما أدركت أن جمود الوطن الاول سببه الجذري تخلف المرأة عن الاشتراك مع الرجل في معظم التوجيهات المدنية ، فقد كان رجلها يحسبها متاعا لا معوانا ، يأمرها بالتستر ولا يميل الى تعليمها ولا الى مرافقته في أي من أطوار اجتماعه ، غير فاهم أن العلاقة الصحيحة بينه وبين زوجه هي علاقة روح بروح تتقوى باستناد احداهما الى الاخرى ـ علاقة تقوم على أساس المساواة في الحقوق والواجبات وتتطلب أن لا يكون بينه وبينها أي

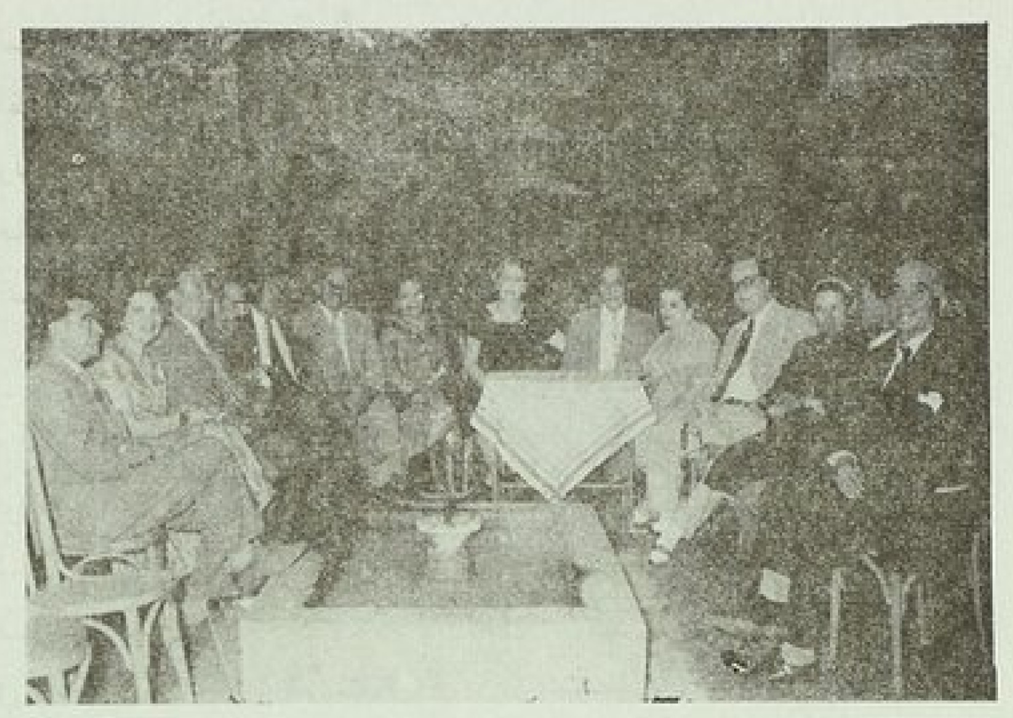
تمييز ، ولا سيما في عصر كهذا انحسرت فيه مظاهر الضعف عـن المرأة فظهر الخطأ الشائع منذ أول أزمنة التاريخ عن أن الرجل أقوى من المرأة ، ولهذا وجب أن يكون سيدها لا زوجها فقط ، وأن تكون هي في كل حال تابعة له في جميع طرق معيشته وضروب تصوراته وأهوائه ومنازع نفســه .

ولكم وجدتني سعيدا في دمشق خلال حفلتين اقيمتا لاستقبالي وكانت المرأة السورية العربية تسطع أنوار معارفها واختباراتها وخيالاتها فيهما . الاولى جرت في دار السيدة سارة مشاقة قرينة الاديب السيد شاكر ديب ورئيسة الجمعية النسائية الادبية ، وهي الجمعية التي عرفت فيما بعد ، أن أديبة دمشق ماري عجمي جاهدت لانشائها وترأست عليها في بدء انشائها .

رأيت في الحفلة أدباء من الجنسين وشعراء من الجنسين ـ ادبـاء وشعراء لا من الجنسين فحسب بل من مختلف الطوائف والمذاهب التي انحلت ظلمة فوارقها على أنوار الادب الصحيح والوطنية المنزهة عن كل ما يؤثر على علاقة اديب بأديبة الا ما يوجه تلك العلاقــة في طـرق الاجتماع المتحرك نحو محجات الرقي العقلي والروحي معا .

والحفلة الاستقبالية الثانية لا تقل عن الاولى روعة وجمالا واستخلاصا لروح الامة العربية الناشطة لتمزيق التقاليد التي أصبحت غير متفقة مع الآمال بنمو الروح العربية على عناية بذلك من قبل الجنسين معا .
وهي الحفلة التي دعتنا اليها الاديبة المجاهدة السيدة ثريا الحافظ رئيسة منتدى سكينة وقد أقيمت في دارها العامرة وجمعت جمهورا كبيرا من سادة الفكر والقلم وسيداتها ، ولكل منهم ومنهن نهج عصري في الادب العربي ينم عن وعي ناشط ووطنية خلاقة .

هنالك اتسع المقام لابداء صفحة رائعة من أدبنا العربي العصــري



اخذ هذا الرسم في حديقة السيدة المفضال سارة مشاقة نعمة رئيسة الجمعية الادبية النسائية في دمشق لرهط من المدعوين منها لاستقبالنا من قبل جمعيتها الكريمة . ويظهر من اليمين الاستاذ نظير زيتون فالسيد نجيب حرب صاحب جريدة الجبل سابقا فالكاتبة الشهيرة السيدة ودادسكاكيني فالسيد خليل نبكي فالسيدة سارة ربة البيت فعبد المسيح حداد فقرينته حفيظة فالاديبة السيدة ثريا الحافظ رئيسة منتدى « سكينة » فزوجها الاديب السيد منير الريس فالاستاذ سعيد الجزائري فالاديب المشهور الاستاذ سعد صائب فالسيد عبد الله عبود فالسيدة أولغا قندلفت فالدكتور عبد السلام العجيلي .



قرأناها سمعا بألسنة الادباء ـ قصائد من الشاعر محمد الحريري الحموي الاصل والدكتورة طلعت رفاعي الحمصية الاصل وغيرهما من شعراء الفيحاء وشاعراتها وادباء الجيل المتفتح لمحجات التقدم الروحي وأديباته المجاهدات مع زعيمة نهضة سكينة السيدة ثريا الحافظ وعلى أثر ذلك تقدمت الاديبة الآنسة عنايت رمزي وهي التي وصفها قلم جريدة النصر الدمشقية بالادبية المطبوعة المتمكنة واحدى فضليات

العاملات في الحقل التربوي فألقت الخطبة التالية في تقديم المغترب ضيف دمشق مؤلف هذا الكتاب :

« لعلي وأنا أقدم ضيف المنتدى الكبير ، الاستاذ عبد المسيح حداد أحد رواد الطليعة من فرسان الادب العربي في المهجر .. أكون أقرب ما أكون ، الى تهمة الضيف في الاطلاع على مآثر هذا الفارس وكنوزه ، وكيف لا أكون كذلك وفضله في جريدته (السائح) وفي (الرابطة القلمية) ، في حمل الوية العروبة في تلك الديار الامريكية ، قد اقتحم كل قلب عربي نأت به الدار أم قربت ، حتى غدت أقواله شعارات للأمة ومصدرا من مصادر يقظتها وحيويتها وانطلاقها وتجددها .

لقد كانت كلماته ومقالاته قنابل وقذائف تارة ... ووردا وأناشيد أخرى سكبتها حنجرته وقلمه واستطاع بايمانه واخلاصه أن يربط ماضي العرب بالحاضر ، والشرق والغرب ، وحقق لامة العرب اندلسا جديدة في أمريكا تفتح آفاقا جديدة في أذهان الغربيين .

لقد غنّى الاستاذ آمال أمته منذ مطلع القرن العشرين هذا وما زال يغنيها الى اليوم فكان زيتا في مصباح شعلة الامة ، بل دما حارا قويا دافقا في عروقها ، وصوتا داويا في ضمائرها وأسماعها .

ومن مثله ومثل زملائه أعضاء الرابطة القلمية والعصبة الاندلسية من حملة مشاعيل قد غنى أمته وبلاده ، بايمان وصدق وعقيدة واخلاص .

من مثل الاستاذ حداد ورفاقه ناصب المستعمرين والطغاة العداء وما زال يناصبهم وهم الذين نزحوا عن ديارهم أما فرارا من جور واما طلبا للرزق .

ولكنهم سرعان ما تجاوبت في صدورهم آلام امتهم فنظموا

آحاسيسها وخلجات وجدانها شعرا وأدبا ملؤها الحياة والامل والكبرياء الوطني ، واذا كلماتهم تجتاز المحيطات الى معاقل المجاهدين ، لترمي بهم في اللهب وعلى شفرات السيوف ، واذا العصبيات والاقليميات والانهزامية عندهم خيانة لكل وطن من الاوطان العربية وعبودية للمستعمر الدخيل •

ومن كالاستاذ حداد ورفاقه نحسبهم رصيدا ضخما لوعي هذه الامة وفكرها وادبها وتراثها العظيم •

ومن كالاستاذ حداد ورفاقه ذكر الربوع والاهل والعشيرة والوطن والامة كلها ، فكان كالام الفاضلة همها كل همها أن ترى وحيدها رجلا سيدا عزيزا حرا • لقد فتح الاستاذ عبد المسيح حداد ورفاقه اعينهم على ماضي أمتهم المضيء ، فانتشت نفوسهم طربا وقلوبهم ايمانا وعقولهم اجلالا ولكن واقع أمتهم يومذاك المظلم المرير قد هزهم من الاعماق ، فاذا النشوة العارمة حسرة في النفوس ، واذا الايمان بالامس الدابر كفر بالحاضر •

واتنفضت نفوسهم كبرياء وزهوا فاذا بالغرب الذي رادوه مرتزقين يغدو تحت أيديهم اندلس جديدة وعندما هتفت الرابطة القلمية في شمال أمريكا بدعوتها وتليها العصبة الاندلسية في الجنوب اندفعت مع العربية في زحفها وبنيانها ، فاذا روابط الفكر تقوم هنا وهناك ، واذا الصحف والمجلات ، وفي مقدمتها جريدة السائح للاستاذ حداد ، ومن ورائها أقلام اليقظة والنهضة ، دعوتهم جميعا فيها حيّ على العروبة حيّ على التآخي والتصافح ، حيّ على حرب الطغاة والمستعمرين — حيّ على الثورة والاستقلال •

لقد انطلقت النداءات محلقة من تلك الاجواء البعيدة فاذا هي برد وسلام في أرض الوطن الام على قلوب المؤمنين المخلصين واذا هي

حجارة من سجيل على رؤوس المارقين والمستعمرين ٠

لقد هزت صرخاتكم يا سيدي مضاجع النائمين في دنيا العرب ودوت صفوفهم فاذا اليقظة والحيوية واذا النخوة والاريحية واذا التضحية والفداء ، واذا الثورة العاصفة في كل صدر وقلب ، واذا هذه العاصفة كالنار الآكلة لم تستكن حتى طهرت ارض الوطن من المستعمرين وأذناب المستعمرين ٠

ولا أود أن أترك مكاني هذا ، قبل أن أذكر فضلك الجليل على الادب والادباء فلقد سننتم لهم في الرابطة القلمية السنة الاولى في جمع الشمل وتوحيد الكلمة وفي الثورة على الوقوفيين، نعم لقد كانت رابطتكم ثورة في الادب العربي وتنظيم النشاطات ، ثورة أضرمت النفوس وبهرت العيون وأعظمت شأن الرسالة التي لا بد للاديب من تأديتها ولو بشق النفس لان الادب الحق هو ابداع وهو دعوة ٠

وكنا نذكر عطفك على الادباء وفتحك صدر صحيفتك لتنمية قرائحهم فعندما احتجبت مجلة الفنون التي كان يصدرها المرحوم نسيب عريضة عام ١٩٢٠ لعجزها المالي ، وكانت يومذاك مسرحا لاقلام النخبة من رجالات الرابطة القلمية ، وملتقى الاقلام المتعطشة الى الادب الحي ، فتركت بتوقفها فراغا ، بدأ الادباء يتحولون الى السائح جريدة الاستاذ عبد المسيح حداد ، فينشرون فيها بعض ما تنتجه قرائحهم ويتناولون في مكتبه شؤون الادب والفن بأحاديث التشوق الى آفاق أجمل وأبعد ، وفي العشرين من نيسان عام ١٩٢٠ أحيى الاستاذ حداد واخوانه في ادارة المجلة ليلة ضمت جبران خليل جبران ونسيب عريضة ومخائيل نعيمة ورشيد أيوب وغيرهم تقرر فيها تأليف الرابطة القلمية ووضع قانون لها يحدد أهدافها ، وأنه ليشرفنا أن تكون أهداف منتدانا هذا مشبهة كل الشبه بأهدافكم التي جعلتموها دستورا لا للرابطة يومذاك فحسب

بل دستورا خالدا لكل تجمع أدبي ، من اهتمام بنشر مؤلفات أعضائها ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين وبترجمة المؤلفات الهامة من الآداب الاجنبية ومن منح جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة تشجيعا للادباء ، وابتداء من ذلك التاريخ راح أعضاء الرابطة ينشرون مقالاتهم في الجرائد والمجلات ، ويصدرون من جريدة السائح في رأس كل سنة عددا ممتازا زاخرا بمقالاتهم ، وآخذا اسم الرابطة بالانتشار عن طريق السائح في الاقطار العربية ، وراح الادباء على اختلاف منازلهم يحسبون لها حسابا ويترقبون صدور مجموعاتها فيتلقفونها بشوق ولذة .

واذا كان الحظ لم يسعفنا بأن ننعم بقراءة كل ما كتبتم في جريدتكم الغراء هذه ، فلا أقل بأن ننعم اليوم ، وقد اسعدتنا الايام بلقائكم على أرض وطنكم العزيز ، بعد أن أصبح قويا عزيزا مهيب الجانب ، لننعم بكم ملء العين وملء القلب ، نعم لا أقل من أن ننعم في هذه الدقائق بحديث منكم لا أندى منه ولا أعبق ، فننعم منه بطيب المبدأ وشرف المعتقد ، ونعيم الرأي الحق ، والتوجيه المخلص والعاطفة المضمخة بشرف العروبة وطيب ريحها » .

الـــوعي
الشامل طبقات الناس

بعد عودتي الى نيويورك كثيرا ما طُرح عليّ سؤال عن امتـــداد الفكرة الشيوعية في سورية خاصة • وهو الاساس في اعتقاد السائلين ، للدعوة الى توحيد الاقطار العربية في دولة واحدة •

أما أنــا فلــم أر في سوريــة ما يدعــم ذلك الاعتقــاد بأيــة حجة وكثيرا ما حاولت استخراج ما تكنه ضمائر الذين جالستهم والذين حادثتهم عن الشيوعية فكنت أجد منهم ميلا عنها واستهجانا شديــدا لاعتقاد الناس خارج البلاد بأن الدعوة الى انضمام الاقطار العربية في دولة واحدة كان عاملها الاول التخلص من سيطرة الشيوعية على مرافق البـــلاد •

ولعل السائلين عن ذلك هم من الجموع العالمية التي يذهب أفرادها الى اتهام الشيوعيين بكل ثورة تحدث في أي من بلاد العالم ، وبكل اضطراب يحدث في أي بلد تفتحت عيون أهله على الوعي الوطني لطرد اشباح الاستعمار والاقطاعية منه ، وللعمل على رفع مستوى الشعب برمته بجميع طبقاته على أساس العدل الانساني وفكرة تعميم حقوق هذا العدل بين طبقات الشعب وطوائفه وأجناسه .

ولست ألوم الذين طرحوا علي ذلك السؤال ، فقد عملت الحرب الباردة بين فريقي العالم الديمقراطي والشيوعي على توجيه كل سبب لقلق واضطراب أو ثورة داخلية في أي بلد من بلدان العالم الضعيفة الوعي والقاصرة عن مجاراة المواكب التمدنية في سيرها للحاق بها الى محالفة الدول الديمقراطية من قبل الدول الشيوعية والى هذه من قبل تلك ، حتى سئم العقلاء هذا الاتجاه الخاطىء على ضوء تفكيرهم في أن الشعوب الضعيفة القاصرة لا بد من أن تتخطى مضاجعها في عصر كهذا وتهب هبة مباركة لاصلاح حالها دون التفاتها الى مذهب أي من الفريقين .

وما لا بد من الاشارة اليه هو أن كلاً من الفريقين العالميين ،لايترك البلدان التي تفتحت عيون شعوبها على الوعي خشية أن يكون الفريق الآخر يمد يده لكسب الشعب الضعيف الثائر على ذاته ، الا أن حالا كهذا قد أخذ يلم أذياله ولا يمضي حين طويل حتى يستقر الفريقان معا على التعايش المزدوج فيترك عندئذ للدمقراطية وللشيوعية أن تتجنب كل منهما أي تدخل لا يعنيها في نهضات تلك الشعوب الآخذة بالوعي بعد عبوديتها لشتى ضروب الاستعمارات .

ويجب أن لا يذهب عن تفكيرنا أن تلك الشعوب الآخذة بالوعي والناهضة بعد سبات طويل الامد ، هي نفسها أيضا تعرض بعض

المفكرين الاجانب للافتكار بأن نهوضها نتيجة عمل أحد الفريقين العالميين • ولعل هذا ما عمل على اتهام سورية بالشيوعية • فقد شاءت حكومتها في البدء الاستعانة بالغرب فلما قضت الحال لوجود اسرائيل في فلسطين وميل الغرب الى عضدها الكثير وجد أولو الامر في سورية الباب موصدا بينهم وبين الدول الديمقراطية وأيقنوا أن حاجتهم أصبحت الى التوجه نحو الشرق الشيوعي لاستمداد عضده • ولما آنسوا منه ميلا الى السيطرة على بلدهم ، مالوا عنه وتخلصوا من نزوعه لضمه الى أقطار القناع الحديدي كما سمي بذلك مجموع الدول الخاضعة للنير الشيوعي •

واني لقائل الآن أنه لو لم تكن الشيوعية لعدمت الشعوب الضعيفة القاصرة أن تتفتح عيون وعيها ، فما هو جار في أقطار عديدة كالجزائر والكونغو ولاوس وعدن وغيرها من الاضطراب لا يمتّ بأي سبب الى أي من الغرب أو الشرق ، بل ان سببه الاصلي هو اندفاع شعوب تلك البلاد الى التحرر من الاستعمار الاجنبي والاقطاعية الداخلية ، والى النهوض بحالتهم وحالة بلادهم لاقتناص العدل الانساني وحقوق ذلك العدل المساوي بين جميع الطبقات الاجتماعية التي للشعب •

لم أر في سورية أثرا بائنا عن ميل الى الشيوعية او الى الغرب انما رأيت دعوة الى التحايد في الميل عن أي من الفريقين العالميين الغربي والشرقي مع بقاء المعاملة مع الاثنين على أساس العدل والمساواة •

وعندي أن أساسا كهذا على رغم جلاء حقيقته في الشعوب لا بد من أن يطول الزمن لتدعيمه وارتفاعه ، وذلك من جراء وجود فريقين عالميين يتنازعان عليه لان كلاً منهما يريد القضاء على الآخر ، ولان كلا منهما يخشى من الآخر تدخلا في شؤون الشعب الذي كان نائما وقد استوعى ونشط للحاق بركب الشعوب الحرة • وان العدل لا بد من أن يتغلب

على الحالة الحاضرة ، ولكنه اليوم بالنظر الى كثرة طالبيه وقيام دول الاستعمار المندحرة والدول التي تتخذ حجة لها للتدخـل في شؤون الثورات العالمية يرى نفسه تجاه صعوبة شديدة لشد أزر الشعـوب الراغبة فيه ولسان حاله اليوم هو : « صبرا أيتها الشعوب الناهضـة سأكون لديك ولك عندما يسهل طريقي اليك الا صبرا وان الله مـع الصابريـن » •

اقـــدم مدائن العــالم

دمشق أقدم مدائن العالم ، فيها يلتقي موكب العصر الحديث بمواكب العصور من أول التاريخ القديمة الباقية آثارها شهودا على حوادث عديدة لها قيمتها في تطور البشرية ، وعلى فتوحات غريبة وغارات دموية لا عدّ لها تشير الى امتداد الحسد في نفوس أساطين دول الزمان القديم لتقدم مدائن العالم واعتبارهم أن احتيازها يضعهم في أعلى مراتب الفاتحين الممسكين بزمام العالم كله • وكل هذا انتهى ، حمداً لله ، عن استقـلال عربي كامل فأصبحت دمشق عاصمة سورية وعاصمة الحرية والعروبة والوحدة العربية الكبرى •

ودمشق المحافظة على آثارها القدمى والقديمة والعصرية ، هي بمثابة متحف عظيم يرى فيه الزائر مختلف الصور لكل زمان ولكل غارة مـن غاراته • يرى فيه آثارا رومانية واغريقية ومسيحية واسلامية • يـرى فيه الجامع الاموي العظيم الذي يحمل الزائر مهما يكـن دينه على

التخشع . وقبر صلاح الدين بطل الحروب التي نشبت بين قواته العربية مع جيوش الصليبيين الذين اندثر طغيانهم فأعيد حق البلاد الى سكانها الاصليين العرب والذين من أصل عربي . وفيها يرى الزائر بلدا عصريا من أروع ما يشاهد في بلدان الغرب على الرغم من أنه طبع على غرار الغرب نفسه . وفيها الحدائق العديدة ، فلا يتطلع الزائر من نافذة الفندق الا لتقع عينه على حديقة أو أكثر . وفيها اليوم النشاط البارع على أيدي الناشئة المتعلمة المثقفة بشتى ضروب العلوم والفنون . وفيها الجمعيات من الجنسين آخذة بدوافع الوطنية الجديدة للعمل على تنشيط كل سبب للرقي الاجتماعي . وفيها الجامعة السورية وغيرها من المدارس الحكومية الابتدائية والتجهيزية ترسل طلابها المنتهين ألوفا ومئين كل سنة مستعدين لتولي شؤون البلاد بمقدرتهم العلمية وعاطفتهم الوطنية المتنامية في صدورهم والمحققة لاحلامهم ولآمال وطنهم بهم .

عندما هبطت وقرينتي دمشق للمرة الثالثة والأخيرة لننتقل منها الى القاهرة عرفت أن نسيبي الحبيب السيد احسان مراش تعين مديرا لهيئة الدعاية والانباء . وقد حاولت الاجتماع به للتعرف عليه فكنت أرتد عن ذلك لمضيه في شغله الذي قيل لي أنه لا فراغ بين ساعاته فعقدت النية على أن أقصده في منزله في الليلة الاخيرة . وكان أن الاستاذ وجيه الحفار الصحفي والكاتب الرشيق الذي تعرفت اليه في نيويورك منذ بضع سنوات ألحّ عليّ بدعوة للعشاء في أحد مقاصف دمّر فشكرت له دعوته وسألته أن يعفيني فلا وقت لدي لزيارة نسيبي احسان المراش الا تلك الليلة فابتسم السيد وجيه وقال لي أن احسان سيكون معنا فهو لا يستطيع الاجتماع حتى بوالديه لكثرة ما لديه من الاعمال وقد دعوته ليكون معنا فحمداً لله لانه سيجتمع بك فتتعارفان بادبكما ونسابتكما أيضا .

وخلال الاسبوعين الأولين من آخر شهر تموز ، وهما الاسبوعان اللذان اعدتهما مديرية الدعاية والانباء لاستضافتنا الرسمية ، كان فندق سميرأميس تمتلىء قاعته كل يوم من الصباح الى المساء بالقادمين للتسليم علينا من أعلام ادباء ووجهاء وزعماء وشيوخ وشبان وسيدات وأوانس نلتقيهم بلهفة ومحبة وتتبادل مختلف الموضوعات في الاحاديث ولا سيما مع مندوبي الصحف العربية المثلين لها في شتى الاقاليم والبلدان .

ومنهم كان الاستاذ ميشال الله ويردي صاحب كتاب « الموسيقى والسلام » وهو شاعر وكاتب قدير ، وكان يأمل بأن ينال على كتابهجائزة نوبل ، وكنت له عونا في جريدتي السائح عامئذ بعد اطلاعي على كتابه دون ان أعرف واضعه الكريم شخصيا .

جاء ميشال بسيارته قائلا أنه يرغب في زيارتنا معه دير صيدنايا لتغيير الهواء ولاستراحتنا من عقد الاجتماعات في الفندق فركبناسيارته وذهب معنا الاستاذ نظير زيتون الاديب المهجري المشهور وشقيقته الآنسة جوزفين وكانا قد رافقانا من حمص الى دمشق كما رافقانا في معظم الحفلات والزيارات .

وصيدنايا بلد عربي عامر يحتوي على أكثر من دير وأكبر ديارها وأقدمها دير راهبات الطائفة الارثوذكسية ، وهو قائم على أعلى هضبة كأنه قلعة عظيمة ، يشرف على جميع جهات البلد من عل وعلى جميع مبانيها . وقد استقبلتنا بوجهها الباش ، كأنه رقعة من ايقونة مقدسة ، الحاجة الام مريم حسون المعلوف الوافرة الفضائل النفسية والمرشدة المدبرة بأدبها الرائع ومداورتها شؤون الدير ، وليست هذه الشؤون بما يستهان به ، وهي شقيقة الاديب المهجري الاستاذ جورج حسون المعلوف نزيل البرازيل وقد طافت بنا الحاجة الام مريم على مباني الديروكنيسته

واغدقت علينا من تحفه هدايا تذكارية لرحلتنا تلك • وعند الغداء على مائدة الدير ، وكان اليوم يوم جمعة وهو يوم صيام فيه ، تطلعت الينا بوجه ظهرت عليه علامات الكدورة فذكرت لنا أن مائدتها اليوم صائمة عن اللحم ولهذا فألوان طعامها زيتية ولكن في مستطاعها أن تضيف الى تلك الالوان شيئا من اللحم المشوي لان ادارة الطبخ تذبح الآن الخرفان لليوم التالي •

فابتسمت أنا لوداعتها وشعورها اللطيف وقلت لها اني وقرينتي لسنا بصائمين ولكننا نرحب بمثل ألوان المائدة لاننا تعبنا من طعام اللحوم • وهكذا قال الجميع مثنين على كلامي الا (نظير) فلم يثن لأن معدته لا ترتاح الى الزيت والنواشف ولكنه لم يعترض • الا ان الحاجة الام ، على رغم ما قلته لها ، أمرت بأن يؤتى باللحم المشوي لمن يريد منا •

وعلى أثر ذلك الغداء ودعنا الدير ومديرته شاكرين ممتنين مضيفين الى خبرتنا عنه أنه يحتوي على ميتم كبير تعد أيتامه بأكثر من مئة يربون فيه ويتعلمون • وعندما تنتهي سنو تربيتهم وعلمهم يأخذون طرق حياتهم العلمية • ومنهم عديد من البنات يبقين فيه اما راهبات واما معلمات واما راغبات في الاقامة لانه أصبح لهن بيتا لايردن غيره تحت ادارة تلك الام الصالحة المفضال •

حمص ثانية قدمى مدائن العالم

تعد حمص المدينة الثانية بعد دمشق بأقدميتها وهي الثالثة اليوم في سورية بكبرها ، فعدد نفوسها صعد الى مائتي الف نسمة • وماكبرها هذا الا نتيجة النشاط الذي أنعم به عليها الاستقلال والاستقرار ، فقد تعددت مصانعها وازدحم العمال عليها يريدون عملا • وقد قيل لي أن أكثر من أربعين ألف عامل هجروا جبال العلويين الى حمص فتبلدوها لانهم وجدوا فيها كل مجال للارتزاق • والقادم من دمشق الى حمص

يرى لهؤلاء اضافة كبيرة لحمص عند قلعتها حيث يشاهد بلدا كبيرا سكن فيه أولئك العاملون المجتهدون الذين هجروا أريافهم للعمل وطلب العلم .

وفي حمص جامع خالد بن الوليد القائد العربي العظيم وأحد أصحاب النبي العربي ، وهو جامع قد تجدد بناؤه على غرار الجامع الاموي في دمشق منذ أكثر من نصف قرن ولا يزال التجديد فيه عاملا . زرناه مع العزيز نظير زيتون واعجبنا ايما اعجاب به وبفنون بنائه وبالحفاوة التي يقدمها القائمون على ادارته لكل زائر لا فرق ان كان وطنيا أو أجنبيا ، مسلما كان أم مسيحيا . وقد علمنا أن همة محافظ المدينة منصرفة الى توسيع حدائق الجامع ليصبح من أكبر مزارات البلاد وأروعها .

وحمص بلغت منذ استقلال سورية أوج الصناعة ، ففيها اليوم مصنع السكر الكبير المستخرج من الشوندر الابيض الذي دلّ الاختبار على أن أرض ضواحي المدينة صالحة لزرعه واتيانه بالسكر من أحسن أصنافه . كما تقوم فيه مصانع كبيرة للنسيج والاحذية والسماد والسمنت . وفيها مزارات دينية عديدة مسيحية واسلامية كما أنها كثيرة الآثار التاريخية القديمة ومنها آثار معبد الشمس الروماني الا أن هذه الآثار لذلك المعبد قد أزيلت في العهد الأخير وكان أولى بذوي الامر الاستبقاء عليها . ومنها أيضا قبر القديس ايليان الشهيد الروماني وهو قبر من اروع أصناف المرمر يقيم في مؤخر هيكل الكنيسة .

وحمص بلد النوابغ منذ أقدم الازمنة ، ومن أبنائها الرومانيين الفيلسوف كاسيوس لونجينوس ، ومن ابنائها العرب الشاعر الشهير ابن رغبان المسمى بديك الجن . ومن أبنائها الذين نبغوا منذ نحو قرنين الشاعر الملهم أمين الجندي . ومنهم في مستهل القرن الحالي الشهيدان الوطنيان العلامة عبد الحميد الزهراوي والاديب رفيق رزق سلوم وهو

رفيق صباي على مقاعد المدرسة الابتدائية .

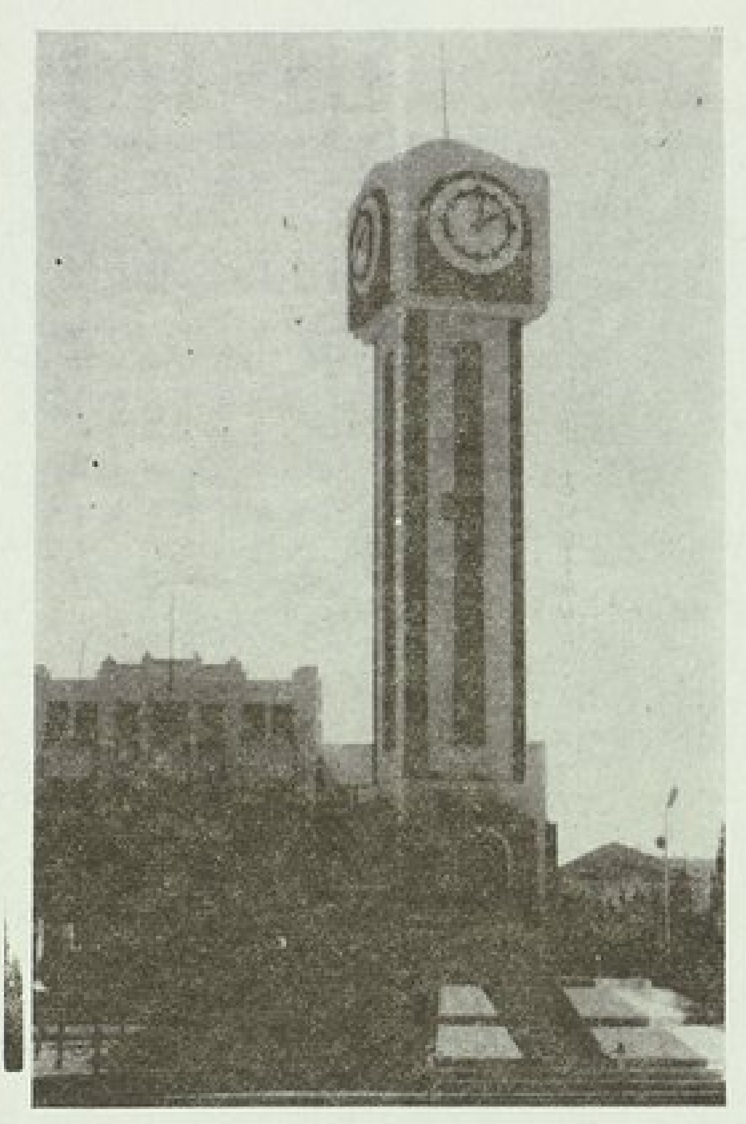
أذكر هذه الاسماء لنفر من نوابغ حمص العزيزة مع الاسف الشديد لان المدينة لم تحفل باستطلاع مساكنهم أو أضرحتهم لتقوم عليها صروح التقدير فيؤمها السياح ليذكروا على الدوام أن حمص كانت وما زالت بلدا منجابا لاعلام نوابغ في كل عهد من عهودها التي تقلبت عليها منذ بدء تاريخ العالم .

وحمص العصرية تفخر بشباب نبغوا بعلمهم وبينهم الشاعر البارع محي الدين الدرويش والشاعر الرقيق رفيق الفاخوري والشاعر البليغ رضا صافي والشاعر المجيد وصفي قرنفلي وموريس قبق ، عدا جمهور كبير من أصحاب أقلام بارعة وشعراء تفتحت قرائحهم على نظم المعاني بأسلس مبانيها وأروع مجاليها .

ساعة لذكرى أسعد عبد الله الحداد

في ساحة مدينة حمص أمام سراياها تقوم ساعة كبيرة على برج مرتفع هي هدية ابنة العم المحسان المفضال السيدة كرجية أرملة ابن العم المغفور له أسعد عبد الله الحداد الحمصي العصامي الكبير في سانباولو البرازيل .

هي هدية قدمتها المهدية الكريمة تذكارا لحياة زوجها أسعد الذي ما جمع مالا في غربته الا ليفيض منه تبرعات كبيرة لمشاريع خيرية للجالية العربية السانبولية ، كما جاد بماله على الانشاءات العمرانية في سورية وطنه . ولما عاجلته المنية حفظت أرملته ما كان يجول في نفسه من تقديم احساناته لمشاريع حمص وغيرها فعكفت على تحقيق أحلامه بعد وفاته فقامت برحلات الى سورية حيث تبرعت عن روحه بسخاء للجامعة السورية في دمشق وللمياتم والمدارس في حمص ودمشق وغير ذلك كثير يؤلف جميعه ثروة كبيرة ذهبت كلها لذكرى الرجل المقدام الصالح الجواد .



برج الساعة الذي شيدته المحسنة الجليلة السيدة كرجية عبد الله حداد وقدمته هدية الى مدينتها حمص .

أرى الواجب يدعوني الى عرض هذه السطور عن اثنين من أبنـاء عائلتي الحدادية المرحوم أسعد وأرملته كرجية فلقد أحسست الفخر ترتكض عوامله في نفسي حينما وقع بصري على ساعة كرجية في ساحة حمص الكبرى أمام سرایاها فذكرت ولست بالناسي فضائل الرجل الذي أكبر اسم العائلة وأعظم شأن الاحسان في جالية سانباولو وفي وطنـه

الاول سورية ثم فضائل أرملته التي انطقت نفسها بأحلام زوجها في تعهد مشاريع وطنه الاصلاحية الخيرية باحساناته فعكفت على تحقيقها لذكرى روحه الطيبـــة •

الساعة في حمص لذكرى رجل عمل كثيرا وأنفق كثيرا في سبيـــل المشاريع العمرانية في حياته وقد أكملت أرملته تمنياته لوهب احساناته بعـــد مماته •

أجل هي ساعة تحمل الناظر اليها على أن يسأل عنها ليعلم أن التي تبرعت باقامتها هنالك وهبت الكثير الكثير عن نفس قرينها الراقد بسلام في أحد مدافن سانباولو البرازيل • وعندما يسأل الناظر الى تلك الساعة عنها تتوارد على سؤاله الاشارات الى أعمال أعظم منها وأوفر حسنـــا واحسانا لعدة مشاريع عضدها أسعد عبد الله الحداد المغترب الذي أسعده الله بنجاح كبير وبزوجة عرفت بعده كيف يجب أن تعبّق بخور ذكراه في مغتربه ووطنه الاول كما أسعده بخير الابناء السائرين على خططه ومبادئه الساميـــة •

مباركة هي روح أسعد فقيدنا الكبير ومباركة هي نفس أرملته التي أتمت موحيات زوجها حتى بعد رقدته الأخيرة وأطال الله بعمرها لتكثر مفاخرنا بها وبعائلتها الكريمة •

الطواف على
محافظات سوريـة

كانت حرارة الصيف لدى ابتداء الرحلة الى سورية مزعجة جـدا وقد اضطرني ذلك الى أن أطيل المكث في حمص بين الاهل والانسباء لاعتدال صيفها ، وتحرك هوائها ولا سيما عند الامسية • ولكم ألح علي رفيقنا من قبل مديرية الدعاية والانباء ، السيد عبد الله عبود بمباشرة الطـواف على محافظات سورية فكنت ألح عليه أيضا بالتمهل حتى قدوم شهـر تشرين الاول ، لأن الحر أعدى أعدائي وأخشى أن يسلبني رغبتي في الـدرس والاطلاع •

في الاسبوع الاول من ذلك الشهر قدم علينا السيد عبود من دمشق الى حمص ، فودعنا الاهل وسارت بنا السيارة الى مدينة حماه مدينة أبي الفـداء وهنـاك زرنا محافظهـا فأخبرنـا أنـه علـم قبـل قدومنـا بزيارة حمـاه ، ولهـذا أعد لنـا غداء في الفنـدق دعـا

اليه رهطا من وجوه المدينة عند الساعة الثانية ، وكان لدينا زهاء ثلاثة ساعات حتى موعد ذلك الغداء ، ولهذا طلب منا المحافظ أن نزور معاهد المدينة خلال هذه الساعات فقمنا بزيارة قصر آل العظم الذي هو أثر عظيم من آثار البناء العربي البالغ أوج الفن وابداع بنّائي القرن السابع عشر في النقش والتركيب والتنسيق والرسم الموشى بالذهب على حيطان القاعات الرحبة وما في البناية من تحف ومفروشات محلّى معظمها بالنقوش المذهبة وغير ذلك من برك الماء وباحات الاستضافة وقاعات الاجتماع الموشاة بالذهب والاصباغ المختلفة . وقصر آل العظم هذا تحول منذ عام ١٩٢٠ الى متحف بطريق الشراء من قبل دار العلم والتربية الاهلية وما بقي من قاعاته أصبح لصفوف مدرسة تجهيزية تحيط بها الحدائق الغناء وكذلك الابنية الفخمة التابعة لها ، وقمنا بعد ذلك بزيارة مكتبة حماه العمومية التي كان يتولى ادارتها الاستاذ سامي السراج رحمه الله ، وهي مكتبة يستعين الطلبة بالاطلاع على ما يريدون استكشافه من العلوم . وقد حدثنا الاستاذ السراج عن سير المكتبة المتتابع وعن أمله بصيرورتها وافية بحاجات الطلبة الى الاطلاع وحاجات الراغبين من الوطنيين في تحصيل الفوائد العلمية خلال ساعات فراغهم .

ولما انتهينا من زيارة معالم المدينة رأينا أنه لا يزال لدينا بعض الوقت لغداء سيادة المحافظ فاقترح دليلنا أن نزور سيادة المطران اغناطيوس حريكة ، قائلا انه من أكثر الزعماء الدينيين وفاء بعهد العروبة . فرحبت باقتراحه ورجوت أن يخاطبه بالتلفون ففعل فسمعنا سيادته يقول أنه منذ الصباح يتوقع زيارتنا فقد سار في المدينة خبر قدومنا الى حماه وزاد على ذلك قوله أن عنده الآن أحد أنسبائي السيد ناظم مرهج ينتظر أن يجتمع بنا . فأسرعنا الى دار المطرانية الارثوذكسية وكان اجتماعنا بسيادته وبالسيد مرهج من أبهج الاجتماعات ، فقد عرفت سيادته في

سان باولو البرازيل سنة ١٩٤٨ ، حين زار الجالية العربية الموافق لحين زيارتي لها • وقد سبق لي في الرحلة الى الوطن أن اجتمعت بسيادته في دير القديس جاورجيوس منذ بضعة أسابيع اذ علم من سيادة رئيس الدير أزماعنا زيارة ديره للاجتماع برفيق العمر الاستاذ اسكندر اليازجي العليل في بلدة مرمريتا • وقد قام بعقد هذا الموعد العزيزان جدا السيدان عبد الباسط وفرحان أتاسي نجلا السيد الجليل عبد الهادي الاتاسي فخاطب في الحال أخاه مطران عكار والحصن سيادة ايبفانيوس زائد وحضرا الى الدير قبل وصولنا حيث أخبرنا رئيس الدير أنه لم يستطع احضار اسكندر ولان الدير لا سيارة لديه فاقترح عبد الباسط أتاسي أن نذهب الى مرمريتا بسيارته فنحضره ليتناول الغداء معنا •

وهكذا قصدنا مرمريتا ودخلنا فجأة الى منزل آل اليازجي فدهش اسكندر أيما دهشة واندفعنا نعانقه وهو يذرف دموعه بكثرة ونحن نذرف دموعنا كذلك بكثرة وأقمنا معه نحو ساعة • ولما رغبنا في اصطحابه معنا استعذر عن ذلك لانزعاجه ولصعوبة السير على الطريق •

وقد وعدناه بزيارة ثانية بعد حين الا أن وعدنا حالت دون تحقيقه شواغل عديدة •

وقد سبق لنا أن قمنا قبل ذلك اليوم ببضعة أسابيع بزيارة غير رسمية لمدينة حماه دعانا اليها من حمص أديب حماه وأحد عيونها الدكتور أديب نصور فأرسل سيارته الى حمص لنقلنا اليه مع الاستاذ نظير زيتون ونسيبة الدكتور نصور السيدة نظيرة وقرينها السيد شوقي الحموي شقيق حفيظة قرينتي مضيفنا في منزله أيام استراحتنا في حمص •

وهنالك في منزل آل نصور جلسنا الى مائدة كبيرة التف حولها رهط من أرباب الهيئات الادبية في المدينة بينهم شاعرها الكبير الاستاذ بدر الدين الحامد الذي فتح علينا احاديثه الطلية وهو من أبرع المحدثين

في غزارة علم وقوة الهام في ذكاء وجرأة كثيرين • ومنهم الصحفي الرصين الاستاذ محمد الحافظ صاحب جريدة (الفداء) •

في مكتب سيادة المطران حريكة علمنا منه أنه مدعو من محافظ المدينة لتناول الغداء معنا ، ولهذا ودعناه على أمل الاجتماع به في الفندق ، وودعنا نسيبنا الحبيب ناظم مرهج على أمل أن نجتمع به وشقيقه السيد فريد في حمص لدى عودتنا من محافظات الشمال •

وعند الساعة الثانية قصدنا فندق أبي الفداء حيث أعد غداؤنا مع سيادة المحافظ ومدعويه من وجوه المدينة وكان اجتماعنا من أغنى الاجتماعات الادبية الوطنية • ولما انتهى غداؤنا ودعناهم جميعا وسرنا الى سيارتنا التي أخذت طريقها بنا نحو مدينة حلب الشهباء • وقد مرنا بمعرة النعمان وشاهدنا ضريح فيلسوفها الشاعر رهن المحبسين أبي العلاء المعري • ثم تابعنا السير الى محجتنا في ذلك النهار أي حلب الشهباء • وهي كبرى مدائن سوريا وأعرقها في التجارة والصناعة اللتين كانت حلب عقدة الوسط لهما بين سورية والانضول والعراق وغيرها • أما بعد الاستقلال فقد خسرت أسواقها تلك الميزة التجارية الصناعية ، الا أن نشاط أهليها فتح عليهم أبوابا أخرى لمد تجارتهم وصناعتهم الضرورية التي تغني البلاد عن أسواق أوروبا ففيها اليوم مصانع كبرى للنسيج بفنونه العصرية وللسماد والاحذية وغير ذلك مما تحتاج اليه سورية وغيرها من الاقطار العربية •

وحلب مدينة يرى السائح فيها ازدحامات شتى رائعة في أسواقها القديمة والجديدة حتى ليضطر الى السير على مهل بين الجماعات المزدحمة ليجتاز من سوق الى أخرى • وقد أمضينا بعض الساعات مع الاديب الكبير الاستاذ محمد علي الكحال صاحب متحف كبير للمخطوطات العربية القديمة وكان اعجابنا عظيما باختباره الكثير للمخطوطات وبولوعه

بتجبيعها وفيها الكثير من أغلى وأثمن ما يباع ويشرى ٠

واتفق في أثناء أقامتنا في حلب أن دعينا الى حفلة اعطاء الشهادات للطلبة المنتهين في مدرسة الضباط ٠ فلبينا الدعوة بسرور اذ يتاح لنا حضور مثل هذه الحفلة العسكرية النادرة وقد دامت من ساعة قريبة بعد الظهر حتى ساعة متأخرة من المساء ، فبعد اعطاء الشهادات لمستحقيها، قام طلاب المدرسة بألعاب عسكرية تفننوا بها ما شاء تفننهم على ارتياح النظارة واعجابهم الكثيرين وكان الحشد الناظر ألوفا عديدة ٠ وقد شاقنا أن نرى الضباط السوريين يضاهون بتدريبهم العسكري أحسن الضباط الاجانب ٠

وفي حلب وفد علينا جمهور غفير من سكان المدينة للتسليم علينا وللتعارف ، وكان في مقدمتهم أديب حلب الكبير وصحافيها الاستاذ عبد الله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد ، وهذا الاديب الموهوب له عطف خاص على أدباء المهجر الكبار كالقروي ونظير زيتون والياس فرحات وسواهم وللمغتربين في نفسه مكانة رفيعة ٠

وكان هذا الاديب خير رفيق لنا وقد عقد لنا سهرة في منزله العامر حيث تعرفنا الى عائلته المباركة بسيدتها الاديبة وأولادهما الاذكياء اللبقين ٠ ولم يكتف عبد الله بتلك السهرة الزاهرة بل دعانا لقضاء سهرة اليوم التالي في حديقة المسبح العائلي ٠ وهناك جلسنا الى مائدة تحت ظل شجرة باسقة الاغصان ٠ وقد اثقلت المائدة بعديد الوان الاطعمة والتوابل اللازمة للكؤوس وأمامنا مسرح للرقص العام ينتهي بدكة الغناء والعزف ٠ وقد تشكل العزف من جوقة بارعة في الموسيقى العربية ومحافظة على الالحان القديمة التي كان يلقيها غناء بعض ذوي المواهب بجميل أصواتهم ، فكانت سهرة من أجل السهرات بين مئات عديدة من الموائد التي اجتمع حولها جماهير الحلبيين وأصدقائهم ٠ والحلبيون

مشهورون قبل غيرهم من سكان سورية بالميل الى الموسيقى عزفاً وغناء • ولقد كرهت نفسي بعد الساعة الاولى من صباح اليوم التالي وأنا بمثل ذلك الحال اذ شعرت بالكرى يدنو من عيني ، واذا بي افتحهما على سماعي اسمي من فم عريف الحفلة يقدمني للجماهير ، فوقفت على تندية الاكف بالتصفيق أحييهم بيدي الا أنهم ألحوا عليّ بالقاء كلمة فألقيتها كلمة خاطفة أو بالاحرى كلمة ناعسة •

ولقد قمنا بزيارة محافظ حلب فرأينا فيه روح الشباب متحليا بآيات الذكاء والثقافة ، فحدثنا وحدثناه فانتشت نفوسنا بخمر أدبه ووطنيته • كما زرنا قلعة حلب ودار كتبها وبعض مصانعها الكبرى مما أثار فينا الاعجاب بهمم أهلها ونشاطهم في حلبات العمران من أية نواحيه •

وهناك قبل مغادرتنا المدينة دعينا الى مأدبة فخمة تقيمها السلطة العسكرية في نادي الضباط في حمص • احتفاء بالمغتربين الحمصيين الذين يزورون وطنهم بعد غياب طويل ، ورأينا عندئذ أن نختصر اقامتنا في اللاذقية لكي لا نضطر الى السفر منها واليها مرة ثانية •

وبلغنا اللاذقية بعد ظهر اليوم الخامس فلم يشأ مرافقنا السيد عبد الله عبود الا أن نستودع الفندق حقائبنا ثم نعود حالا الى السيارة تنهب بنا الجبال والاودية حتى بلدة كسب المصيف السوري الشهير القائم بين الاحراش المكتظة الاشجار العالية والوارفة الاظلال لمسافات بعيدة حتى حدود تركيا ـ واستغفر الله ـ فالحقيقة هي أن تلك الحدود سورية تبدأ منها منطقة الاسكندرون التي سطا عليها الطمع التركي فتناولها هبة لصوصية من يد الانتداب الفرنسي قبل الحرب العالمية الثانية • وكم حزّت في قلوبنا مشاهدتنا الخفر التركي عند تلك الحدود المنهوبة ، وكم تمنينا على عدل الله في خلقه أن يعيد حق سورية اليها ، على رغم معاطس المعتدين الناهبين •

وأقمنا في كسب بعض ساعة في مقهى جميل يطل على واد ممرع بالاشجار وذي مشهد رائع • وفيما نحن على أهبة مغادرة المكان اذا بمدير الناحية وهو ضابط عسكري قد حضر لاستقبالنا فعدنا الى مقاعدنا نتحدث معه عن جمال الطبيعة في كسب وصلنفة ، وتمنينا على الله أن تزداد تلك المنطقة عمرانا لتصبح من أروع الاماكن للاصطياف • ثم ودعناه على الرغم من الحاحه علينا بالبقاء في البلد ، مفهمين اياه بأن الوقت لا يسمح لنا • وأسرعنا الى سيارتنا لان رذاذا بدأ يرسل قطراته فسارت بنا عائدة الى اللاذقية •

وفي اليوم التالي نهضنا باكرا لنجعل ساعات نهاره كلها وقفا على الطواف في منشآت المدينة وأخصها الميناء الجديد • فقصدنا سيادة المحافظ في السرايا وهو شاب ضابط في الثانية والثلاثين تلتمع دلائل الذكاء والنشاط على محياه • ولما أخبرناه بأن اقامتنا لن تطول في عاصمته ظهر على ذلك المحيا علائم الانزعاج ، ولكنه نزل الى خطتنا مضطرا ثم أخذ سماعة التلفون طالبا ادارة الميناء فأصدر أمره بأن يستعد لاستقبالنا أحد المهندسين ومعه سيارة عند البوابة الثامنة وقد طلب من السيد مصطفى عمران الكاتب الرئيسي الموظف في شعبة الدعاية والانباء أن يرافقنا في الطواف على المنشآت والمصانع ثم ليكون رفيقنا في متابعة سفرنا الى منطقة صافيتا فهو من أبنائها الاعلام ويعرف طرقها جيدا وما فيها من الاماكن التاريخية التي نرغب في زيارتها •

سارت بنا سيارتنا الى مداخل الميناء وعند البوابة الثامنة تقدم الينا شاب طلق المحيا فعرفنا بنفسه وأنه مستعد لخدمتنا في الاطلاع على منشآت الميناء وطلب منا أن ننتقل الى سيارته ففعلنا • وللحال سارت بنا تنقلنا من مكان الى مكان ، ومن بناية الى أخرى ، وما يتخلل كل ذلك من المستودعات الضخمة والآلات العصرية الجبارة للرفع وللنقل ،

وما الى ذلك من لوازم الميناء الذي اكتمل بناؤه ، وأقبلت على الاتفاق مع ذوي الامر فيه شركات البواخر للرسو في حوضه وتفريغ محمولاتها من البضائع ومعظم هذه البواخر تجارية وقليل منها حتى الآن لنقل الركاب •

ولقد حدا بالشاب المهندس رفيقنا الى سؤاله لنا من أي البلدان نحن • فلما اخبرناه أننا من حمص تهلل وجهه وقال أنه أيضا حمصي ولما عرفنا بهويته اذا به من أنسباء القرينة ، فازددنا به استئناسا •

وعلى أثر ذلك انتقلنا الى يخت أعد لسياحتنا البحرية ، فطاف بنا أولا حول مدار الميناء حيث ترتبت فيه مبيتات البواخر ثم مخر بنا الى خارج الميناء عرض البحر لسياحة جميلة اقتضت بعض الساعة ثم عدنا الى المرفأ وودعنا رجال ادارته لنعود الى سيارتنا التي نقلتنا على هداية السيد مصطفى عمران الى أكبر مصانع اللاذقية ألا وهو مصنع التبغ حيث يعمل ألوف العمال والعاملات على مختلف الآلات العصرية لتنقية أوراق التبغ وفرمها وتوضيبها للصر علبا خاصة للتبغ (التنباك) المقصود به التدخين على الاراكيل • وللصر علبا للفائف السيكارات •

وعدنا بعدئذ الى الفندق حيث تهيأنا للتجوال في بعض مناطق المحافظة فتحركت عجلات السيارة بنا من اللاذقية بعد الظهر ، وكان معظم الطريق على الساحل الذي قال لنا عنه مدير الميناء في اللاذقية أنه سيكون معظمه ميناء واحدا من اللاذقية الى طرطوس ، ولهذا فالادارة تعمل على اكثار عدد المهندسين المختبرين • وذكر عند هذا أن عددهم في سورية لا يزيد على خمسمئة فيما أن الحاجة الى أكثر من خمسة آلاف مهندس •

وهنا أرى من الضرورة أن أقتبس شيئا من نشرة للاديب مصطفى عمران رفيقنا في طوافنا على بلاد المحافظة جاء فيها ما يلي عن آثار المنطقة الساحلية :

« يتمتع الساحل باقليم لطيف وجمال طبيعي أخاذ وموقع استراتيجي محمي بالجبال مما جعل المنطقة منذ العصور القديمة مركز حضارة زاهية اشتغل أهلها بالزراعة والصناعة والتجارة ومهروا الملاحة فمخروا عباب البحر الابيض المتوسط وأنشأوا على سواحله مراكز تجارية كانت صلة الوصل بينهم وبين شعوب البحر » •

وما يلي أيضا قول الاستاذ عمران في رأس شمرة المدينة التاريخية التي اكتشفتها بعثة فرنسية :

« رأس شمرة مدينة فينيقية من القرن الخامس عشر قبل المسيح واسمها القديم (اوغاريت) وهي تقوم على مرتفع على بعد أحد عشر كيلو مترا من اللاذقية شمالا وتبعد عن البحر كيلو مترين ولها ميناء على البحر يسمى ميناء البيضاء كانت تجمع فيه البضائع لتصديرها عبر البحر • وكان أكثر تعامل أهلها مع سكان كريت وجزائر ايجه اليونانية »•

« قامت بعثة فرنسية برئاسة الدكتور كلود شيفر بالحفر وقد اكتشفت المدينة صدفة في سنة ١٩٢٨ وقامت أعمال التنقيب فيها سنة ١٩٢٩ وتوقفت بسبب الحرب العالمية الثانية ثم استؤنفت بعد الحرب ولا تزال أعمال التنقيب تجري في خريف كل سنة من قبل البعثة نفسها تتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف بالتنقيب في المدينة القديمة فكشفت حتى الآن عن القصر الملكي وتوابعه ويستدل بأعمال التنقيب أن المدينة كانت على صلة وثيقة مع فراعنة مصر ومع شقيقاتها الدويلات الفينيقيةالاخرى الا انها كانت تعاني من تدخل الدولة الحثية فيشؤونها مما اضطرها أحيانا الى الاستعانة بالمصريين وقد وجد في رسائل تل العمارنة في مصر ما يؤيد هذه العلاقات » •

« تقع الاحياء الشعبية شمالي القصر الملكي ويلاحظ أن المدينة

مقسمة الى أحيـاء تفصلها شوارع مستقيمـة متعامدة ومتوازيـة تقريبـا » •

ومحافظة اللاذقية مررنا بعرضها من حلب الى قاعدتها وبطولها من اللاذقية على الساحل حيث مررنا بعديد البلدان المطلة على البحر المتوسط، أمثال بانياس وجبلة ومتن عرنوق وطرطوس ، وأمام هذه الجزيرة أرواد الصغيرة الحجم ، الكبيرة في أهميتها التاريخية ، فقد لعبت دورا كبيرا في الملاحة والتجارة البحرية كما لعبت دورا في السياسة الخارجية القديمة بين الحثيين والمصريين وقد سيطر عليها الصليبيون حينا انتهى في سنة ١٣٠٤ باخلائهم اياها • وكما لعبت في العصر الاخير بعض الدور الحربي عندما احتلها الاسطول الفرنسي في أول الحرب العالمية الاولى • ولايزال قائما فيها بعض بقايا سورها القديم الذي يرجع الى العهد الفينيقي •

ومن طرطوس سارت بنا السيارة شرقا حتى توسطنا أرض المحافظة، وقد وقفت بنا أمام دار الاستاذ عبد اللطيف اليونس في برج صافيتا وحضرته من أعز الاصدقاء تعرفت به في سانباولو البرازيل اذ كان زائرا الجالية العربية في سنة ١٩٤٨ وفي تلك السنة قمت بزيارة البرازيل مدعوا من قبل صديقي الكريم السيد حافظ لبَّان الصناعي الكبير في تشيلي وكان هو أيضا زائرا مع قرينته المحترمة السيدة وجيهة الانسباء والاصدقاء العديدين في سانباولو وهناك أقمت ستة أشهر ضيفا على نادي حمص وهو من أكبر اندية العالم وأفخمها وأكملها •

وما أن وقفت السيارة أمام دار آل اليونس حتى نزل منها رفيقانا السيدان عبد الله عبود ومصطفى عمران ، ولما دقا الباب خرجت كريمـة الدار الاديبة الانسة سميرة ترحب بنا قائلة أن أباها الحبيب في دمشق ولكن موعد عودته في تلك الساعة وطفقت تلـح علينا بالدخول الـى المنزل ففعلنا • ولكن الاستاذ عبد اللطيف لم يعد الا عند آخر ذلـك

الليل غير أن شقيقه حضر الينا من منزله مع عائلته الكريمة لينوب عن أخيه الاكبر في الاجتماع بنا واستضافتنا وقد كان حظنا عظيما ذلك اليوم لاجتماعنا ضمن بيت له منزلته السامية في النبل والمروءات والادب والوطنية العربية النزيهة •

ولقد اغتمّ الاستاذ عبد اللطيف أيما اغتمام اذ علم في الصباح أن قيامنا عنده لن يطول أكثر من الليلة الماضية وأخبرته عن شوقي الى بلدة مشتى آل الحلو للاجتماع بعميدها السيد جبرا • وللحال حاول بمنتهى جهده مخاطبة المشتى بواسطة مديرها الذي أخبره أن جبرا ليس في البلد • ولكم كان سروري عظيما بعد نصف ساعة اذ عاد اليّ الاستاذ يبشرني بأنه تلقى هتافا بالتلفون من جبرا الحلو الذي بلغه وصولنا الى صافيتا فأسرع اليها للاجتماع بنا •

قلت أني تعرفت بالاستاذ عبد اللطيف اليونس منذ اثنتى عشرة سنة ، وعرفت به الاخلاص النبيل والادب الجزيل وصدق المودة عدا أنه من فطاحل الادباء وخطيبا عظيما على منابر الكلام بفصاحة وبلاغة تندران عند غيره فهو ممن ينثرون أفكارهم متلاحقة سهاما تصيب كبد الحقيقة لساعات دون تلجلج لسان أو تعثر بهفوة أو ترديد ممل •

وفي اليوم التالي قمنا بزيارة سرايا البلد وبعض آثاره القديمة ومنها برج صافيتا • وهو من بقايا القلعة البيضاء الصليبية التي بناها فرسان المعبد وهم فرقة دينية عسكرية ظهرت في القرن الثاني عشر واشتركت في الحروب الصليبية ، وخاصة في فلسطين ، وقد أثرى أعضاء هذه الفرقة حتى أصبحوا من كبار المتمولين اصحاب المصارف المالية • وقد توضعت المدينة الحديثة على أطلال القلعة التي استخلصها نور الدين محمود أولا ثم أخلاها للصليبيين حتى استولى عليها نهائيا الملك الظاهر بيبرس سنة ١٢٧١ م •

وبرج صافيتا عال جدا وقد رقيت درجات سلمه الحجرية المتهرىء أكثرها على احتجاج الرفاق خوفا عليّ من العياء ولكنهم تبعوني حتى بلغنا سطح البرج فأطللنا على مساحات بعيدة للجهات الاربع ، وسرّت عيوننا بأجمل المشاهد • والبرج هـذا يبدأ أوله بكنيسة للطائفة الارثوذكسية متوسطة الحجم ولكنها سالمة من التهدم رغم قدميتها •

أما قلعة الحصن فواقعة في محافظة حمص • وقد زرناها ثلاث مرات وفي كل مرة كنا نزداد اعجابا ببنائها على الرغم من تهرؤ الكثير من أطباقها وحيطان دورها وسورها ، وهي حسبما جاء في نشرة الاستاذ مصطفى عمران : « تقع على رابية منعزلة عن جميع المرتفعات بصورة طبيعية • وهي في السفوح الشرقية لجبال العلويين لكن فتحة بين هذه الجبال تنفرج أمام رابية القلعة فيؤدي النظر منها الى البحر كما تشرف على سهل البقيعة من ناحية الشرق • أنشأ الصليبيون في القلعة مركزا اقطاعيا سلموه الى فرسان المستشفى سنة ٣٥٧ هـ ١١٤٢ م • حاول نور الدين محمود ثم صلاح الدين الاستيلاء على القلعة فلم يوفقا وظلت المعارك قائمة بين الفرسان وأمراء حماه الايوبيين سنة ١٦٢٧ م • ثم استولى على القلعة نهائيا سنة ١٢٧١ م الظاهر بيبرس نفسه وسمح للفرسان بالعودة الى الديار المسيحية •

وقد أدخل العرب كثيرا من الاصلاحات في الواجهة والمدخل وأنشأوا الجسر الموصل اليها وأضافوا في الداخل الجامع » •

« وتعتبر هذه القلعة أجمل القلاع الصليبية وأهمها • وحالتها الحاضرة جيدة جدا بسبب الترميمات المتتالية التي طرأت عليها ولا تزال المديرية العامة للآثار والمتاحف توليها عنايتها • وأجمل بناء فيها هو الكنيسة والممرات ولا يختلف نمط البناء عن القلاع الاخرى » •

بعد الغداء على مائدة الاستاذ عبد اللطيف اليونس وقبوله رجاءنا

بالسماح لنا بالذهاب الى المشتى في صحبة زعيمها السيد جبرا الحلو ، الذي عاكس كل معترض على قسوة الطريق لئلا نعدل عن الذهاب معه الى بلده ، ودعنا رفيقنا السيد عمران ليعود الى اللاذقية كما ودعنا رفيقنا السيد عبود ليسافر الى دمشق ثم حضرت السيارة لتقلنا الى المشتى •

وماذا أقول عن ذلك الطريق الا أنه طريق يريك الساعة شهرا ، وفي كل دقيقة من دقائقه تصعد بنا السيارة فيه على صخرة ثم تنحط منها بقوة فتخبط رؤوسنا بسقفها ثم تلوينا الى جانبيها فلما بلغنا المشتى حتى كدنا نهلك وعجبنا من قوة السيارة كيف بقيت سيارة لا أجزاء سيارة ، وقد علمت فيما بعد أن وزارة المواصلات أصلحت الطريق وعبدته على الطراز الحديث •

ودخلنا الى حمى جبرا الحلو فوجدناه غاصا بالزوار وبعدما غسلنا وجوهنا وأحسنا قيام أرديتنا علينا ، جلسنا في قاعة فسيحة وطفقنا نحدثهم ويحدثوننا ، وكانت مائدة المنادمة قد أثقلت بكاساتها ولوازمها حتى جاء وقت العشاء الحلوي فأكلنا وارتددنا الى مقاعدنا ننعم باحاديث وتنفكه بأعذب الفكاهات ، وقد ازدحمت القاعة بالضيوف للتسليم علينا وبينهم شقيق جبرا السيد مصطفى والضابط سعيد الحلو القادم من حلب في عطلة أيام يقضيها في بلده • وهو من أرقى الشبان علما وأدبا وأكرمهم خلقا وشهامة •

أما المشتى فبلد جميل بحدائقه ومنازله وعيون مائه العديدة وكرم أهله ، ولكنه خال من الكهرباء والماء في المنازل وقد بلغني أن سكانه ملوا من الوعود باجراء الماء الى بيوتهم فألفوا لجنة تجمع المال الكافي لهذا المشروع •

وبقينا في منزل آل الحلو تلك الليلة وشطر النهار التالي فبعد الغداء حضرت السيارة لتقلنا الى حمص فودعنا أفراد العائلة الا ربها

وابن عمه سعيد ، لانهما شاءا مرافقتنا الى حمص ليظلا مطمئنين على سلامتنا من عبث الطريق ، وهذا العبث انتهى ، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه الاه ، عند قرية كفرام ومنها الى حمص كان الطريق معبدا ومزفتا وقد راق الحال بنا وأصبح همُّ جبرا أن تقف بنا السيارة عند أبيات أحد مشايخ القرى التي مررنا بها فيناديهم بأسمائهم ليأتوا لنا بالقهوة العربية المكررة والمتصاعدة منها رائحة حب الهال الطيبة .

وبلغنا حمص في مطلع الليل ووقفت بنا السيارة عند منزل شقيق قرينتي السيد شوقي حموي . ولما نزلنا أسرعوا الينا مهللين وقد ألحوا على جبرا وسعيد الحلو بالبقاء للعشاء والسهرة على الاقل ، ففعلا وكانت لنا معهما سهرة غاية في جمالها والاستئناس المتبادل بيننا جميعا . وبعد ساعة أو أكثر ودعنا الضيفين العزيزين ليعود جبرا الى المشتى وسعيد الى حلب .

تكريم المغتربين الحمصيين وحفلة بلودان

وفي اليوم التالي عند الظهر قصدنا نادي الضباط لحضور المأدبة الباذخة التي أقامتها السلطة العسكرية تكريما للمغتربين الحمصيين القادمين من الارجنتين وتشيلي والبرازيل والولايات المتحدة ومنهم نحن واشترك فيها عدد كبير من كبار الضباط ووجوه المدينة والصحفيين وسواهم ، وكان يرافق الاطعمة الشهية أجمل الاحاديث والمفاكهات التي أشبعت جو هذه المأدبة بالانس والاستمتاع . وقد دار معظم الاحاديث حول المغتربين السوريين وما أصابوه من النجاحات المادية والمعنوية في بلدان العالم الجديد ، فضلا عن تمسكهم الشديد بوطنهم ورعايتهم له كلما دعا داع ، وكلما نادت سورية أبناءها الظاعنين الى الاسهام في معاركها الاستقلالية ، ومؤسساتها الاجتماعية والثقافية والخيرية ، فكانوا في مهاجرهم النائية حيث لا حكومة وطنية ترعاهم وتقود خطاهم ، سيوفا

عربية صقيلة ، وألوية للعروبة ظليلة فاستحقوا شكر سورية الام التي قدرت لهم وطنيتهم وحميتهم .

وتحدث الحضور عن المكانة المرموقة التي تسنمها المغتربون بفضل اجتهادهم واستقامتهم واخلاصهم للبلدان التي أقاموا فيها ، فضلا عن الرغبة العنيدة في تثقيف أبنائهم الذين لمعوا في كل الميادين وفي هذه الفتوحات المهجرية أجلى دليل على ما يتحلى به السوري العربي من المواهب الجسدية والذهنية البارعة . ثم انصرفنا معجبين شاكرين لضباطنا البواسل حفاوتهم الرفيعة ، ولا بأس أن نصل هذه الحفلة ، بحفلة أخرى أقاموها لنا في بلودان . وبلودان هذه أجمل مصايف سوريا وأعلاها وفيها الفندق الكبير الذي يضاهي بترتيبه وجمال بنائه أفخم فنادق أميركا وأوروبا . وقد كان لنا الحظ أن زرنا هذا المصيف بدعوة من المجلس الملي الاورثوذكسي العام في دمشق لقضاء يوم أحد فيه وكان معظم أعضاء المجلس معنا منهم الدكتور انسطاس شاهين والسيد اسكندر كزما والاستاذ حنا مالك وغيرهم من وجوه الملة والمدينة .

وقد كانت مأدبتهم من أفخم المآدب التي حضرناها وتركت في نفوسنا ، كسابقتها حفلة نادي الضباط في حمص أطيب الاثر اذ دلتانا على أن السوري العربي اذا بسط لك مائدته السخية فهو يبسط الى جانبها قلبه وروحه ...

جلسات مع بعض
أعلام الامة وادبائها

لا بد لي من الاتيان على بعض انطباعات شخصية وتدوينها في جملة الانطباعات الوطنية العامة فقد كنت قبل ركوبي متن الهواء للابتداء بالرحلة كثيرا ما عضني قلبي بنابه كلما خلوت به أحادثه عن ازماعي السفر وكثيرا ما كان يؤلمني منه شعوره بما عساني سأرى في وطن نزحت عنه في مطلع الشباب وقد أصبحت شيخا في عمري الآن لا أهل لي هناك ولا أصحاب ولا أنسباء ولا أتراب أذكرهم ويذكروتني وأخشى أن أرى نفسي في وطني الاول غريبا كما شعرت لاول فترة في أميركا عندما وطئت أرضها قدماي ؟.

أجل ان القلب كان ينطق بالصواب ولكن الرغبة في السفر كانت لدى الاخذ والرد بيني وبين قلبي أغلب حتى قلت ـ ما شأني اذا سافرت ولم أر خلا أو أهلا فأنا مسافر لاعود من سفري لاعود بانطباعات خاصة

كالسائح الناوي السفر الى بلد غريب عنه كل الغرابة لا بد من أن يجد في أرضه أو بين ناسه ما يضع على صفحات ذهنه شيئا من الانطباعات المختلفة الالوان .

كنت أعرف أن ليس لي في حمص الا ابن عمة واحد وقد شاهدته وكنت كثير السرور بمشاهدته ولكني لم أكد انحدر من الطائـرة في دمشق الا لأراني بين جمهور غفير من الناس جاؤوا من دمشق ومن حمص لاستقبالي عرفت أكثرهم بالاسم ، واقلهم بالمصادفة اذ لم تكن لي معرفة بهوياتهم ، وما أن فرغت من الاستقبال في العاصمة السورية واستأنفنا السفر الى حمص حتى رأيت أهلها كلهم أقاربي ، كلهم أصحابي ، كلهم اخواني ، وتعرفت الى جماهيرهم فيما بعد فاذا بينهم لا ابن عمة واحد بل ابناء ابناء أخوال وأعمام وخالات وعمات ومنهم ذوو شأن في بيئتهم وقد ولدوا بعد هجرتي وبينهم من أصبحوا أرباب عائلات وآباء وجدودا .

وبعد أيام طفقت صحف البلاد تذكر عن رحلتي وأني ضيف على الحكومة وانتشر الخبر حتى في صحف لبنان ومصر وربما سواهما وقد كان ذهولي عظيما ذات يوم اذ جاءني البريد بكتاب من كوسبا الكورة في لبنان ففضضت غلافه واذا بي أقرأ أن مرسله هو الدكتور جورج جريج ، يقول أنه قرأ في احدى صحف بيروت عن وصولي الى دمشـق وحمص ، ثم يسألني هل أنا هو عبد المسيح حداد صديقه القديم من نحو خمسين سنة تحت سماء الولايات المتحدة .

يا الهي ان الدكتور جورج جريج عاد من بوسطن ماس الى وطنه قبل الحرب العالمية الاولى بأشهر قليلة وسدت الحرب طريق المواصلة بيننا حتى سنة ١٩١٨ اذ جاءني منه كتاب من القدس يقول لي فيه أنه كان أحد الاطباء الذين جندتهم تركيا لمرافقة قواتها في الهجوم على قناة السويس في مصر ولكن الانكليز أسروه مع عائلته وعينوه طبيبا لبلدية القدس التي احتلتها قوات الجنرال اللنبي الانكليزي . ولقـد كان

فرحي بتلك الرسالة عظيما جدا فأقرأتها جميع الاصحاب ، وهؤلاء عظم فرحهم بالخبر عن نجاة صديقهم ذلك الطبيب الحبيب ، وعن خلاصه من الحرب واسناد وظيفة خطيرة اليه من القوات البريطانية الآخذة بفتح سورية جميعا .

وبقي الدكتور يكاتبني من القدس ويبعث اليّ بأخباره وأخبار فتح القوات البريطانية مدينة بعد أخرى ، حتى جاءتني رسالته الاخيرة وفيها أن الهيئة العسكرية نقلته من القدس الى السودان بمثل وظيفته ، ولكنه أصيب بسقطة شديدة اضطرته الى ملازمة المستشفى العسكري من حيث هو يكتب تلك الرسالة الاخيرة .

ولا أدري كيف أن استقصاءنا الاخبار عنه من معارفه في بوسطن وجوارها أدى الى أن أعلم أن الدكتور جورج جريج قد توفي ، وقد أكد لي هذا الخبر المؤلم انقطاعه عن مكاتبتي فبكيت فيه رفيقا حبيبا ، وأسدل الستار بيننا وصار الدكتور جورج جريج ذكرى عاطرة لا غير عندي وعند جمهور محبيه في بوسطن ونيويورك .

عندما قرأت رسالته الى حمص كدت أجن في بادىء الامر ،وحسبتها من أحد أولاده سمي باسمه ، وأنه عرف من والده بصداقتنا .. ولكن الرسالة نفسها ، وقد قرأتها مرارا تخبر عن أنه هو هو لا ابنه ولا أحد غيره تنبىء عن حياته . وللحال بعثت اليه بجواب أقول فيه أنه كان ميتا عندي زهاء أربعين سنة وأنه قد استوفى مني خلال هذه السنين العديدة الحزن عليه فاذا مات قبلي بعد الان فما عليّ أن أحزن عليه ثانية ولكني سعيد جدا بأن خبر وفاته كان كاذبا ولهذا فهو سيراني وسأراه من غير بد بعدما انتهي من زيارة سورية .

بعد أيام أقل من اسبوع مضت على جوابي ، وفيما أنا في دار آل الحموي ، اذا بباب الدار يقرع . فأسرع أهل الدار ليروا من الطارق

وإذا بهم يرون أشخاصا قادمين بسيارة يسألون عني • ولما سمعت اسمي أسرعت الى الباب المفتوح لأرى من هم أولئك القادمون الغرباء فما عرفت أحدا • ولكن ربة الدار ألحت عليهم بالدخول فدخلوا وأنا مثل « الاطرش بالزفة » • وإذا بأحدهم وهو شيخ جليل يقف أمامي ثم يقول: « أنت هو عبد المسيح » •

فتفرست في وجهه دقيقةنبهت نفسي وازاحت عن عينيها ستور نصف قرن فألقيت عليه وألقى عليّ وأنا أقول له « وأنت هو جورج جريج » وكان عناق طويل وتلهف عميق وتناثرت من عيوننا دموع الفرح وأي فرح أن يرى واحدنا الآخر بعد فراق طويل وكنت منذ أوائله موقنا بأن الدكتور غادرنا الى العالم الثاني ؟

★ ★ ★

الشاعر العربي اللبناني الاخطل الصغير

عندما زرت لبنان جاء رفيقي وأخي الاستاذ ميخائيل نعيمة بسيارته لينقلنا من بيروت الى بسكنتا وكان اجتماعنا مغمورا بدموع الفرح وعواطف الملتقين المشتاقين بعد زهاء ثلاثين سنة وقد أقمنا وقتا وكل منا يتطلع الى الآخر ليؤكد ان اجتماعنا كان في اليقظة لا في المنام • وبعد دقائق أقبل علينا الصديق القديم الاستاذ فيليب كاتسفليس مدير دار النقابة الصحافية في بيروت ، فتعانقنا وذرف كل منا دموع الفرح لهذا اللقاء بعد فراق خمس وثلاثين سنة • ثم أقبل علينا الاستاذ ادمون وهبة مستشار السفارة الفرنسية في بيروت وهو من أكابر الادباء وأولهم بالتعلق بأدب المهجر ولا سيما بنبوغ جبران ابن مسقط رأسه •

وبعد اقامتنا اسبوعا في بسكنتا حيث استأنفت الرابطة القلمية بشخصينا ، أنا وميخائيل وذكرانا لبقية الرفاق العمال السابقين ايانا الى العالم الثاني ، الاجتماع كل يوم (أفرد فصلا خاصا عن ذلك في

الحديث عن اثر الرابطة القلمية في العالم العربي) •

وشاء فيليب وميخائيل بعد رجوعنا من بسكنتا مرافقتي الى بعض دوائر العاصمة اللبنانية ووزاراتها كما قمنا بزيارة الصحفي الكبير الاستاذ عفيف الطيبي رئيس النقابة الصحافية وقد رحب بنا سيادته ترحيبا جما ، وطلب الي السماح بأن يدعو الى حفلة استقبال لنا من قبل الصحافة اللبنانية فشكرنا أدبه واعتذرنا من حفلة الاستقبال لاننا لا نستطيع البقاء في بيروت الا لأيام معدودة فعلينا أن نعود الى دمشق للابتداء بالطواف على محافظات سورية حسب الدعوة لنا من قبل وزارة الثقافة والارشاد القومي •

وهكذا اقتصرت اقامتنا في لبنان لنعود الى حمص ومن أغرب وأذهل ما وجدته سبقني الى حمص هو برقية من الشاعر المحسان الاستاذ بشارة الخوري المعروف بالاخطل الصغير ، يذكر فيها أنه عرف بزيارتي لبيروت ، وأنه طريح الفراش فلم يستطع مقابلتي بل عرف أخيرا بمغادرتي بيروت على عجل ولذلك فهو يرحب بمقدمي ويهنئني من صميم قلبه بعودتي الى الوطن •

ولكم أثرت في تلك البرقية من الاخطل الصغير الذي له في نفسي منزلة عليا ، وكنت في زمن الصحافة واياه على علاقة احترام متبادل دون أن يعرف أحدنا الآخر ، وكنت اسأل عنه بعد تقاعده كل من يعود من لبنان فاطمئن لوجوده وحاله ، وكنت حينا بعد آخر أقرأ له قصائده فتسكر نفسي بخمر معانيها • أما كيف غادرت بيروت دون أن اتصل به فذاك أمر واجب أنسانيه تصميمي على الرحيل بصورة مفاجئة لسبب عائلي اضطرني الى استحضار سيارة تكسي الى فندق نورمندي فأسرعنا اليها بحقائبنا دون أن نودع أحدا من أصدقائنا أو نعلمهم عن اضطرارنا الى الرحيل بالتلفون وقد ساءني ذلك وآلمني جدا ولكن ما العمل ؟ هكذا جرى على غير حسبان •

وسارت السيارة بنا تنهب الجبال والاودية حتى وصلت الى دائرة الامن العام اللبناني عند حدود سورية فطلب السائق مني تذكرة المرور الاميركية ليدخل الى المكتب فيقدمها الى المدير • فسلمته اياها وبقيت وقرينتي في السيارة الواقفة • وما هي الادقيقة ، وكان الليل قد أسدل خيمته على الارض ، فاذا بضابطين لبنانيين اقتربا من السيارة أحدهما علي مشورب يسألني اذا كنت أنا عبد المسيح حداد ؟ فأجبته بنعم وعجبت لسؤاله وحضوره لمشاهدتي ولماذا لم يكتف بالاخذ من التذكرة التي بعثتها مع السائق • ثم سألني ان أتفضل وقرينتي معه ومع رفيقه الى المكتب ففعلنا ولما صرنا في ادارته طفق يرحب بي أحلى ترحيب وجلسنا نرقب ما عسى يكون أمره منا فاذا به وبرفيقه يطلبان أن نقبل دعوتهما للعشاء • ولما أخبرناهما اننا تعشينا من قبل ، ألحا علينا بقبول ولو ضيافة بسيطة فنتناول معهما بعض المرطبات ، فقبلنا طلبهما • وبعد ذلك أعاد السيد مشورب الترحيب بملء قلبه ، ثم ذكر أنه من جنود الرابطة القلمية ، وأنه في تلك الساعة يعد نفسه أسعد انسان بالاجتماع مع العضو الباقي من أثر تلك الرابطة ، وقال انه يود ان يبعث برسول الى أقرب نقطة ليأتي بمصور ليأخذ صورته معي •

عند هذا رأيتني في حيرة فان المصور لن يأتي قبل ساعة أو أكثر فقلت له اننا على طريقنا الى حمص ، وأن أهلنا يتوقعون وصولنا اليهم بعد ساعة ولهذا لا أستطيع البقاء في مكتبه لاكثر من دقائق معدودة ، ولكن معي في السيارة آلة تصوير صغيرة لا يزال فيها الفيلم الاخير • وللحال عدت الى السيارة وأحضرت آلة التصوير ووقفت أنا والسيد علي أمام السائق الذي سلمته الآلة وأفهمته كيف ينظر الينا على مرآتها ويديرها وهكذا فعل السائق وانتهت الزيارة بتوديع أديب ولع بأدب الرابطة القلمية •

وخرجنا من مكتبه يودع بعضنا بعضا بحرارة وعدنا الى السيارة مستأنفين السفر •

وفي حمص بعثت بصورة الفيلم الى مكتب تحميض الصور وبعد يومين جاءني به الرسول ولكن يا للاسف لم تكن الصورة الاخيرة محمضة لان الآلة التي كانت معي لا تأخذ الرسوم الا على ضوءالشمس، وكان حزني عظيما لذلك وحرت بأمري كيف اعتذر من ذلك الاديب المتعلق بأدب الرابطة القلمية • ولما عدت الى مكتبي في نيويورك بعثت اليه برسالة أظهر فيها أسفي الشديد لعدم نجاحنا بأخذ الصورة ولكني اخبرته بأني باعث اليه بديوان ندرة شقيقي وبمجموعة الرابطة القلمية لعلهما يغنيانه عن الصورة ويبقيان عنده ذكرى لارواح نفر من أدباء العربية المغتربين النوابغ •

عصر الثقافة قضى على التقاليد البالية

عاش العرب تحت الحكم التركي ومختلف الاحتلال الاستعماري تحت كابوس الزعامات الاقليمية فقد كان اسهل على الحاكمين الاجانب جذب بعض زعماء العرب اليهم ، اما بالوظائف واما بالاقطاعات والامتيازات التي تكثر ثرواتهم ، ولكم حدثني بعض أوائلنا عن زعيم لم يكن الا أميا نال حظوة لانتمائه الى أصل نبيل أو ما شاكل ذلك ولكنه بذل نفسه للاجانب لمصلحته الخاصة أما اليوم فلا تجد في المراكز العليا والسفلى الا أكفاء لما يحتلونه من الوظائف في خدمة الدولة والشعب •

رأيتهم أكفاء لا بالعلم الذي يحملون شهاداته العالية فحسب ، بل بنشاطهم وجريهم في كل سبيل يكسبهم محمدة ويكسب وطنهم نجاحا في تقدمه عمرانيا كما يضمن الشيء الكثير لرفع مستوى خلقه •

اجتمعت في دمشق الى معظم مديري الهيئات العليا ــ الى وزير

الثقافة والارشاد القومي ومدير الدعاية والانباء ، ومدير الاشغال العامة، ومدير الامن العام وغيرهم عدا الافراد العظام المسكين بأزمة الدولة من وزراء وأمناء عامين ورؤساء محاكم وقضاة وسواهم فرأيت منهم علما وفيرا وخبرة عظمى واندفاعا ونشاطا دون ملل واخلاصا في النية والعمل وجميعهم اذكياء مثقفون ذهنا وروحا بلغوا مراكزهم من ناحية الكفاءة لا من ناحية سواها •

الرئيس السوري السابق شكري القوتلي

زرته في قصره بدمشق يصحبني أديب المهجر الاول الاستاذ نظير زيتون والاديب السوري الكبير المرحوم الحاج رشيد الملوحي محرر جريدة الايام الدمشقية ومرافقنا الرسمي السيد عبد الله عبود للاطلاع على حالة البلاد وتقدمها ولا سيما في عهد الحرية والاستقلال •

ولقد جلسنا الى الرئيس القوتلي كأننا نعرفه ويعرفنا منذ زمن طويل فحدثنا أولا مثنيا على وطنية المغتربين واندفاعهم لعضد وطنهم كل مرة ينشدهم فيها كأبناء برة أوفياء بعهده ، وذكر لنا اسماء أشخاص من المغتربين لا تزال عالقة في ذهنه تطوعوا بنفوسهم وفلوسهم لنجدة وطنهم في فترات انتكابه مما أذهلنا كيف أن هذا الرجل الذي شغل وجدانه وزمانه برئاسة سورية مرتين لم ينس حتى أسماء اشخاص محسنين وهم يبعدون عن سورية الوف الاميال ومنهم من سار الى الحياة الثانية منذ أعوام •

وفيما يلي فصل نشرته جريدة الايام في الثالث من تموز ١٩٦٠ عن هذه الزيارة لسيادة القوتلي :

حماسة المغتربين العرب للوطن الام

صفحات مجد وفخار ينشرها الرئيس القوتلي

وزير التربية يرسل الكتب للمغتربين

قام الاستاذان عبد المسيح الحداد ونظير زيتون ظهر يوم الخميس

الفائت بزيارة الرئيس السابق شكري القوتلي في منزله فرحب بهما أجمل ترحيب ودارت أحاديث عن جهاد المغتربين ، وجهاد أبناء الوطن ، فأطرى فخامة الرئيس عواطف المغتربين وحماستهم الوطنية وكيف كانوا يجودون بسخاء بالاموال ابان الثورة لتأييد جهادالوطن، وما تلقاه فخامته منهم من رسائل تفيض بالحمية والمروءة مع التبرعات في سبيل انقاذ البلاد من الاستعمار ، حتى تم بحمد الله الاستقلال ، وقال نحن لا نطمع بأموال اخواننا المغتربين ، ولا ندعوهم الى جلبها الى الوطن طمعا بها ولكننا نرجو وقد تحقق الاستقلال ،وتمت السيادة أن يستفيدوا من نعمة الاستقلال والسيادة في استثمار أموالهم ونجاح مشروعاتهم .

وتحدث فخامته عن موقف المهاجرين من اسرائيل ، والطمع بوطن العرب وان هؤلاء الصهيونيين جعلوا دستورهم منذ مؤتمرهم الاول أنهم وجدوا لافساد أخلاق البشر ، بهذا دعاهم مؤسس الصهيونية هرتزل ! وهم ماضون بتأدية هذه الرسالة ...

وأشار فخامته الى انتشار ابناء هذه الامة في الشرق وفي الغرب ، حتى أن فخامته عندما زار مدينة بنكالور في الهند جاءه أربعة من أبناء دمشق مضى عليهم عشرون عاما وهم يعملون فيها ، وأن ذلك مما جعل صوت هذه الامة مدويا دائما .

وأشاد فخامته بامكانيات هذه الامة اليوم التي أصبحت تقدر بالمليارات ، على حين كانت الحال في عهد الانتداب الفرنسي تسير نحو الفقر المدقع لان مهمة الانتداب كانت افقار البلاد .

شاطر الوطن امواله :

وبدت الحماسة في محيا الاستاذين حداد وزيتون فقالا : ان نجاح

البلاد في معركة الاستقلال كان احدى ثمرات قوة الزعامة الوطنية التي تنهضون بأعبائها منذ نصف قرن وأشار الى وجوب استمرار صلات المغتربين بالوطن بطريق الاهتمام بتعليم ابناء المغتربين والنواشىء التي نشأت تحت سماء أميركا اللغة العربية وتاريخ الوطن وبطولات المجاهدين وأنه جنّد ـ ٤٩ ـ ألف جندي في قوات الولايات المتحدة من أصل عربي بينهم ـ ٨٠٠ ـ من أهالي جديدة مرج عيون ولعل من في الجديدة اليوم لا يزيدون على ذلك .

وأشادا بحماسة المهاجرين للوطن والتبرع بأموالهم للثورة فروى الاستاذ حداد أن جابر شقير من جبل حوران وكان يقطن ماتوكا في وست فرجينية قام بتقدير تجارته كلها وطلب الى المصرف اقراضه ثمن نصفها ملحا .. فلما حصل على المال تبرع به كله للثورة السورية .

وبعد تناول المرطبات والقهوة العربية وأخذ بضعة صور من فخامته ودعا فخامته شاكرين هذه المقابلة الابوية الكريمة .

وفي أثناء الزيارة التي قام بها الاستاذان حداد وزيتون لوزير التربية والتعليم ، رحب بهما الوزير ترحيبا حارا ، وعندما سمع الوزير من الاستاذ نظير زيتون عن حاجة أبناءالميتم السوري في سان باولو الى كتب للدرس قرر حالا تقديمها ، ثم بسط لهما قضية ايفاد اساتذة لتعليم نواشىء المغتربين العربية ورصد الاموال ، واتخاذ الاهبة، لولا ان اعترض السبيل ضرورة القيام ببعض المفاوضات الرسمية التي ما تزال دائرة وقال :

ـ ان الدولة تفكر بالمهاجرين وبمصالحهم كما تفكر بالمقيمين سواء بسواء ، وأنها لا تنسى لهؤلاء المغتربين مواقفهم المجيدة نحو الوطن الام ، ونحو امتهم الكريمة في كل مناسبة .

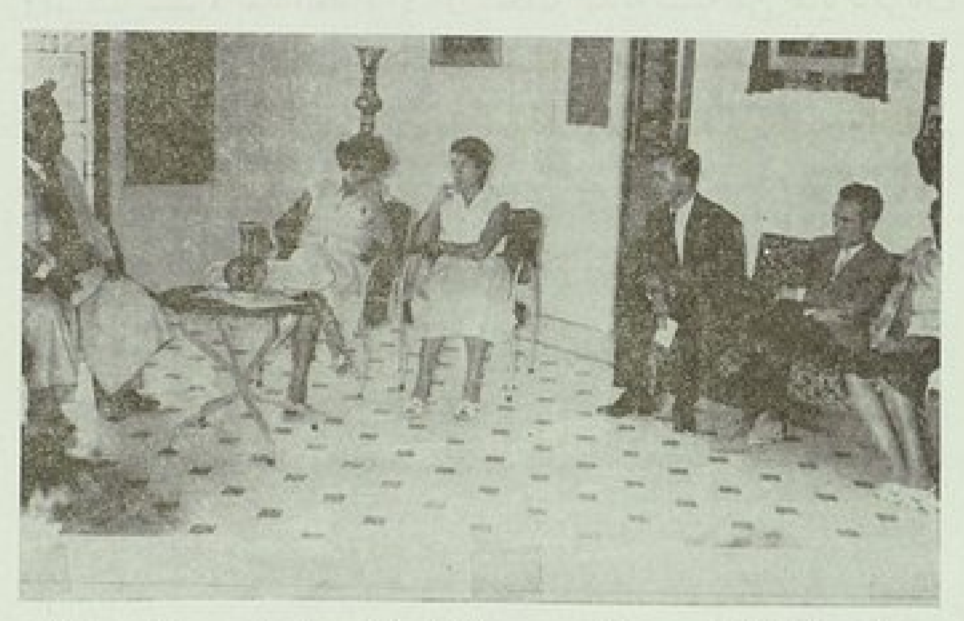
الامـير سعيـد الجزائري

هو حفيد الامير عبد القادر الكبير الذي حارب فرنسا وأغـوال استعمارها ستة عشر عاما ونيفا ••• وكانت فرنسا حينذاك أقدر دول العالم في الحروب البرية ، وقد شاء شيطان استعمارها انتزاع الجزائر من استقلالها لوضعها ضمن اسارها فما كان من الامير عبد القادر الا أن أصلاها حربا لا هوادة فيها للدفاع عن حق شعبه في الحياة الحرة ،ولكن ماذا تنفع الحرب وهي واقعة بين دولة كبيرة غنية وشعب ضعيف قليـل العدد ضحى على نار كرامته بالالوف من أبنائه والكثير مما حواه مـن نفوس ونفائس حتى اعيى الامير واستسلم للمغتصبين فخسرت الجزائر حريتها بخسارتها ذلك القائد الانساني الكبير وها هي الجزائر اليـوم تسكب دماءها للتحرر من نير مغتصبي حريتها بعد مائة وستين سنة مضت على طغيـانهم •

ولكن فرنسا التي ذاقت المرارة الكبرى في حربها مع أمير الجزائر عبد القادر ، والتي تذوق اليوم أمر المـرارات في حربها مع أحـرار الجزائريين أدركت أن روح عبد القادر الخالدة الآثار ، اذا ما أعيـدت الى الجزائر أكبرت بلواها وزادت على نـيران الحرب حربا سـلاح الجزائريين فيها أرواح مجندة تقتحم النار قائلة : « لبيك لبيك يا روح أميرنا القديم اننا نقاتل العدو حتى الفناء » ولهذا عمدت فرنسا الى استبعاد روح ذلك الامير عن الجزائر المجاهدة باستبقاء نجل حفيـده ابن الامير سعيد في باريس أسيرا لا تسمح له بالانتقال من دارها خشية منها أن يطير الى وطنه القديم لاهاجة احراره المجاهدين بمستوحى كلام أميرهم المغفور له عبد القادر الى خصمه الجنرال « بيجو » حيث قال له برسالـة خاصة :

« ••• أما بعد فقد بلغني أنكم جئتم من فرنسا الى الجزائر لقتالنا

بما ينوف عن ثمانين ألف جندي زيادة على عساكركم السابقة فيها ، فاعلموا أنني بعونه تعالى وقوته لا أخشى كثرتكم ولا اعتبر قوتكم لعلمي انكم لا تضرونني بشيء الا ان يضرني الله به ، ولا يلحقني منكم الا ما قدر الله عليَّ وقضاه ... » .



لدى زيارتنا لسمو الامير سعيد الجزائري في قصره بدمر أرانا هذا الرسم المأخوذ لزيارة بعض اعضاء الوفد الجزائري للطالبات . وسموه ظاهر في آخر اليسار كما يظهر في اول اليمين السيد محمد الفسيري ممثل الحكومة الجزائرية الموقتة .

——————*

ولقد دعانا الامير سعيد الى قصره القائم على تل عال في دمر وسموه لا يزال شابا هماما في أواخر شيخوخته ، وقرما عنيدا في الدفاع عن كيان وطنه الجزائر وأمته العربية ، حتى أنه لم يحفل بحرمان فرنسا المرتب المالي الضخم الذي عينته لجده الامير عبد القادر وللذين في عقبه لوقوفه بالشعور النفسي مع المجاهدين من مواطنيه الجزائريين الثائرين عليها .

هنالك في ذلك القصر الكبير أرانا الامير سعيد الكثير من ذخائر جده عبد القادر وأنه بنى قصره هنالك لان جده كان يعشق جنات دمر وأنه لذلك حريص في قصره على كل ما يذكره بجده ويذكي فيه نار الحمية للدفاع عن الامة العربية •

ولم يشأ سموه بعد الغداء الا أن يتحفنا بهدية سنية من بقايا ذكريات جده العظيم الحافل بها قصره حفول الجسد بروحه ، وقدغادرنا ذلك القصر وفي النفس انعكاسات لمروءات هذا الامير الكبير بقلبه والعظيم بأدبه وحبه ووطنيته العربية •



فارس الخوري
فـارس العـرب

في اليوم التالي لوصولنا الى دمشق للبدء بالرحلة الرسمية ، بلغني أن فارس الخوري الملقب عن كفاءة وتقدير بفارس العرب في مستشفى السادات ، فرغبت في عيادته في الحال بصحبة صديقي الاستاذ نظير زيتون الاديب المهجري المشهور ومرافقنا الرسمي السيد عبود .

دخلنا الى غرفة العليل فاذا بعقيلته الجليلة وكنته زوجة وحيده وبأحد أشقائه يستقبلوننا بحفاوة وفي عيونهم الدموع تتلمع وفي كلامهم الخشوعي ما بعثنا على الحزن وقادتنا الى مضجعه قرينته السيدة اسما وهي تقول له : هنا حبيبك عبد المسيح جاء يعودك . وهنا صديقك نظير ...

هذا هو الرجل المقدام الكبير والوطني الجليل الذي حمّل قلبه منذ شبابه اعباء وطنه وسار في سبيلها مجاهدا ، هو اليوم جثة مشلولة

مجتمعة في سرير • وقد عرف الملأ العربي صاحبها رجلا كبير العقل والقلب تشع مبادئه في أجواء العرب فتبعث على نشاط التفكير والسعي نحو مواكب الاستقلال • واذا كان ليُغضب بنفثات نفسه حاكما أجنبيا مستبد يأمر الحاكم الطاغية بسجنه أو نفيه ، فانه كان يرحب قلبه بهذا القصاص على فضل وعفة عرفهما عنه بنو جنسه فأحلوه في قلوبهم معجبين بجهاده وبطولته •

ودخلت الى غرفة اعتلاله ، ولما كان لا يبصر قدمتني اليه قرينته فما كان منه الا أمسك يدي بيده اليمنى الصحيحة وأخذ يشد عليها شدا كثيرا مرحبا بي وقائلا انه كان يتمنى زيارتي للوطن منذ أكثر من عقد من السنين ولكنه الآن وقد أمسى في حالته الحاضرة يؤمن بأن زعماء الوطن يحسنون استقبالي عنهم وعنه • وقد أطال الحديث بهذا الصدد حتى عييت عن ايقافه عن الكلام ، وأخذت دموعي تتنافر من عيني فيما لاتزال يده شادة على يدي • فلحظت ذلك السيدة قرينته فأمسكت بيدي تسحبها على مهل من يده وهي تقول له أن زائرك وحبيبك عبد المسيح تعب ويجب أن يجلس ليستريح حيال سريرك •

وانقلبت عن الاسد العليل وكلي حزن تحز سهامه في قلبي وودعته طالبا من الله أن يعينه ويشدد قلبه بالبصر ليقوى على مدافعة سوء حاله بايمانه بالله خالقه وشدة غيرته على أعز خلق الله الى قلبه أي أمته العربية •

آجل هذا هو فارس الخوري الملقب بفارس العرب ، هو اليوم كما غادرته في مستشفى السادات بدمشق ، جثة على سرير ليس فيها ما بقي سالما غير وعيه وشعوره ، وهذان الباقيان سيرافقانه الى آخر نسمة من نسماته الانسانية •

ولست أُعرف القارىء بفارس الخوري فليس من يجهل تاريخ حياة

هذا الوطني الذي مثّل أدوارا وطنية خلال أحلك الاحوال وخرج منها بطلا له في قلوب مواطنيه أعز المنازل ، ولكني أراني حيال زيارتي الأخيرة اليه تحت واجب الاشارة الى أفضاله على وطنه وأمته ، وهي مما استرعى انتباهي من مقال كتبه الاستاذ سامي السراج مدير (المكتبة العمومية في حماه) عن فارس العرب[1] قال :

« ان فارس الخوري لم يدع برجا من أبراج المآثر الا استقله ، ولا فلكا من أفلاك المفاخر الا احتله ، فكأنه الرجل الذي عناه المتنبي حين قال :

ويترك في الدنيا دويا كأنما   تداول سمع المرء انماله العشرُ

فقد ترك فارس دويا في الشرق ، ودويا في الغرب ، ودويا في العالم الجديد ، لم يتركه سياسي في العهد الحديث ، وقد يداخل الانسان العجب فيتساءل : « كيف تم له ذلك وقد درج من بيت بسيط ، في مزرعة متواضعة ، تحتضنه طائفة مذهبية عددها نذر قليل » ؟ على أن الاجابة على هذا السؤال هي في أطواء السؤال نفسه . فالبيت البسيط الذي درج فيه قد أمدّه بالقوة على تبسيط المرئيات وبلوغ أكناهها من طرائق غير ملتوية . والطائفة القليلة العدد قد باعدت بينه وبين العجب والاعتداد بالعشيرة دون مواهب الذات ومزايا النفس . والمزرعة المتواضعة قد أكسبه سناؤها عذوبة الروح وصدق الفراسة وصحة التخريج وسلامة الطوية . والماء السلسال الذي ارتشفه من مرافق قريته قد حباه صفاء النفس وصفاء العقل ورقة الحديث . كما رفعته هذه العوامل كلها مجتمعة الى تكوين عصاميته وتكميلها بالعلم والدراسة والاستقراء والاستبصار . فما كاد يبلغ العشرين من العمر حتى صار

---

(١) من كتاب « فارس الخوري حياته وعصره » وضع الاستاذ حنا خباز والدكتور جورج جداد .

مزيجا من ثقافة وعرفان واخلاق وايمان ٠

وكان سبيل فارس الخوري في العمل أوصاف النبل والاتزان وحصافة الرأي وحكمة التصرف » ٠

هذا هو الرجل ، فارس الخوري ، نابغة سورية بحكمته وحصافة رأيه وكريم سجاياه ٠ وقد رأيته على سرير مرضه لا يأمل له الاخصائيون شفاء ، وقد قارب الخلاص من هذه الدنيا ، أو قل غلب عليه الفناء الا قلبه السليم وعقله الواعي الناشط وقد كانت انطباعاتي عنه أشد وأروع الانطباعات ، وفارقته وأنا شاعر بأن الامة العربية كلها ولا سيما سورية ستفقد بفقده أنبغ النابغين وأصدق الوطنيين وأحكم الزعماء العادلين المقدمين نفوسهم ذبائح نبيلة عن وطنهم وأمتهم ٠

جامعة الادب
لماذا لاتجمع العرب ؟

رآيت الادب زرعا مخصابا في كل قطر عربيزرته . رأيته موفور الدسم في الذين تعرفت عليهم في مصر وسورية ولبنان الا أني بلوت في بيئاته نمو زؤان البغضاء ولا سيما في لبنان وهذا ما يحملني الآن على أن اعقد هذا الفصل لعل به هتفا نحو اخواني ادباء أقطارنا جميعا للمحافظة على صلات النسابة الروحية والوطنية بين جميعهم فهم هداة أقوامهم ومصابيحها المنيرة طرق الوعي والسلام .

رأيتهم ولا سيما في لبنان يحارون في أصلهم حتى لقد بدأ بعضهم يستدعي النفور عن العروبة فيسطر قلمه ما يخالف حقيقة التاريخ من أن أصل قومه لا يمت بسبب للعرب واذا سألته عن أصله أو أصل قومه أجابك بأنه فينيقي .

وليس عليّ أن أرد عليه بحقيقة ذلك الاصل الا أنه مقطوع من

صلب العروبة نفسها فالفينيقيون هم الكنعانيون الذين هجروا قديما الجزيرة العربية الى فلسطين ومنها الى لبنان حيث دُعوا فينيقيين ــ كذا يقول المؤرخ المدقق اللبناني العليم الدكتور فيليب حتي في كتابه « تاريخ سورية » وأيضا في كتابه « لبنان عبر التاريخ » •

ونحن أدباء العرب في هذا العصر يعزّ على كل منا أن يتجنب لبنان أصلنا الذي هو أصله على مذهب نفر من أدبائه المعاصرين ، فلقد كان لبنان ولا يزال عجلة النهضة الادبية العربية التي ظهر فيها فرسانها العمالقة أمثال اليازجيين والبستانيين في عهد خلود العروبة واستكانتها الى الاحتلال التركي فأشعلوا أنوارها مكافحين مجاهدين وتركوا لاجيالهم مؤلفاتهم العربية القيمة فخطوا بذلك عصرا هو بدء النهضة المباركة لادب العرب •

الا ليأخذ أدباء لبنان لهدفهم الوطني السياسي ما يريدونه للبنـــان فلسنا لنقارعهم في ذلك الهدف اما ان يحيدوا عن عروبتهم فهذا ممـــا لا يحق لهم بل يحق لنا أن نعاتبهم عليه وأن نصارحهم في أن لا علاقة للاصل في نزاع منهم حول استقلال بلدهم •

الادب جامعة روحية أولى في تاريخ انسانية الانسان تتمخض أن هي تنزهت عن الحوار الاناني بالمحبة والاخوة فان لم يكن هذا تمخضها فما هي بجامعة ولا أدبها بأدب محترم •

ولقد حزّ في نفسي ما سمعته اذني من أكثر ادباء لبنان الذين تعرفت اليهم عن أنهم من العروبة لسانها فحسب اما اصلها فلا علاقة له بأصلهم حتى أن أحدهم احتدم في الحديث معه فاندفع قائلا أن لديه حججا على أن اللغة العربية اللبنانية هي لبنانية لا عربية • وكم أحزنني قول ذلك الاديب وكم اسفت لشعوره القومي النابىء حتى ليرى الشيء على غير فحواه اندفاعا نحو هدفه الوطني المحدود اما بالدين والطائفة وامـــا بالشذوذ الذي يعمي البصيرة •

لنعد الآن الى كتاب « تاريخ سورية » للعلامة الحتي فننقل من حديثه عن سورية بما فيه لبنان وفلسطين ــ أنها أصل الاديان السموية بل أصل كل تمدن بشري ظهر في العالم حتى قال ما حرفيته مترجما :
« ان معظم المتمدنين العصريين يحق لهم أن يدّعوا لهم وطنين ، وطنهم الخاص وسورية » . فاذا كان العلامة الحتي المؤرخ الاكبر وهواللبناني الصميم يقول أن سورية وطن ثان لكل انسان متمدن أينما كان ولأي أمة من أمم الارض ينتمي فما لاخواننا ادباء لبنان يحاولون نزع رداء الاصل الكريم ــ الاصل السوري ــ الاصل العربي ــ عنهم في هدفهم استقلال لبنان عن سورية وهي أم لبنان وهيأمهم كما هي أمنا جميعا ؟

فخري البارودي

عرفت السيد فخري البارودي في نيويورك حين زارها في سنة ١٩٣٨ موفدا من حكومته للعمل على اشتراكها في معرض نيويورك الدولي وتعارفت قلوبنا مع قلبه • وأقول قلوبنا بالجمع كناية عن بقية رفاقي من شعراء وكتاب أمثال المرحومين رشيد ايوبي وشقيقي ندرة ونسيب عريضة • وكانت ادارة ـ السائح ـ ندوتهم ، وكنا كثيرا ما نوصلها باجتماعنا في احد المطاعم العربية حيث تلذ الكؤوس وتنعم النفوس وتنتشي الرؤوس من خمور أدب الضيف الكريم الجامع في صدره خلاصة الفنون وأهمها الشعر والموسيقى •

زارني في فندق سميراميس الدمشقي وقد وجدته شابا كما عرفته منذ أكثر من عشرين سنة بروحه الطيبة ومروءاته الكريمة ، ولم يشأ أن يفارقني حتى أقنعني برد زيارته مساء ذلك اليوم • فسألت مرافقنا السيد عبد الله عبود عما اذا كان بالامكان قبول دعوة فخري العزيز فقال ان

وقتنا في ذلك المساء لنا وان زيارة فخري في داره العامرة تفوق زيارات أخرى لما فيها من انسجام روحي وجمال لا يضاهيه جمال •

وعند المساء وفد علينا بسيارته فهببنا الى امتطائهاانا وقرينتي ومرافقنا وقد وقفت بنا في طريقنا عند مدرسة التجهيز للبنات • فنزل من السيارة وتبعناه بالنزول ودخلنا بناية المدرسة الكبيرة فوقفنا عند مدخلها • واذا بنا نرى نحو مائتي تلميذة قد اصطففن • وما هي الا دقيقة حتى أخذ العزف يرسل لحنه المرقص ، واذا بالبنات ملائكة البلاد يقمن برقصة السماح متفننات بضروبها بما يبعث في النفوس كهرباء الاعجاب • وعندما وقفت رقصتهن سمعنا فخري يخاطبهن مثنيا على فنهن الجميل وأدبهن الاجمل قائلا لهن ان الذي يشاهدهن الآن هو أديب المغترب فألهبن أيديهن تصفيقا بينما رفعت يديّ الى أعلى من الرأس أحييهن معجبا ومقدرا لهن تقدمهن في مضمار العلم والادب والفنون ثم ودعناهن وعدنا الى السيارة وبعد دقائق كنا في حديقة دار آل البارودي الغناء • وجلسنا حيال دالية تتدلى منها عناقيد العنب بأكبر ما عرفناه ، الى مائدة معدة لسهرتنا وقد سبقنا اليها عازفون ماهرون وضيوف ادباء أكارم • وقد جلس المضيف الكريم وبيده الدف ورحنا تهيم نفوسنا في واحة موسيقية أدبية بجمال المكان ومروءة صاحبه المحسان الفنان حتى ساعة متأخرة من الليل •

وعدنا من دار آل البارودي نتحدث عن نفسية فخري الجذابة المشبعة بروح الجمال ، الناظرة الى الحياة بعين تجمع شمل الوطن وتكره الفوارق وقلب يحب حبا صافيا ويكره النفور والبغضاء • وأذكر أن مضيفنا الكريم في تلك السهرة نادى خادمه وطلب منه أن يحضر بعض الكتب من تأليفه • فوضع بقلمه اذ حضرت أمامه كلمة عبهرية على أولى صفحات كل كتاب مهديا اياها اليّ • وكم اغتبطت عندما وصلنا الى

الفندق وتلك الكتب لم تكن معي اذ نسيتها على المائدة الفخرية ، ولكن حضرته أحضرها الى فندق سميراميس وأبقاها بأمانة المدير اذ كنا غائبين في ذلك الحين .

أما كتبه فهي ديوان شعري له دعاه « تاريخ يتكلم » قرأت فيه قصائده وموشحاته ومساجلاته فأعجبني أكثرها الا اني اقنعت نفسي بأن فخري الشاعر محدود أفق شعره بالتقاليد القديمة المعروفة من زمان بمدرسة صف الكلام على الوزن والقافية دون روح شعرية . ثم كتاب « الصلح مع اسرائيل » وهو بجوهره يوضح تلك القضية المفهوم أنها أعقد من ذنب الضب ثم كتابان صغيران بعنوان « مذكرات البارودي » وهو يقول في أولاهما أن هنالك تسعة أجزاء أخرى .

في هذين الكتابين رأيت فخري ذا قلم لا أبرع منه ولاأصدق في توصيف حالات شخصية ونفس البيئات التي عاش فيها بلغة تفهمها نفس القارىء فهما كليا وتحمله على أن لا يترك الكتاب حتى يأتي على كله ، وأنا لا أزال أعود الى قراءة هذين الجزئين من مذكرات البارودي فأستفيد منهما المزيد المتزايد من بحوثهما الشيقة . وكم قلت في نفسي : ليت فخري يزيد أمته من أمثال مذكراته فلا يحصرها بعشرة أجزاء بل يتعدى العشرة الى العشرين أو أكثر لاني أراه فيها قد منحه الخالق هبة خاصة لوضع مذكراته بفن خاص ولباقة قل من يجاريه بها .

ولا أزال بعدما عدت الى نيويورك استغرب كيف أن الحكومةضنت على الامة العربية فما شاركت فخري البارودي في ابداء مكنونات نفسه وأخصها الموسيقى وفروعها . وفن الوضع الادبي كما هو من صنع بارع البراع قوي في تأدية الرسم وواسع الخيال .



ادهم الجندي

عرفت أدهم الكاتب اللبق والبحاثة المجتهد من سلامات كان ينقلها

الى مسمعي عائدون من الوطن • فلما بلغت دمشق رأيته شابا حسما ولع في البحث عن أعلام الوطن الذين طمست أخبارهم مع آثارهم في ظرف ثلاثة قرون • وقد جاهد جهاد الابطال في الكشف عنهم وعن حياتهم الادبية وأصدر كتابين جليلي القدر عن تاريخهم بعنوان « اعلام الادب والفن » • جاءني مع رفيقيه الكتابين فقلت له اني احتفظ بالجزء الاول في مكتبي في نيويورك ولهذا اكتفي بقبول الجزء الثاني منه مع الامتنان الكلي والثناء على وافر علمه وجهاده في مضمار الادب والتاريخ •

وأدهم الجندي نجل المغفور له محمد الجندي صديق والدي ، وشقيق البطل الشهيد الدكتور عزت ، وشقيق الصديق الودود المرحوم رفعت الذي أقام بيننا بضع سنوات في نيويورك وكان منا أخا لكل من اخوتي ورفيقا لي ولصحابي •

أما مؤلفاته فمن النوع النادر ، بل من النوع الذي يقتضي لوضعه التغلب على مشاق عديدة في البحث والتنقيب في مختلف البيئات والاقاليم • وفيها يجد المطالع اسماء أعلام مع تواريخ حياتهم فيعجب كيف استطاع لمّ شعثهم ونبش بنات أفكارهم فيقول : لله درك يا أدهم يا بحاثة العصر وأديبه الاكرم !

هــل من كفر في الفكر ؟

يلذ لي هنا أن أذكر حادثا ولديا وقع في سيران دعيت اليه من آل سمعان من وجوه حمص الاكارم في مزرعة لهم تدعى الزور على نهر العاصي . هنالك اجتمع جمهور غفير من العائلات اقتضى لنقل افرادها استئجار (باص) كبير يتسع زهاء سبعين راكبا عدا بعض السيارات الفردية وقد كان يوم ذلك السيران من أجمل الايام وأمتعها للعين والفم والمعدة واللسان بين قوم توافر اخلاصهم وتعددت ضروب حفاواتهم . من قبل كبارهم من الجنسين وثم صغارهم الذين وجدوا لهم وازعا للعب والتسلية بشتى ضروب الاستمتاع وفيما كنا نرقبهم مستأنسين بهم اذا بصوت كبير من جماعتنا ينهرهم مؤنبا أشد التأنيب فسألت عن سبب انتهاره اياهم فاذا به يشكوهم قائلا انهم يكفرون ؟

أنا — وما كان فصل كفرهم ؟

هو ــ هذه فتاة عادت من مدرستها في العطلة الصيفية وقد طرحت على أترابها هذا السؤال (نجانا الله من وزر كفره) : « قيل لنا ان الله قد خلقنا ولكن لم يقولوا لنا من خلق الله ؟» أرأيت كفرا أفظع من هذا الكفر ؟

أنا ــ وأين الكفر فيه ؟

هو ــ أين الكفر فيه ؟ أتسألني أين الكفر في اتجاه هؤلاء الصغار الى السؤال عن خلق الله تعالى ؟

أنا ــ ألم تسأل نفسك مثل سؤالهم هذا عندما بلغت مثل سنهم ؟

هو ــ نعم سألت نفسي مثل سؤالهم ولكني لم أنطق به فالنطق به يحرمه علينا الدين وايماننا بوحدة الخالق عز وجل .

أنا ــ أجل يا أخي سألت نفسك تمام ما سأله هؤلاء الصغار لانفسهم ولكنك لم تنطق به فهل وصلت مع نفسك الى الحقيقة التي جهلتها ؟

هو ــ لقد انقطعت عن التفكير عندما ادركت أن ليس هنالك توفيق في الحصول على فصل الخطاب في ما أريد الوصول اليه بقوة الفكر .

عند هذا توجه اليّ والد الفتاة باسما وقال لي ان الاولاد يتطلعون اليّ منتظرين رأيي في الامر الذي وقع فأجبته باسما وقلت : دعوا الاولاد يعصروا أفكارهم وليس بما يعتصرونه من كفر على الاطلاق فان سؤال الفتاة عن خلق الله لن يجد الا سورا يصد الفكر السائل فيرتد عن ذلك السور بالتسليم والاكتفاء بأن الله هو الخالق ويجب الوقوف عند ذلك والا فيتهيأ أمام الفكر سلسلة لا آخر لها فاذا كان للخالق خالق فهناك خالق ثالث وللثالث رابع وهكذا الى مالا عدّ له من الخالقين وكما

ارتددنا نحن الكبار عندما كنا صغارا عن معالجة هذا الفكر فهؤلاء الصغار أيضا سوف يرتدون وبورك من خلق للناس عقولا تفكر حتى به وتعود صافية راكنة الى أنه خالقنا وكفى به خير الخالقين وهو لم يعظنا قط بأن الفكر فيه هو كفر على الاطلاق ما دامت نتيجته الى التسليم به الها خالقا كل ما يرى وما لا يرى •

ان الذين يريدون ايصاد بـاب الفكر الانساني من أرباب الديـن فيدعون التفكير بخلق الله هم الكافرون بحكمة الله وما ايصادهم باب الفكر الا دليل عجزهم عن اعطاء الجواب وهو العجز الذي يشترك فيه كل انسان ولكنهم لادعائهم المعرفة ثم لشعورهم بالعجز يحرمون الفكر عن الوصول الى الله على الرغم من ان الانسان يتميز عن باقي الحيوان بفكره حتى بالاشياء التي تعييه والتي لا طاقة له على ادراكها وعندئذ يلوذ بالتسليم الاعمى وينصرف عن تفكيره فكيف اذن يحرّم عليـه ذلك قبل أن يصل الى الحد الاخير من طاقة تفكيره ؟

هذه انطباعة أحسست بها عن تفتح فكري يجب أن يبقى وألا يعارض ليجول المفكرون منذ صغرهم في طرق الحرية التي تراعي تفكير الناس وتبارك آراءهم مهما تكن مذاهبهم أو مذاهب محيطاتهم كخطوات سديدة الى محجتها فلا يمكن أن تكون الحرية نصيب أي شعب يسدّ أبـواب التفكير على أفراده صغارا كانوا أم كبارا أو يضع على الفكر حراسـا مسلحين لئلا يمتد الى المذهب أو الدين فالله تعالى خالق للانسان عقلا ليفكر به وليمحص طرق تفكيره باستطلاع كل ما يشاهده بعينه أو يشعر به بوجدانه فان تاه بتحليله الامور لا بد من أن يرتد عن تيهه وعنـدئذ يتعلق بادراكه بأن ليس كل شيء يمكن وضعه تحت أدراكه وان لم يته في تفكيره وجد ضالته وبنى عليها حكمته لخيره وخير سواه من المفكرين العادلين الذاهبين الى حل المبهمات لجلاء الحقائق التي كادت السيادات الدينية والمذهبية تخنقها بالتهويل والتفكير والتهديد بالحروم •

نهوض الشعب
السوري الاجتماعي

مستشفى التل مثل للتعاضد الاهلي

من بديع ما ارتسم أمامنا من رسوم النهضة الشعبية الاجتماعية في سورية ، هو ذلك الرسم الباهر لسكان قرية التل في ضواحي دمشق ـ هو رسم يشير الى أن النهوض الاجتماعي لم يعد مقتصرا على احسانات اجانب ولا تبرعات أغنياء وطنيين ، بل أصبح عونه العمال الذين ما دب الى جيوبهم المال المتوفر من جراء عرق جباههم حتى اندفعوا الى العمل في سبيل المشاريع العامة التي تباركها الانسانية ويقبلها قلب الله منهم أحسن زكاة نفسية .

دعانا أحد الوجوه ، لزيارته في منزله في قرية التل . فذهبنا الى القرية حيث استقبلنا المضيف مع السادة المدعوين من وجوه البلد . فأقمنا بعض ساعة في المنزل العامر محاطين بضروب الحفاوة العربية الى

أن طلب منا رب المنزل الكريم مرافقته الى قمة أحد التلال حول القرية حيث قامت أسس بناء عظيم ، وعليها بداءة صرح فخيم ، سيكون مستشفى للقرية ومثالا يحتذى في اشتراك العامة في الاعمال التي تنهض باجتماعية الوطن الى الذروة وتبقى فوائدها لمنافع الاجيال .

حدثني صاحب الدعوة ، ونحن نرقى الى قمة التلة ، عن أن بنـاء المستشفى الذي ستبلغ نفقاته مئات ألوف الليرات يقوم به سكان قريـة التل ومعظمهم عمال يكسبون رزقهم بعرق جباههم وتغربهم عن عيالهم أشهرا في الكويت وعندما يعودون وفي جيوبهم فيض من الارباح يأخذون بالتبرع بفضلات المال الزائدة عن الحاجة مما يترجم ميلهم النفسي الى الغاية الشريفة في عمران بلدهم ولسان حال كل منهم ما قاله الشاعر قديـا :

ليس العطاء من الفضول سماحةً حتى تجـود بما لديـك قليـل

وروى لنا حكاية عن أحد رجال القرية يقصد مع غيره من المواطنين الكويت للارتزاق على الرغم من طعنه في السن وألم في احدى قدميه ولما وصل الى مسامعهم نداء لجنة مستشفاهم اجتمعوا ، وكان ذلك الرجل معهم ، فتبرع كل على قدر طاقته وأزيد . أما هو فتقدم بالتبرع الاكبر وهو كل ما كان في حيازته . ولما استعظم تبرعه اخوانه رغبوا في أن يقلله فما كان ليقبل بل أفهمهم بقوله انه يعمل بموجب قرار ضميره ، وأن تبرعه قليل أمام شعوره مع العاملين من سكان قريته لرفع شأنها وجعلها نموذجا لسكان جميع قرى الوطن ، لعلهم يبنون ما يحتاج اليه وطنهـم دون عضد من غيرهم أو حكومتهم .

أما المستشفى القائمة أسسه عندما تفقدناها فتحتل جانبا كبيرا من ذلك التل وقد قامت عليها بعض الاسوار . كما قامت حولها الحدائق

التي غرست أشجارها والتي ستكون من أبدع ما يماثلها بعد سنـوات قليلة العـدد .

وعدنا من ذلك المكان الناطق بعديد السنة عن محاسن النفس العربية التي تظهر للملأ بفصاحة ما بعدها فصاحـة مبدية عن الكرم والجـود والاحسان فضائل لا تخلو منها حتى نفوس العمال الكاسبين رزقهـم بعرق جباههم وبجهادهم في سبيل عيالهم وسبيل بلدهم .

عدنا لتسير بنا السيارات الى مقصف عين منين الجميل بباسقـات أشجاره وينابيعه العديدة المنتشرة في الارض كالسهام عالية كالاشجار . وهنالك تناولنا طعام العشاء مع رهط أضيافه الكرام تتابع النسمات العليلة لاستقبالنا فتبرد حدة الحر على وجوهنا وأجسامنا ، ونحن حول مائدة كبيرة تحت أغصان شجرة كبيرة وقد أثقلت بألوان التوابل فالطعام العربي الفاخـر .

وكان طعامنا وشرابنـا أكثره بين أخذنا بأطراف مواضيع وطنيـة واجتماعية مما أنسانا امتداد الزمان علينا فلما عرفنا أنه انساق بنا الى ساعة متأخرة من الليل هببنا على كره منا من جراء وجاهة المكان وجلالة الاحاديث وبشاشة المضيف الكريم ، نودعه شاكرين معجبين وعدنا الى دمشق وفي نفوسنا أجمل الذكريات لتلك الحلقة التي اجتمعت حولنا ولقرية التل وأهلها الاذكياء الروح والطيبين النفوس ، وهي البلدة التي ضربت أجمل مثل في مجال التعاضد الاهلي .

مغتربون في زيـارة حمص

ذات يوم طلب مني ومن الاستاذ نظير زيتون أديب المهجر الاول سيادة محافظ حمص مرافقته بالسيارة الرسمية الى مستشفى الحصـن لملاقاة جمهور من المغتربين قادمين عن طريق اللاذقية وأخبرنا أنه أعـدَّ لهم غداء في قلعة الحصن . ولما لم يقبل المحافظ الا مرافقته على الرغم

من اعتذاري له بأني قد لا أعرف أحدا من أولئك المغتربين درجت السيارة بنا الى مستشفى الحصن القائم معهدا انسانيا جبارا بفضل أبناء منطقة الحصن المغتربين في العالم الجديد عند قرية عين العجوز فوصلنا اليه بعيد الظهر وقد استقبلنا رئيسه النشيط الدكتور سمير طرابلسي بغاية الحفاوة وكان قد أعد قاعة الاستقبال لراحة الزائرين فحجب نوافذها بالشريط لمنع الهوام من الدخول اليها وكان ذلك الشريط لا للبقاء بل لوقت الاستقبال وبعده تنفتح النوافذ لهجوم مختلف الحشرات من ذباب وبرغش وفراشات وغير ذلك .

ولما سألنا الدكتور سمير عن هذا النقص في بناء المستشفى هبط رأسه الى كتفيه ثم قال ان تشريط المستشفى يكلف بضعة آلاف دولار وأنه بعث عدة رسائل الى الاستاذ سليم نعمة رئيس الجامعة الحصنية في بتسبرغ يطلب فيها تخصيص مال يكفي لعملية تشريط نوافذ المستشفى وأبوابه وأنه حتى ذلك اليوم لم يعلم ما اذا كان رئيس الجامعة الحصنية توفق لتقرير مبلغ المال اللازم .

وقد تأخر موكب المغتربين زهاء ساعتين عن الوصول الى المستشفى ولكننا قمنا بتفقد غرف المرضى ودوائر العمل والعمليات وعندها أخبرنا الدكتور سمير أن في المستشفى الآن اثنين وثلاثين عليلا وأنه في صباح ذلك اليوم جيء اليه برجل أصيب بجرح بليغ في بطنه خرجت منه امعاؤه في حادث شجار وقع له مع جاره . فاضطر الطبيب الى ترك كل أمر للاهتمام باعادة الحياة الى ذلك الجريح بمساعدة رفيقه الطبيب المتخصص فغالبا الخطر على حياة الجريح وها هو في سريره يتماثل للشفاء التام . وما كادت تنتهي تلك العملية الخطيرة حتى وفد جمهور يحملون امرأة مزارعة نهشتها حية سامة فترك ورفيقه كل عمل لمغالبة السم في جسم

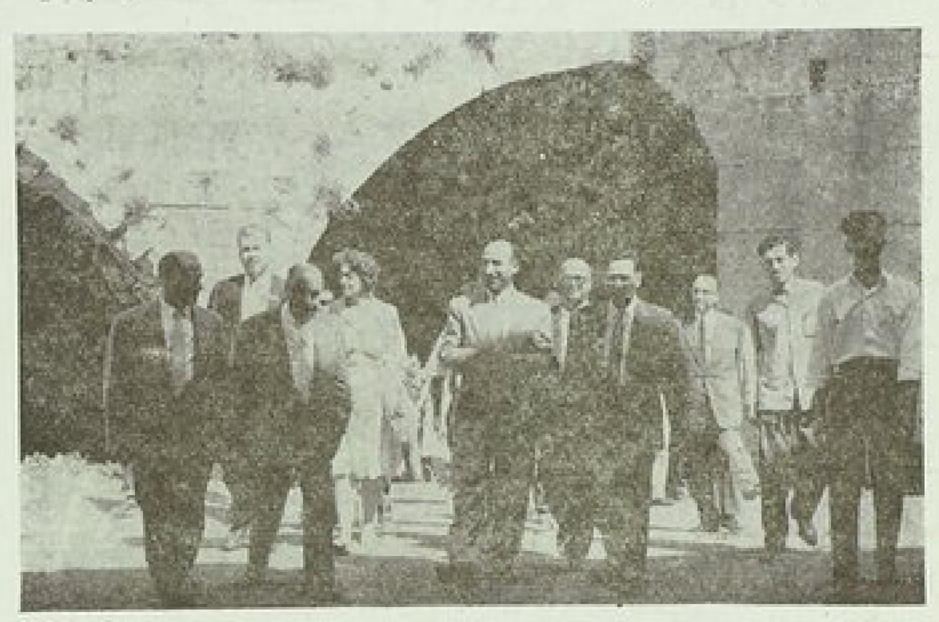
المرأة وقد تكلل عملهما بالنجاح وأصبحت العليلة في سريرها آمنة من خطر المـوت •

عندئذ قلت للطبيبين لو لم يكن هذا المستشفى موجودا ما كان ليكون نصيب هذين العليلين من الحياة ؟ أجاب الدكتور سمير : لولا وجود هذا المستشفى القريب لكانا فارقا الحياة ولا شك •

وعدنا الى قاعة الاستقبال وما هي الا دقائق حتى قيل لنا ان المغتربين قد أطل موكبهم فخرجنا لاستقبالهم وقد تقدم رئيس بعثتهم الاستاذ جيمس عنصرة الينا فسلمت عليه وهو من أصدقائي الاعزاء وعرفته بسيادة المحافظ ثم انخرطنا أنا والمحافظ في قلب الجمهور وهو شادّ على يدي لئلا نضيع بينهم متفرقين ونحن كذلك اذ سمعت شابا وراءنا يقول لمن معه : انظر الى هذا الرجل الذي يسحبه من يده المحافظ انه يشبه كل الشبه عبد المسيح حداد في نيويورك • فلم استطع الالتفات الى القائل لشدة الازدحام ولكن بعد دقائق قليلة من سير المزدحمين رأيتني مواجها له فاذا به يطلب مني أن أعرفه بنفسي ولما قلت له اسمي توجه الى رفيقه قائلا : ألم أقل لك انه عبد المسيح حداد من نيويورك ؟ وعندئذ تعارفنا وعرّفته ورفيقه بالمحافظ وقد أخبرني أنه كان من مشتركي السائح لاكثر من عشرين سنة وأنه زار ادارة السائح مع المرحوم ايليا عطا الله منذ ذلك الوقت الذي بدأ فيه اشتراكه •

وبعد وقوف بعض ساعة اقتضى لتفقد الزائرين المستشفى صعدنا السيارة وسار خلفنا بعض المغتربين وسياراتهم وعددهم أكثر من مئة وعشرين بينهم عدد ينتمون الى منطقة وادي النصارى التي أبدل اسمها بوادي النضارة الى قلعة الحصن القريبة من المستشفى ولما تم دخول الجميع الى باحة القلعة طلب المحافظ منهم جميعا الاقبال على صرر الغداء وقد طلب مني ومن نظير الاهتمام معه بتأدية الصرر لطالبيها الجياع حتى

اذا انتهى العمل نأخذ نحن صررنا ونأكل مع الجميع وبينهم وقد التف حولنا جمهورهم يشكرون للمحافظ استقبال حكومته لهم واهتمامه براحتهم وضيافتهم .



واخذ هذا الرسم لدخولنا مع السيد المحافظ من بوابة قلعة الحصن واجتيازنا نفقها الى ساحتها الكبرى حيث اجتمع جمهور المغتربين لتناول الغداء .

★ ★ ★

وعلى أثر الغداء باشر المغتربون بتفقد تلك القلعة التي تعد من أبقى وأقوى الآثار التي تركها الصليبيون تحت ضغط قوات السلطان صلاح الدين الايوبي وكان سرور المغتربين عظيما بما شاهدته أبصارهم من البناء الجبار ومختلف الحصون فيه للجند والمطايا ومساكن الملك وأمراء الجيوش وعادوا وعدنا الى المطايا التي أتت بنا تنهب الجبال والاودية والسهول الى مدينة حمص وقبل وصولهم اليها زاروامصفاتها الجديدة المعدودة أكبر مصفاة للنفط في الشرق الاوسط . وكنا قد تركناهم في منطقة المصفاة لنعود مع المحافظ الى حمص حيث سيسافر

الى حلب لمهمة عائلية أما أنا ونظير فقد نزلنا الى حديقة الروضة حيث سينزل بها المغتربون قبل استئنافهم السفر الى دمشق وقد أقاموا في تلك الحديقة الغناء ساعة نالوا فيها الراحة الكافية مستمتعين أفياءهاوجمال أرضها وبشاشة أهلها ثم ودعناهم جميعا وسارت بهم مطاياهم الىدمشق أما نحن فبقينا في الروضة نحدث الاصدقاء عن سفرتنا وعن المغتربين وشوقهم الى زيارة بلدان آبائهم المهاجرين كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

بـين أدباء لبنــان

ي بيروت اجتمعت بالادب ـ أدب العرب ـ رسل الوعي في هـذا العصر يزينهم ويزين دنيانا بما يقصر عنه النشب • وكنت أعرف بعضهم بالبصر وبعضهم بالسمع فكنت بمجالسهم أسعد الناس وكانوا حـولي عوامل اللطف والعطف والاستئناس •

اذكر منهم الدكتور نبيه فارس استاذ التاريخ في الجامعة الاميركيـة وهو الحبيب الى القلب ـ فقد أحبه واثرى بحبه منذ سنوات الحـرب العالمية الثانية اذ كان رئيس القسم العربي في مكتب المعلومات الحربية الاميركية حيث كنت أحد محرريه وقد ظلت وثائق هذا الحب بين قلبينا رغم افتراقه عنا مجيبا دعوة الجامعة الاميركية في بيروت •

ونبيه علامة بحاثة تشهد له بهذين الوصفين مؤلفات عديدة كما أنه أديب عربي صميم تتلمذ على أدب العرب ولكنه امتاز بأدبه الغربي يفكر به ويكتبه بقلمه المخلص المتزن بالحياة والحق والحكمة •

دعانا ذات يوم للغداء في مطعم للجامعة تناولنا فيه ما اشتهته النفس من غداء الملوخية في مجتمع ضم عددا من الاساتذة الكبار بأدبهم وقلوبهم أمثال الدكتور محمد نجم استاذ الآداب في الجامعة والدكتور فؤاد صروف نائب رئيسها •

وفي بيروت — على الرغم من قلة عدد الايام — لازمني الاديب والصديق القديم فيليب كاتسفليس شقيق فقيدنا العلامة الهمام المرحوم وليم الذي كان لي على الحياة أخا كبيرا كأخينا ندرة بل ّ الله ثراهما برحمته • كما تعرفت الى الصحافي القديم والاديب الممتاز بعرفه وذكائه الاستاذ خليل بن رامز سركيس صاحب جريدة لسان الحال الشهيرة لمؤسسها جده وسميه المرحوم • وهو بعد تقاعده عن الصحافة وجد نفسه طليقا في التفكير والتسطير فطفق يضع كتبا يهيم بمطالعتها المفكرون الاحرار •

وهناك تجددت النسابة التي تجمعني بالاديب البرت ريحاني وهي النسابة الروحية التي ضمتني مع شقيقه الكبير بأدبه وقلمه المرحوم أمين• ولأمين منزلة في قلب أخيه وربيبه البرت تفوق عهد الاخوة والابوة معا فقد توفي الامين ولكنه بقي ولا يزال حيا في دار البرت في الفريكة حيث أقام لفقيده غرفة ضمت آثاره الادبية وأصبحت متحفا يحجُ اليه عشاق أدب ذلك الفقيد الكبير •

ولقد شاء البرت أن يجمعنا بمعظم أدباء لبنان في داره العامرة في الفريكة وهناك اجتمعنا بالصديق الودود والشاعر الكبير رشيد سليم الخوري الذي عرفته طوال سني غربته في البرازيل بقصائده الجبارة التي كان يصل بها السائح ثم عرفت شخصه الكريم في حين قمت بسياحة في أمريكا الجنوبية • وهناك أيضا اجتمعت بلفيف من أكابر الادباء نثرا وشعرا أمثال واصف البارودي وجميل جبر والشاعر العراقي حارث طه



وهذا رسم ثان أخذ خلال الزيارة لمنزل آل الريحاني في الفريكة وفيه يظهر مؤلف الكتاب والى يساره الدكتور جميل جبر الاديب اللبناني الكبير والى يمينه الاستاذ وديع ديب الشاعر الناثر الشهير صاحب عدة مؤلفات قيمة في الادب العربي .

★ ★ ★

الراوي والكاتب الشاعر وديع ديب وغيرهم من مصابيح لبنان بل من مصابيح الامة العربية في هذا العصر . ودعي الى هذه المأدبة الفخمة الاستاذ نظير زيتون من حمص ولكنه اعتذر .

وكم كان أسفي عظيما لاني لم استطع الاجتماع بالصديق القديم الدكتور قسطنطين زريق الاستاذ فوق العادة في الجامعة الامريكية الآن وسفير سورية سابقا في العاصمة الامريكية فقد كان على أهبة السفر الى العاصمة المكسيكية ولما رغبت في مخاطبته تلفونيا وهو ضيف آل حبيه في بحمدون قيل لي ان استدعاءه للكلام لا يمكن قبل ساعة ونصف ولما كنت على موعد قبل تلك الساعة الغيت الطلب آسفا وسافر الدكتور في اليوم التالي طائرا الى الولايات المتحدة .

غـداء مع أعضـاء
المجمـع العلمي في دمشـق

تلطف سيادة الدكتور يوسف شقرا الامين العام لوزارة الثقافـة والارشاد القومي في دمشق فدعانا الى غداء في نادي الشرق .

وهنالك في قاعة الاستقبال للنادي المذكور ، اجتمعنا بضيوف سيادة الامين العام ، وهم أعلام البلاد بعلومهم وميلهم الى أدب اللغة العربية أي أعضاء المجمع العلمي العربي – ولا جرم أنهم جميعا أعـلام تشهد لهم البلاد بوفـرة علومهـم وغيرتهـم على أم اللغـات وهـم رجال معظمهم شيوخ أعمار ، كما أنهم شيوخ علوم وأخلاق محترمون لنقاوة قلوبهم ولاستعدادهم للخدمة في نطاق مجمعهم وكان في عـداد

المدعوين صديقانا الاستاذ نظير زيتون وعبد اللطيف اليونس وبعض رؤساء الدوائر في وزارة الثقافة •

أما ما عرفته عن المجمع العلمي الدمشقي وعن الخدمات التي أداها للغة والتي سيؤديها لها ، فذلك أمر قد لا يكتفي به السائلون • وكما علمت أن سبب ذلك هو ضآلة الميزانية المالية وهذا ما يجعل آمال الاعضاء بتحقيق أهداف المجمع ضعيفة لولا هممهم الكبيرة ومجهوداتهم المستمرة • ولا أدري لماذا تتضاءل ميزانية المجمع ولا لماذا لا تتقدم الحكومة لعضدها باللازم للادب ، في حين أن الامة العربية نالت قسطا وافرا من تطورها اجتماعيا وماديا وسياسيا • أيحق والحالة هذه أن تتخلف لغة الامة عن جري أفرادها في كل ميدان من ميادين العصر ؟

هذه كلمة قصيرة أود أن يكون لها صدى أبعد لعلها تصل الى مسامع ذوي الامر في سورية ، نعم ان المجمع العلمي العربي قام بأعمال لغوية وأدبية جبارة كما نشر سلسلة من عيون المخطوطات العربية التي تولى تحقيقها جهابذة مدققون •

ولكن اللغة العربية لفي حاجة ماسة الى اصدار قاموس عام وآخر للطلبة في المدارس ، على الطراز الحديث فما هو موجود الآن من القواميس العربية يعبث أكثره بوقت الطالب فيضطره الى أن يخوض بحرا من حوشي الكلام ليبلغ الى اللفظة التي يحتاج اليها • هذا عدا أن القواميس الحالية تعتمد على جمع الالفاظ غير المستعملة مع التي يمكن استعمالها ، وهذا أكبر العوائق لدى الطلبة الاحداث وسواهم •

واني لقائل بضرورة تعريم الميزانية لاي مجمع علمي عربي حتى يستطيع اصدار ما يقوم عنده من الحاجة اليه من الكتب الاساسية والعلمية الشاملة جميع ضروب العلوم ، فاصدار قاموس مثلا يجب أن يقوم عليه جمهور من الاختصاصيين في اللغة ومختلف العلوم واللغات

الاخرى • فكيف اذن يكون امر اصدار دائرة معارف على مثال ما عند الامم الراقية ، وهو يتطلب قيام جمهور غفير على وضعها ولكل منهـم ميزة في علمه ، اذا لم تكن ميزانية المجمع قادرة على نفقات الدائـرة ومحرريهـا ؟

الامة
وجواليهـا المغتربة

لا جرم أن شعور الاقطار العربية بوجوب دوام العلاقة العائليـة بين أقوامها ومغتربيها ، لهو الشعور الـذي ينبغي أن يتقوى لفائـدة الاقطار نفسها . فان بعضها وخاصة لبنان ، الشاعر بأن نصف سكانـه أصبحوا مهاجرين وعليه واجب ابقاء الرباط اللبناني بين شطري لبنان ، ولهذا نشطت الحكومة اللبنانية منذ سنوات للعمل على تحقيق هـذا الهدف ، وكان نشاطها جليل الفائدة مكللا بالنجاح .

وسورية تأتي بعد لبنان في كثرة عدد أبنائها الضاربين تحت كـل سماء في العالم الجديد ، ولهذا أصبح واجبا على حكومة سورية أن تعني بتمكين الرباط العائلي القومي بين المغتربـين من أبنائها واخوانهـم المقيمين .

ولقد كان سروري عظيما عندما علمت أن لوزارة الخارجية فرعـا

يدعى بمديرية المغتربين تعني كل العناية بشؤون المغتربين الذين انتشروا في طول الاميركتين وعرضها ، كما حملوا الوية العمران الى جانب اللواء العربي الخفاق في قلوبهم .

ولكن هذه المديرية لم تعالج حتى الآن قضايا المغتربين في صميمها ومعظمهم الآن مواليد أمريكيون فآباؤهم وجدودهم الذين هاجروا من أوطانهم العربية مضى معظمهم الى العالم الثاني ، الا ان ناشئات الابناء والاحفاد لا تزال على شعور مستمر بالوطنية العربية التي تسلموها بالارث الروحي من اسلافهم ، ولهذا فهم اليوم ، اذا ما اتصلت الى نفوسهم دعوة مديرية المغتربين ، لا بد من أن نفوسهم تأخذ شيئا من النشوة وهذه تزداد حينا بعد حين حتى ليتوثق الرباط بينهم وبين ديار أعمامهم وأخوالهم في سورية وغيرها من الاقطار العربية .

وهذه قضية يجب علينا أن نلفت اليها نظر وزارة الخارجية حتى تتلافى ما فات الحكومات السالفة من توثيق الصلات بين المغتربين والمتحدرين منهم وبين الوطن الام وفي هذا التوثيق فوائد أدبية واقتصادية وسياسية للجانبين ، وليس من مصلحة قضيتنا القوميةالعربية أن نهمل ثروة بشرية هائلة فلا نرعاها حق الرعاية ولا نوفي بواجبنا نحوها . وقد طالما قدم المغتربون الدليل تلو الدليل علىوطنيتهموتمسكهم بعهود القومية والاخوة .

ان الرأي العام الاميركاني مثلا لا يزال حتى الآن مأخوذا بالدعاية الصهيونية والمغتربون قاموا بصفة فردية برد هذه الدعاوة ضمن حدود طاقتهم ، ولو دعمتهم الحكومة وضمت جهدها الى مجهوداتهم لتضاعفت النتائج وخصوصا متى علمنا ان بين الاميركيين المتحدرين من اليهود من يستنكر السياسة الصهيونية كالكاتب اللبق الفريد ليلياتال مؤلف كتب عديدة دافع بها عن حقوق العرب ، وهو فخور بأنه صديق العرب ،

وبأنه يهودي حر يرى من اسرائيل شرا على الجنس اليهودي لا في فلسطين فحسب بل في معظم بلدان العالم التي بدأت تشعر بأهداف الصهيونية العالمية في هدم مدنية العصر ليتولى الصهاينة زمام أمور العالم لانهم الشعب المختار من الله حسب اعتقادهم .

ان مديرية المغتربين في وزارة الخارجية مدعوة الى القيام بمهمتها الثقيلة التي ترمي الى كسب الثروة البشرية في بلدان العالم الجديد ، وبهذا الكسب كسب عظيم للقومية العربية ، وعسى أن تدرس هذا الموضوع بما يستحق من عناية واهتمام لكي يلتقي الشطران الحبيبان على صعيد المصلحة الوطنية العليا .

زملاؤنا ادباء مصر

اقتصرت اقامتنا بمصر على اسبوعين فقط ولهذا كانت متصلة الشواغل حتى لم يبق لي من وقت لزيارة الصحف في القاهرة والاسكندرية ولا لمناداة اخواني أدباء القطر ولا سيما منهم أعضاء رابطة الادب الحديث وهي الجمعية التي وقع انتخابها لي عضوا منذ سنوات . الا اني سعيت في مخاطبة أحدهم الاستاذ وديع فلسطين الكاتب الرشيق والعديدالمؤلفات وكان ذلك في الايام الثلاثة الاخيرة فأسرع للحال الى فندق النيل ــ هلتون . وكان بيننا الاجتماع الاول الذي عقبه اجتماعات وفي كل منها كان الادب العربي العصري محور أحاديثنا . وما ان انتهى الاجتماع الاول حتى وفد علينا الاديب الكبير الاستاذ حبيب جاماتي المحرر في عدة صحف قاهرية ، والمنقولة مقالاته الوطنية والتاريخية والاجتماعية الى عدد كبير من صحف المهاجر الاميركية . ولكم عزّ على هذين الاديبين المتفوقين عندما علما أن موعد مغادرتنا مصر أصبح وشيكا بعد

أيام ، واننا مزمعون زيارة طنطا حيث لنا انسباء وأصدقاء ألحوا علينا بزيارتهم ، وبعدها نعود الى القاهرة ليبقى لنا يومان لا غير قبل رحيلنا .

وعدنا من طنطا الى فندق النيل ــ هيلتون فسألنا مديريه عن السيد البرتو خوري وقرينته السيدة ايلينا ، وهما سائحان في الشرق والغرب ، وللسيد خوري منزلة عالية في سانباولو البرازيل في الحقول المالية والتجارية ، فقيل لنا ان اقامتهما انتهت في الفندق واضطرا الى الانتقال الى فندق آخر . ولما خاطبناهما بالتلفون أسرعا الينا ليدعوانا الى مأدبة في مقصف فوتتانا اعداها لاصدقائهما ونحن منهم وقد وضعوا لنا اعلانا بذلك في النيل ــ هلتون لنكون على بينة من الامر .

وهنالك في مقصف فوتتانا تعرفنا الى الاديب المتقد ذكاء السيد ارنست يونس مدير دائرة الاعلانات في جريدة الاهرام ، فكان فرحنا بالالتقاء به عظيما لان اسمه الكريم كان مدونا في دفتر المذكرات لدينا وخشينا أن لا نجتمع به ولهذا عظم شكرنا لنسيبنا الحبيب السيدالبرتو خوري الذي كان واسطة العقد .

واجتمعنا هناك أيضا بالصديق القديم الاستاذ سامي الخوري الملحق بوزارة الخارجية ، وكان حين زيارتي البرازيل منذ احدى عشرة سنة ، قنصل سورية العام مع رفيقه القنصل الاستاذ فريد اللحام الذياجتمعنا به أيضا مرات في دمشق يشغل وظيفة عالية ، وقد قمت بزيارة سيادته في مكتبه فرحب بي كثير الترحيب ، وهو صديق وفيّ كريم تعرفت اليه في نيويورك حيث قدم اليها عضوا في الوفد الذي ترأسه فارس الخوري لانشاء الامم المتحدة .

وفي اليوم التالي وفد علينا رهط من ادباء اخوان لنا دون معرفة شخصية سابقة بيننا الا الاستاذ وديع قسطنطين ، بينهم محمد عبدالغني حسن ومحمد عبد المنعم خفاجي وكلاهما شاعر وناثر من الطراز الاول ، وبعد التعارف والعناق قدّم لي الاستاذ محمد عبد الغني حسن ورقة كتب عليها ما يلي :

« الى أحد السابقين من حملة الشعلة العربية في العالم الجديد الاستاذ الكبير عبد المسيح حداد صاحب « السائح »

لقد زفّ البشارة لي « وديع » فكان كعهده حلو المساعي
علمت الآن أنك بين أهل فجئت أمدّ من شوق ذراعي
فان السائح الجوال فكر توثقنا به أقوى الدواعي
عرفناه ـ الغداة ـ على افتراق ونعرفه ـ العشيّ ـ على اجتماع
أمدّ يدي اليك ولست أدري اللتسليم ، أم هي للوداع ؟ !

القاهرة في ٢٦/١٠/١٩٦٠ محمد عبد الغني حسن

ولما قرأت هذه الابيات العاطفيات تذكرت حادثا عاطفيا مماثلا جرى معي في حمص ، فهنالك أقبل للتسليم علينا شاعر صديق بلغ من العمر متوسط العقد التاسع الشيخ صادق أسعد ، وكأنه لم يكتف بالزيارةدون شعوره شعريا فأخذ ورقة وكتب عليها بيتين ينتهيان بتاريخ وقد أعجبت أيما اعجاب بذكاء هذا الاديب الشيخ الشاعر وبسرعة جمعه حروف التاريخ ١٩٦٠ فما مضت دقيقتان حتى ناولني ورقته فاذا فيها ما يلي :

لله يومٌ حلّ فيه سرور والقلب من طرب يكاد يطيرُ
بلقاك يا عبد المسيح مرحبا أرخت حبا غرّد الشحرور

١٩ حزيران ١٩٦٠ المحب الصادق
صادق أسعد

أماالشحرور الذي ذكره شيخنا الشاعر فمعناه قلبه السليم المغرد في

كل مناسبة وطنية . لنعد الآن الى اجتماعنا في القاهرة بأحبابنا كتاب وشعراء مصر البارعين ، فبعد أن جلسنا نتحدث واياهم بأحاديث الادب العربي ونهضاته في الاوطان والمغتربات ، أخبرني الاستاذ فلسطين عن الذين سألت عنهم وهم الاساتذة ابراهيم رضوان وعبد اللطيف السحرتي وحسن كامل الصيرفي ومحمود أبي الوفاء وصالح جوهر فأجاب أنهم جملة جد آسفين لعدم مقدرتهم في ذلك اليوم على مغادرة مكاتبهم ولكنهم جميعا حمّلوه سلاما معطرا ينوب عنهم ويُعيضهم عن الاجتماع بالذكرى لربط قلوبنا بعضها مع بعض من زمان طويل .

مديرية المغتربين
في وزارة الخارجيـة

من ألمع الشخصيات التي تعرفت الى اصحابها شخصية مديـر المغتربين في وزارة الخارجية في القاهرة الاستاذ حسين مصطفى فقد زارني في فندق « النيل ـ هلتون » وتحدثت واياه طويلا عن المغتربين ومـا سيادته يأمل منهم وما هم عليه من الاستعداد لتوجيه مشاعرهم نحـو وطنهم أو وطن آبائهم .

والاستاذ حسين مصطفى وزير مفوض يدير ادارة « المغتربيـن » بهمة ونشاط لا مزيد عليهما ، وانما يعوزه أن يقوم بزيارة خاصةلمختلف المغتربات لدرس أحوالها العامة وللاتصال بأفرادها الذين يؤمل منهم أن يسيروا في موكب الوطن العربي لتعضيد مشاريعه القومية وللعمـل على المساهمة مع اخوانهم المتخلفين في تبيان حقـوق العرب لدى الشعـب الاميركي وحكومته ومجالسه اذا أمكنهم .

هكذا أفضيت له برأيي فقبله مني ووعد بالعمل في سبيل تحقيقه ،

وقد زرت سيادته في مكتبه فأعدنا الحديث وتناولنا فروعه الاخرى ولم يكتف سيادته بهذه الزيارة بل دعاني لقضاء سهرة في حديقة سطح فندق شيبرد . وقد كانت تلك السهرة من أروع سهرات القاهرة وأعمقها أثرا في نفسي لانها جمعت نفرا من أكارم البلد وزوجاتنا جميعا .

وفندق شبرد لا يبعد أكثر من شارعين عن فندق هلتون . وقدودعنا مضيفنا والسيدة حرمه وأضيافهما وسرنا نقصد فندق هلتون وما خطونا بضع خطوات حتى دنا منا شاب أسمر اللون جدا ولكنه أنيق الهندام فحيانا وحييناه مستغربين دنوه منا ، وطفق يحدثني باللغة الانكليزية ، وأنا أحاول استطلاع رغبته في الانجذاب الينا ، حتى سمعته يعرض عليّ قطعة من مخدر الحشيش ، فضحكت منه ومن اجتهاده في التعرف بنا وقلت له اني لست محششا ولهذا لا أرغب في شراء بضاعته ، فما كان منه الا ان طفق يصف لي حسنات التحشيش كأني لم أذقه في حياتي وكنا قد اقتربنا من حديقة فندقنا فنفحته بابتسامة وأمرته بالانفصال عنا والا . وهذه « والا » كانت الدافعة لعجلة قدميه للابتعاد عنا من حيث رافقنا لعله يجد من أمثالي مغتربا يستطيع عقد صفقة تجارية على بضاعته القتالة ، وظهر لي بعد هذا أن تعاطي الحشيش لا يزال مستمرا مع شدة حرص السلطات على مكافحة هذا السم الابيض .

والآن لاعد مع القارىء الى الكلام عن الاستاذ حسين مصطفى الذي رأيت منه نشاطا جما في المهمة الكبرى المسندة اليه ، وهي مهمة ربط المغتربين باخوانهم المقيمين وجعل أجيالهم المتعاقبة في المغتربات يحملون ذكر الوطن العربي الذي كان لآبائهم وجدودهم ، وقد تعدد حديثنا في هذه الناحية على عداد اجتماعاتنا وكنت في كل اجتماع أنشط فيه الامل برحلة الى المغتربات العربية ليضع أسس مشروعه في نفوس أبناءالمغتربين. وقد حملني سيادته عددا من الكتب العربية والانكليزية الموضوعةللدعاية السياسية .

في وزارة الخارجية

اقترح علي السيد محمد سمير المنصوري مرافقنا الرسمي في مصر أن أقوم بزيارة وزارة الخارجية وكانت سيارة الحكومة وفيها سائقها ينتظرنا للقيام بتلك الزيارة التي كانت من أسعد الزيارات الرسمية ، ففيها تعرفت بمدير الخارجية • وقد استقبلني استقبال رجل لرجل لم يجمع بينهما مكان قبل الآن الا أنهما عرف واحدهما الثاني معرفة روحية • وجلسنا نحسو القهوة فيما أخذنا في الحديث عن المغترب الاميركي • وقد سرني منه سؤاله في ابتداء الكلام عن صديقه الالمعي الدكتور جورج طعمة • أجل سرني منه سؤاله ذاك لان الدكتور طعمة من أحب الاصدقاء وأقربهم لنفسي ، كما هو حبيب الجالية العربية ومفخرتها وقد عرفته عند وقفاته خطيبا بارع الاساليب التي تأخذبنفوس

السامعين وألبابهم ، المستطلعين منه ضروبا من التفنن في التجول بـين التاريخ والادب والعلم وتنفتح لفنه قلوبهم خاشعة لذاك الفن والادب البالغـين حدا قصيـا .

وحدث أن جرس التلفون رن ّ فأخذ المديـر السماعة ، يقـول لسكرتيرة مكتبه الخاص أن يدخل عليه الزائر الجديد فنهضت أودعـه قائلا له أن يسمح لي بالانصراف لينصرف هو الى مقابلة ذلك الزائر . فما كان منه الا أن ألح ّ علي ّ بالبقاء فعدت الى مقعدي ومعي السيدمحمد سمير المنصوري الموكل بنا من قبل وزارة الخارجية . وما كدنا نجلس حتى فتح الزائر الباب فنهض المدير ونهضنا معه لاستقبال الداخل الجديد وللحال عرفني به رب المكتب فاذا به الاستاذ محمد عبد الوهاب الموسيقي العربي الشهير بفنه العصري وصوته الرائع .

عند هذا التعريف خاطبني عبد الوهاب بقوله انه يحن الى زيـارة المغتربات العربية ، ولكنه يريد أن يعرف ما اذا كان المغتربون يحنون الى فن الغناء العربي . فأجبته مبتسما بأن الشعب العربي عامة شعـب للموسيقى عنده المنزلة الاولى ، وأنه بذلك الميـل تظهر منه المـروءة الانسانية وعطفه على السلام ، وان اسطوانات عبد الوهاب قلما يخلو بيت مغترب منها يسمعها بالفونوغراف فيخرج « الآه » من صميم القلب. وقد رأيت أن عبد الوهاب قد سر ّ لما سمعه مني عن فنه وميـل المغتربين اليه ، فقال لي انه يريد مقابلتي للتحدث عن أمر رحلاته الى المغتربات العربية المنوية بصورة أفسح ورجا مني أن أزوره فمقامه قريب من الفندق أي عبر نهر النيل في حي الزمالك ، فوعدته بالزيارة اذا سمح الوقت . ثم ودعته وودعت مدير الخارجية . ولكني لم أستطع زيارة المطرب الاستاذ عبد الوهاب لدنو وقت الرحيل من مصر وعدم استطاعتي تأجيل موعده يوما آخر والا اضطررت الى البقاء في القاهرة أكثر من عشرة أيام لشغل مقاعد الطائرات بالركاب المحتفظين بها طوال الايام العشرة القادمة .

الاسكنـدرية

اقتصرت زيارتنا في مصر على أهم مدائنها وكانت الاسكندرية أولى المدائن بعد القاهرة التي زرناها ونظرا لقصر مدة اقامتنا قررنا مع مرافقنا السيد المنصوري أن تقيم في الاسكندرية ليلة واحد بحاشيتيها النهارين قبلها وبعدها • وقد استغرب أمر هذا الاقتصار حكمدار الاسكندرية محتجا على قرارنا به وقائلا ان المدينة مستعدة لاستقبالنا أربعة أيام ولكنه نزل الى رجائنا بقبول ما استقر رأينا عليه لقلة أيام اقامتنا في مصر وأرسل من يرافقنا في الطواف على معالم المدينة وقصورها ومتاحفها ومكاتبها وبعث كذلك بضابط يسبق سيارتنا على دراجته النارية فيدلنا على الطريق دون ضياع أي وقـت •

وهكذا سرنا في المدينة نمتع الابصار بشاطئها الرائع المشاهد وبما قام عليه من البنايات والمنازل للاصطياف والمسابح والنوادي الرياضيـة

وكل ذلك من الطراز الاول ومن أجمل ما تقع على مثله عيون السائحين .

وكان أول بدئنا بزيارة المدينة دخولنا الى قصري الملـك فاروق ـ رأس التينة والمنتزه ـ وهما من أفخم قصور الدنيا ويحتوي كل منهما على حدائق وجنات عظيمة منسقة أبدع تنسيق . وكذلك يحتويان على ما ألهى ذلك الملك عن شؤون ملكه حتى خسر ملكه . وفي أحدهما وقفنا على وثائق تخليه عن العرش والقلم الذي كتبه به والكرسي وراء المنضدة التي كتب استقالته عليها وفي عينيه الدموع . وقد أصبح القصران بعده متحفين يؤم اليهما السائحون العالميون وينقلبون عنهما مذهولين يهزون رؤوسهم اعجابا ببنائهما واستخفافا بالملك الذي بناهما على أساس أنانيته السلبية .

والاسكندرية مدينة قديمة أنشأها اسكندر ذو القرنين سنة ٣٣١ قبل الميلاد وهي اليوم تعد من أهم موانىء البحر الابيـض المتوسط والعاصمة الاقتصادية للقطر المصري . ويبلغ عدد سكانها مليونا وثلاثمائة الـف نسمـة .

ومن أهم آثار الاسكندرية القديمة قلعة قايتبـاي المبنية على المكان الذي كانت فيه المنارة العظيمة المعدودة احدى عجائب الدنيا السبـع المشهورة في العالم . وكذلك تحتوي الاسكندرية على مقابر قديمة يعود تاريخها الى ما قبل القرن الثاني قبل الميلاد وتعتبر نقوشها من أجمـل ميزات الفنون المصرية اليونانية الرومانية .

قنـاة السـويس

من أهم الانطباعات التي رغبنا فيها ونحن ضمن أيام الضيافة المعدودة في القاهرة أن نزور قناة السويس بعد تأميمها ، فقد حملتنا سيارة الحكومة من القاهرة الى منتصف طريق القناة ـ الى مدينة الاسماعيلية وهنـاك انضم الينا السيد عز الدين محمد حافظ من مديري هيئة قناة السويس

وطاف بنا على أبنية الادارة وأرانا كيف يسهر المهندسون والعمال على شؤون القناة وأعمال خفارتها وترتيب دخول البواخر القادمة من السويس جنوبا أو من بور سعيد شمالا في كل دقيقة من دقائق اليوم .

وقد أقمنا بضع ساعات في منطقة ادارة القناة وطافت بنا السيارة بين حدائقها ومنازل ضباطها وعمالها ونواديهم الفخمة حتى عدنا الى الحديقة الكبرى حيث جلسنا للغداء بين أشجارها تنعم بالنسمات العليلة والمشاهد الجميلة وما انتهى غداؤنا حتى كان السيد عز الدين محمد الحافظ قد استدعى يختا نزلنا اليه فطاف بنا في طول بحيرة التمساح وعرضها وهي احدى البحيرات التي تمر بها البواخر وتليها جنوبا بحيرات الملح التي تصل القناة بالبحر الاحمر عند ميناء مدينة السويس .

وأخيرا ودعنا السيد الحافظ وزملاءه الكرام لنعود الى القاهرة وكان السيد المشار اليه قد أخبرنا أن كثيرين من مهندسي الشركة الذين اعتصبوا ضد التأميم بدأوا يكتبون الى دائرة القناة المؤممة يرجون أربابها السماح لهم بالعودة الى أعمالهم السابقة بعد أن تبين لهم أن التأميم المصري لم يفشل بل ازداد نصره وتعاظمت القناة رسوخا في العمل وازدادت عليها الاصلاحات حتى أصبحت تغل ضعف ما كانت أرباحها وستبقى الزيادة فيها مستمرة ومطردة .

ولم يشأ السيد عز الدين توديعنا الا ليزودنا بعدد من الكتب الموضوعة عن قناة السويس ولهذا رأينا أن نقتطف من تلك الكتب شيئا عن تاريخها القديم وتاريخها الجديد لفائدة المطلعين :

قناة الفراعنة : بين سنة ٢٠٠٠ و ١٨٠٠ قبل الميلاد كان يحكم مصر فرعون من الاسرة الثانية عشرة اسمه سنوسرت الثالث اتصف بالاقدام وبعد النظر فبسط سلطانه حتى أعالي النيل وازدهرت البلاد في عهده . وقد تحقق على يديه شق قناة تربط البحر المتوسط بالبحر الاحمر فكانت

المراكب القادمة من المتوسط تسلك فرعا من فروع النيل شرقا وكان لهذا النهر سبعة أفرع حتى تصل الى مدينة بوست (الزقازيق) ثم تتجه شرقا مارة بمدينة تيخاو (أبو صوير) فتبلغ البحيرات المرّة التي كانت في ذلك الزمان خليجا متصلا بالبحر الاحمر •

وفي سنة ٦١٠ قبل الميلاد في عهد الفرعون نخاو الثاني الذي دعاه المؤرخ الاغريقي القديم هيرودوت باسم نقوس امتلأت القناة بالاتربة لافتقارها الى الصيانة فترة طويلة من الزمن فتكوّن من جراء ذلك سد أرضي عزل البحر الاحمر عن البحيرة المرة •

قناة الفرس :

ازدادت أهمية برزخ السويس في عهد الفرس – اذ كانت الطريق الى فارس تجتاز وادي الطميلات وتسير بمحاذاة القناة التي شقها نخاو الثاني وتعهدها خلفاؤه بالعناية • فلما حكم مصر دارا بن حشوشب ملك الفرس أعار القناة جلّ اهتمامه فأمر باستمرار الحفر فيها وأدخل عليها تحسينات كبيرة ولكنه لم يفلح على الارجح في وصل البحيرة المرة بالبحر الاحمر الا بواسطة قنوات صغيرة لم تكن صالحة للملاحة الا في أثناء فيضان النيل •

قناة الاغريق :

في سنة ٢٨٥ قبل الميلاد على عهد بطليموس الثاني تمّ اعداد القناة بأكملها للملاحة اذ حفر الجزء الواقع بين البحيرة والبحر الاحمر فأصبحت القناة تصب بجوار مدينة كليسما (السويس) •

قناة الرومان :

في سنة ٩٨ قبل الميلاد رأى الرومان لاسباب تجارية اعادة استخدام القناة بعد أن عبث بها الاهمال في أواخر عهد البطالسة فقام الامبراطور تراجان بحفر وصلة جديدة تبدأ من بابيلون (القاهرة) وتصب في القرية

المعروفة بالعباسية حيث تتصل بالفرع القديم بولستا (البحيرة المرة) • الا أن القناة أعيد اهمالها من جديد في عهد البيزنطينيين اذ تركوا التراب يطغى عليها فغدت غير صالحة للملاحة •

قنـاة أمـير المؤمنين :

جاء عمرو بن العاص لدى فتحه القطر المصري فأحيى القناة من جديد وقد خطر له في عهد ولايته الاولى على مصر سنة ٦٤١ ـ ٦٤٤ ميلادية أن يحفر قناة تصل مباشرة بين البحرين المتوسط والاحمر وتشق السهل المنبسط الممتد من جنوب فرما وهي مدينة كانت قائمة على مقربة من موقع بورسعيد الحالي • ولو صح لعمرو تنفيذ فكرته لكان أول من وصل البحرين دون اللجوء الى أحد فروع النيل ولكن الخليفة عمر بن الخطاب عارض هذا المشروع اذ جاء من ينبهم الى أن شق البرزخ يعرض مصر كلها لطغيان مياه البحر الاحمر ، فأمر الخليفة عمر بالاكتفاء باعادة قناة الرومان القديمة لكي يتسنى للسفن السفر الى الحجاز واليمن والهند • فأعيدت القناة من الفسطاس حتى القلزم (السويس) في أقل من ستة أشهر • وقد سميت بقناة أمير المؤمنين واستخدمت زهاء مائة وخمسين سنة لتنشيط التبادل التجاري بين البلاد العربية وجميع أنحاء المعمورة ولا سيما لنقل الحجاج الى بيت الله الحرام •

الا انه في العهد العباسي أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بردم القناة عند نهاية القرن الثامن لئلا تستخدم في نقل المؤن الى أهل « المدينة » الذين تمردوا على سلطته فتعطلت بذلك همزة الوصل بين البحرين مدى احد عشر قرنا •

قنـاة مصـر :

أثبت التاريخ أن ربط البحرين بقناة يرجع عهده الى أربعين قرنا ، وأن مصر التي كانت تجارتها واسعة مع الشرق الاوسط قد شقت أول

قناة صناعية على وجه الأرض وظلت بعد وقوف قناة عمر على يد الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي وثيقة الاتصال بغرب اوروبا بحكم موقعها الجغرافي • وقد أنشأ الخليفة المعز لدين الله الفاطمي مدينة القاهرة في سنة ٩٦٩ ميلادية ومنذ ذلك الحين كانت تجارة الغرب صوب الهند تسلك طريقا يمر بالاسكندرية فالقاهرة ومنها الى السويس •

وبقيت الحال على هذا النحو حتى تمكن الصليبيون من توطيد أقدامهم في الشرق فاستغلت البندقية وجودهم من تحويل طرق التجارة مع الهند من مصر الى سورية وفارس • الا ان البندقية لم تنعم طويلا بخطوطها البحرية والارضية الجديدة اذ قامت بوجهها منافسة قوية لم تخطر لها ببال ففي سنة ١٩٤٧ استطاع فاسكوي دي جاما الدوران حول رأس الرجاء الصالح وألقى مراسيه في الهند سنة ١٤٩٨ فبات طريق رأس الرجاء الصالح طريق التجارة المألوف مع الشرق الاقصى وأصبح الطريق عبر مصر وسورية وفارس نسيا منسيا خلال ثلاثة قرون •

على أن الانكليز بدأوا يحاولون في أوائل القرن التاسع عشر استخدام الطريق المصري القديم ادخارا للزمن واتقاء لمخاطر السفر في المحيط • وفي سنة ١٨٢٩ أي قبل افتتاح قناة السويس بأربعين عاما عادت التجارة مع الهند سيرتها الاولى عبر الاراضي المصرية • فكانت البضائع تبحر من أحد موانىء أوروبا الى الاسكندرية ثم تجتاز الطريق البري منها الى القاهرة بواسطة ترعة المحمودية والنيل من القاهرة الى السويس على ظهور الخيل والابل •

وفي سنة ١٨٥٦ انشىء الخط الحديدي بين الاسكندرية والقاهرة فحل محل ترعة المحمودية الا أن ذلك لم يكن الحل الامثل الذي لا يأتي الا بحفر قناة بحرية تنتفي معها الحاجة الى تفريغ البضائع في الاسكندرية ثم شحنها الى السويس •

وأخيرا ظهر الى مسرح قناة السويس دلسبس ويقال أن الفضل الذي نسب اليه يعزى الى المهندس النمساوي نجرللي الذي قضى على النظرية القائلة باختلاف مستوى المياه في البحرين المتوسط والاحمر ـ تلك النظرية التي سيطرت على العقل البشري منذ عهد دارا الفارسي والتي حالت دون شق القناة مباشرة على أيدي العرب في عهد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب . وقد أثبتت المصادر أن دلسبس اطلع على تصميمات نجرللي عن القناة واقتبس منها فكرة ربط البحرين بمجرى مائي مستقيم لا يلجأ الى أحد فروع نهر النيل .

قناة السويس :

وقعت أولى ضربات الفأس على أرض مدينة فرما الاثرية التي تقوم موضعها اليوم مدينة بورسعيد ، في ٢٥ نيسان ١٨٥٩ وانتهت أعمال حفر القناة في ١٨ آب ١٨٦٩ حين تدفقت مياه البحر الاحمر في البحيرات المرة لتلتقي بمياه البحر الابيض المتوسط التي كانت قد سبقتها اليها بشهرين .

هذه هي قناة السويس التي أممتها الحكومة المصرية في اليوم السادس والعشرين من تموز ١٩٥٦ وهي القناة التي اودت أعمال حفرها بعهدة دلسبس بحياة أكثر من مائة وعشرين الف مصري عظامهم تحت الرمال على طول القناة من بورسعيد الى السويس . ويا لها تضحية هائلة قدمتها مصر الخديوية في منتصف القرن الماضي لاعادة هذا الشريان الحيوي الى الملاحة العالمية .

وفاة صديق ونعي كريم

عدت من رحلتي الى سورية ومصر ولبنان بما مر من الانطباعات التي أصبحت على ألواح النفس لتبقى معي ما بقيت وانه لمن الاسف بما لا مزيد عليه أن تلحقني انطباعتان أخريان الى مقري في نيويورك أولاهما :

نعي الصديق الوطني المجاهد والاديب العربي المرحوم الحاج رشيد الملوحي المحرر في جريدة الايام الدمشقية .

شاهدت محياه بين أفراد الجمع الاول الذي استقبلني في دمشق ، الى جانب الاستاذ نظير زيتون والاستاذ وجيه خوري فلما تعرفته قال شعوري النفسي أني عرفته من زمان طويل وقد عانقني وعانقته ولزمني ولزمته حتى لم يمض يوم في العاصمة الاموية الا وكان فقيدنا الكبير يحضر مرتين أو أكثر للجلوس معي وكم قضينا معا سهرات في مقاصف ومقاهي دمشق سعيدين بلقاء واحدنا الآخر تتجاذب الموضوعات الادبية والاجتماعية .

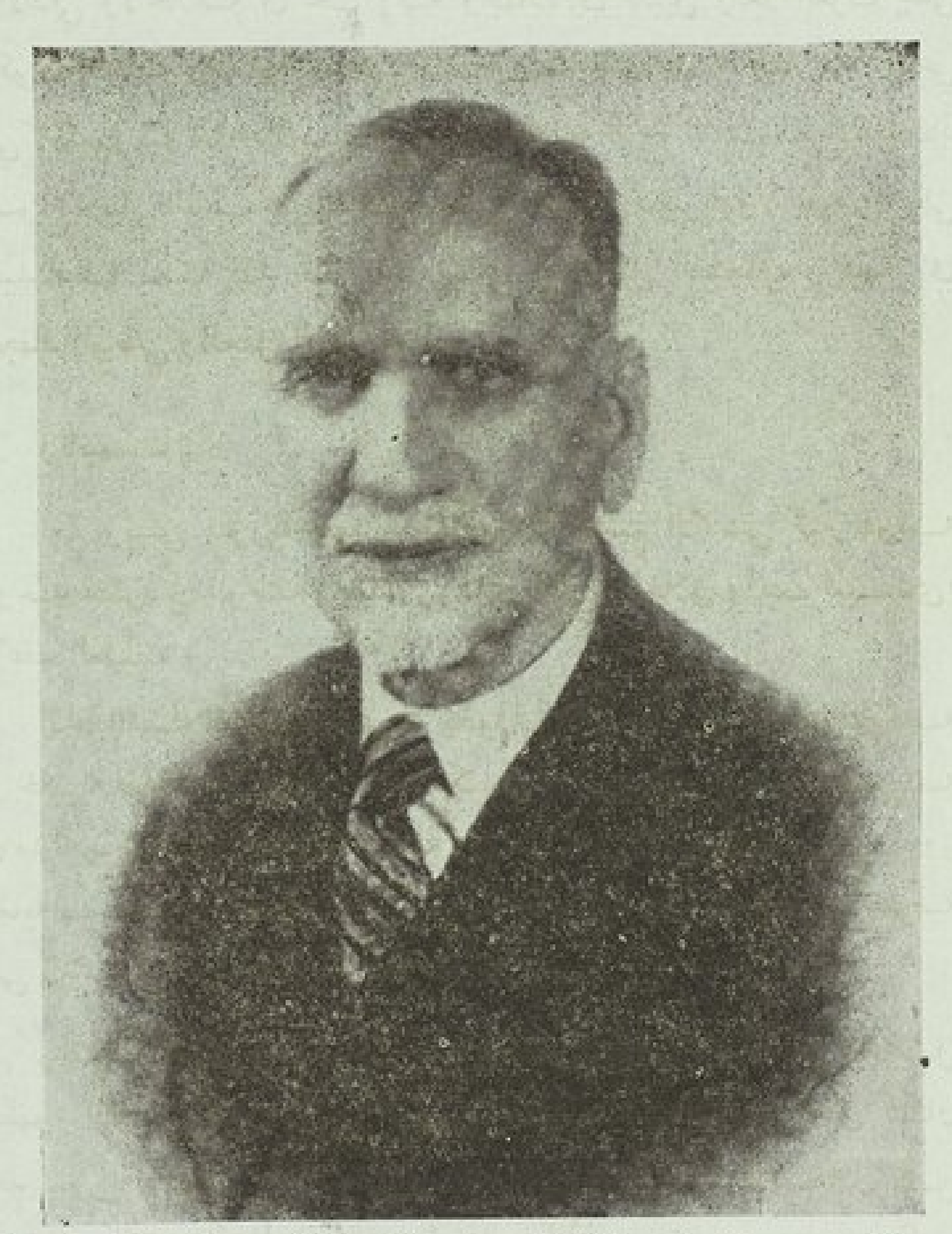
ولهذا الفقيد العزيز منزلة سامية في قلوب عارفيه لاجتهاده الوطني والادبي ولاخلاصه في حب وطنه وجهاده في سبيل رفعة العرب حتى ركوب المخاطر والمغامرات التي خاضها ضد الاحتلال . فلما نعاه الناعي اليّ بكيت فيه الاخ الحبيب وأسرعت لتعزية الاخ الثالث لنا الاستاذ نصوح بابيل صاحب جريدة الايام كبرى صحف سورية ولا جرم أنه بكى فقيدنا كما بكيته فقد كان يده اليمنى في الحقل الصحافي ورفيقه في الجهاد الوطني والحقل الادبي .

وثانيهما :

نعي رئيس سورية لعهدين المغفور له هاشم الاتاسي كبير قومه ووحيد عصره في الوطنية الصلبة المزدانة بأعلى الاخلاق وأثبت المبادىء وأعف الغايات .

لهذا الفقيد الجليل ذكرى لا تحول في أي حال عن قلوب عارفيه أو خابريه فقد عرفه العام والخاص كما عرفه الوطني والاجنبي بمقدرته في مداورة شؤون وطنه وفي معاملة رعيته بمنتهى الحكمة والعطف في تجاوز الغاية ـ أية غاية نفسية مادية أو فردية مصلحية ، وآيته الكبرى حرصه على الدستور وجرأته في الدفاع عنه .

رحم الله الحاج رشيد الملوحي أبا معاز الحبيب ، والشيخ الجليل الطهور القلب والنبيل الخلق الرئيس العظيم هاشم الاتاسي الذي كان زند سورية ودماغها في الوقت العصيب فخاض معارك الاستقلال من ألفها الى يائها ، قائدا محنكا ، ورئيسا وفيا أبيا .



فقيد سورية والعروبة المغفور له هاشم الاتاسي الذي قاد أمته في سورية زعيما وطنيا في عهد الانتداب ورئيسا على جمهوريتها مرتين وعرف بنزاهة ضميره وشرف مبادئه وجرأته .



مال الرابطة القلمية
لصف الاول من اليمين الى الشمال
لياس عطا الله
رشيد ايوب
ندره حداد
وديع باحوط
سيب عريضه

الرابطة القلمية

الصف الاوسط
وليم كاتسفليس (الخازن)
جبران خليل جبران (العميد)
مخايل نعيمه (المستشار)
الصف الاخير
عبد المسيح حداد
ايليا ابو ماضي

ظهر هذا الرسم لعمال الرابطة القلمية في عدد السائح الممتاز لعام ١٩٢١ وهم عشرة كتاب وشعراء لم يبق منهم في الحياة الا عبد المسيح حداد واضع هذا الكتاب في نيويورك وميخائيل نعيمة في بسكنتا لبنان .. وقد جاء في ذلك العدد الممتاز السنوي تحت الرسم مقال الجريدة عامئذ عن الرابطة القلمية ننقل بعضه المختص بتعريف اهدافها وهو ما يلي :

مـا هي الرابطة القلميـة ؟

لا هي مجمع علمي ، ولا هي نقابة صحافية ، ولا هي حلقة لغوية . ان هي الاميل يربط ميولا متقاربة ، وذوق يجمع بين أذواق متآلفة ، وروح تضم أرواحا وجدت بينها صلة في ما تنزع اليه من حيث الادب ومنزلة الادب والاديب في الحياة . وما تنزع اليه الرابطة القلمية هو جعل الادب العربي معرضا للفكر الحي ، وللقلب الحساس ، وللقريحة الحرة لا معرضا للسفسطة المزركشة ، والثرثرة الرنانة ، والهذيان اللغوي .

فان لم يكن الادب منبها للافكار ، ومثيرا للعواطف ، ومغذيا للارواح فما النفع من التحبير والتبشير ؟ ويعلم الله أن على رفوف المكاتب قناطير مقنطرة من الاوراق التي سودتها أيد لو كتبت بالمحراث بدلا من القلم لكان من كتابتها بعض نفع للبشر .

وكيف تتوخى الرابطة القلمية أن تجعل الادب ميدانا للفكر الحي ، وللقلب الحساس ، وللقريحة الحرة ؟

ان القائمين بهذه الحركة ليسوا ليخدعوا أنفسهم بأن ما يطلبونه سهل المنال ولا هم يضعون لذواتهم محجة معلومة متى أدركوها قالوا — لقد بلغنا منانا فلنقف ! فلا محجتهم تدرك في عام أو جيل ولا هم يدعون أنهم قد وجدوا اليها سواء السبيل ، وجل ما هنالك أنهم يرمون الى تحرير الادب العربي من ربقة التقليد العربي . وفي ذاك يطلبون مساعدة كل من يفهم ويجل الادب الحقيقي .

نعم . ان المقلدين سيكونون معنا في كل حين فما قام في العالم مبتكر الا وتبعه ألف مقلد لكن حقلا ينبت مع الحنطة زوانا لخير من حقل لا ينبت الا زوانا وشوكا . فاذا ما نبت في حقلنا الادبي مع المبتكرين مقلدون فلا بأس بشرط ألا ندع المقلدين يخنقون المبتكرين . وأن نميز بين الاولين والآخرين فنسنح أولئك ونشجع هؤلاء قدر استطاعتنا . وهذا ما تطمح اليه « الرابطة » .

قد يشتم البعض مما سبق أن « الرابطة القلمية » قد أقامت من نفسها حارسا لحقل آدابنا ينقيه من شوكه وزوانه . وفي الواقع أن عمالها أبعد الناس عن ادعاء العصمة في ما يفعلون ويقولون ويرغبون . فقد يكون بعض ما يكتبونه ، أو كل ما يكتبونه من سقط المتاع وقد يكون بعضهم ، أو كلهم مقلدا في نظمه أو نثره . لكن ذاك لا يحط من قيمة غايتهم ولا يقلل حرفا من اعتقادهم بأن درهم ابتكار خير من رطل تقليد ولا هم يعرضون منظوماتهم ومنثوراتهم انموذجا للغير . فرب شاعر عربي يتمخض به اليوم ان في منحدرات لبنان ، أو في سهول الشام ، أو في فيافي الجزيرة ، أو على ضفاف النيل يجعل عمال « الرابطة القلمية » غدا يحمرون خجلا مما ينثرون وما ينظمون . وعمال الرابطة سيكونون في طليعة المهللين لهذا الشاعر والهازجين لبنات قلبه ولبه . بل رب كاتب (أو كاتبة) يتنفس اليوم هواء سورية أو مصر أو البلاد العربية

قادر ان يلقي على عمال « الرابطة القلمية » دروسا عديدة في الادب ومكانة الادب في الحياة . فلمثل هذا الكاتب تمد « الرابطة » يدها لتسير واياه جنبا الى جنب ، بل لتسير وراءه ان كان أهلا للقيادة .

الرابطة القلمية تقمصت روحها في الاقطار العربية

تألفت الرابطة القلمية في نيويورك سنة ١٩٢٠ ، ألفها عشرة ادباء عرب تآلفت أرواحهم وتوحدت أهدافهم الادبية . وقد عمّرت عشر سنوات ونيفا ثم بدأ الموت يأخذ العشرة واحدا بعد واحد فابتدأ بجبران خليل جبران عميدها وانتهى بايليا أبو ماضي ولم يبق من رسلها الا أنا في نيويورك ومخائيل نعيمة في بسكنتا .

عندما صممت على زيارة الوطن ضيفا على الحكومة لم يكن يخطر ببالي الا أن أشاهد وطني الاول قد تغيّرت حياته أكثر من خمسين شكلا كما أخبرنا وزير خارجية سورية عندما زار نيويورك في سنة ١٩٥٧ اذ سألني في مجلس ضمني واياه : كم سنة لك في الغربة ؟ فأجبته « خمسون سنة » ثم زاد عليّ بسؤال آخر : «وكم مرة زرت وطنك سورية ؟ » فكان جوابي : « ولا مرة » عندئذ نهض نصف نهضة عن كرسيه وقال بحدّة : « ألا قم وزره الآن لتراه قد تغير خمسين شكلا » .

عند هذا ابتسمت للوزير الكريم وقلت له : أتراه حقيقة قد تغير خمسين مرة ؟ .

قال : نعم وأكثر من خمسين .

قلت : اذن فشكله الذي تركته عليه لم يعد موجودا ؟.

قال : نعم لم يعد موجودا .

قلت : اذن لماذا أقصد وطني وقد أمّحى عنه ذلك الشكل الذي اشتاق الى مشاهدته !.

فضحك الوزير من جوابي ولكنه ما انفك تلك السهرة يغريني بشتى ضروب ذكائه بأن عليّ أن أزور سورية لارى تقدمها في جميع نواحي عمرانها .

واني لاذكر أن تشويق الوزير حينذاك بقي عاملا في نفسي ثلاث سنوات حتى استطعت التقاعد عن العمل وصرت الى حال أستطيع فيه التغيب عن نيويورك في رحلة أرى فيها سورية الجديدة ناهضة نهضة الاسد لتأخذ قسطها من الغذاء المدني والادبي والاجتماعي العمراني .

ولقد رأيتها ـ سورية الجديدة ـ كما وصفها لي الوزير الكريم . رأيتها على غير ما عرفتها . رأيتها تنبض بحياة تقدم ونشاط لا في مظاهر البلد فحسب بل حتى في نشاط أقوامها وتوافر نهضاتهم الوطنية والادبية والعلمية للحاق بأعرق الامم في المدنية والعمران المستمر .

وان عجيب مما شاهدته فيها كله بأقوى من عجبي مما لمسته في ناسها من ميلهم الى « الرابطة القلمية » فكأنها لم تمت في نيويورك لتتقمص في سوريا وفي الاقطار العربية الاخرى .

أجل لقد وجدت الرابطة القلمية هنالك على حياة دائبة عاملة بروحها وآثار أعمالها بعد أن وقفت بوفاة جميع عمالها الا أنا أصغرهم الباقي في نيويورك والا رفيق الصبا والشباب الاستاذ ميخائيل نعيمة في بسكنتا لبنان فما أقبل عليّ مراسل صحفي من جميع أطراف البلاد ليكتب الى صحيفته حديثا جرى بيني وبينه الا ليسألني عن الرابطة القلمية وليعي مني وصفي لافراد عمالها ومذاهب حركتها الادبية العربية في المغترب الاميركي الشمالي .

وكيف لي أن أحسب انتقال الرابطة أو روحها الى ربوع الوطن العربي وأنا لا أزال اذكر نقمة أنصار التقليد والجمود عليها في معظم العالم العربي منذ ان انتشر اسمها من نيويورك ؟

عن هذا أنقل هنا من المرحلة الثانية لكتاب « سبعون » لميخائيل نعيمة ما يلـــي :

« ...... وهكذا انتشر اسم « الرابطة » في العالم العربي وكـــل مهاجره . وأقبلت الصحف على آثار عمالها تنقلها وتعلق عليها . وقام البعض بجمعها في مجموعات منها ما يدرس اليوم في كثير من المدارس . ونقم أنصار التقليد والجحود عليها . فما كانت نقمتهم الا لتزيدها قـــوة وحماسة واندفاعا ولتنمي عدد انصارها ومريديها ومقلديها والمعجبين بها في كل قطر عربي . حتى حار في أمرها أصحابها واعداؤها على السواء . فما بقوا يعرفون الى ماذا يعزون سر قوتها وبعد تأثيرها .

فمن قائل أن السر في الادب الاميركي الذي تأثر به عمال الرابطة ، وهو قول فارغ . ومن قائل أن جو الحرية الاميركية ، وهو قول أفرغ . ومن قائل أنه في تهتك عمال الرابطة من حيث اللغة واصولها ، وهو قول أفرغ وأعقم من القولين الاولين . أما الحقيقة فلا يعلمها الا الذي جمع عمال الرابطة القلمية في فسحة محدودة من ديار غربتهم ، ولمحة معلومة من زمان هجرتهم ، ووضع في صدر كل منهم جذوة تختلف عن أختها حرارة وبهاء ، ولكنها من موقد واحد واياها » .

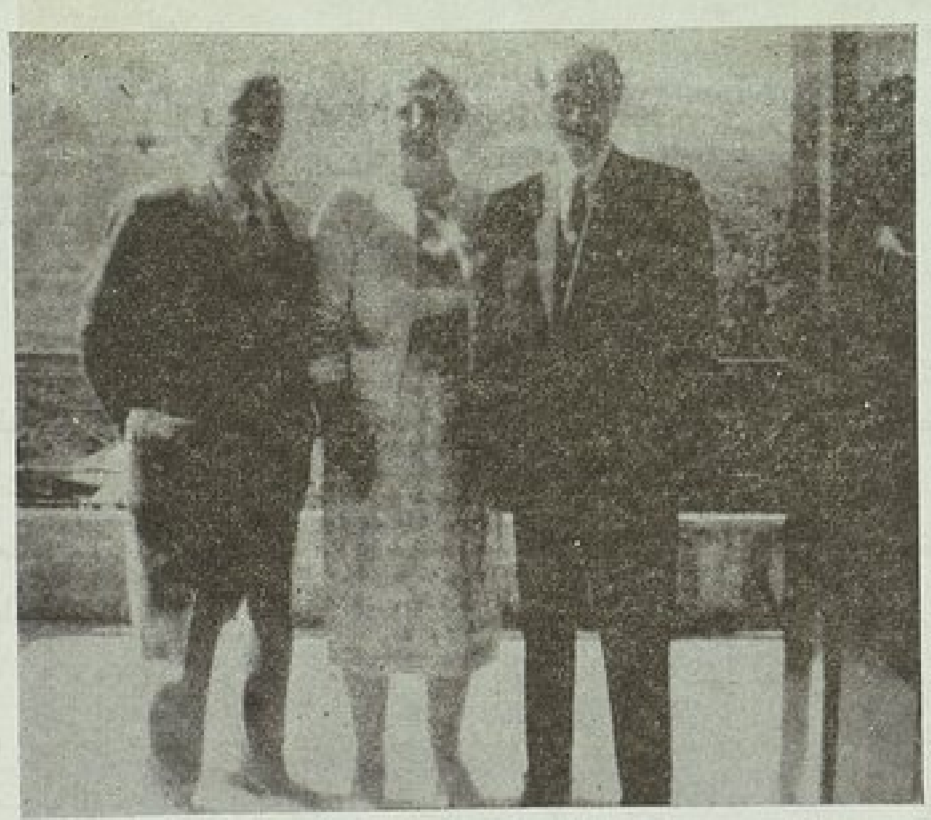
اجتماع غريب للرابطة

اسبوعا كاملا في بسكنتـــا لبنان

في منتصف آب ١٩٦٠ سارت بنا السيارة من حمص الى بيروت قبل اسبوع لقدوم عائلة ابنتي ليلى قرينة فريدريك عبد النور فوصلنا الى العاصمة اللبنانية في أول الليل وبعد نزولنا في أحد فنادقها خاطـــب بالتلفون رفيق الروح وحبيب القلب ميخائيل نعيمة في بسكنتا واجتمع كلانا مع مغتربه بالحديث بعد فرقة ثلاثين سنة وكادت روحانا تثبان من داخل كل منا وسمعته يقول :

« انت الآن في بيروت ، وبيروت محرقة وأنا لا أريدك أن تحترق مع رفيقة حياتك بقيظ بيروت ولكن الليل قد اسدل ستره المظلم ، فأبق عندك حتى الصباح وفيه سأنقلكما معي الى بسكنتا الجاثمة عند جبل صنين فنجتمع بالاجسام تبردها نسمات صنين العليلة » .

وفي اليـوم التالي وصل ميخائيل والدموع في عينيه ومثلهـا في عينيّ فتعانقنا طويلا ثم جلسنا تنتظر وفود فيليب كاتسفليس مديـر دار النقابة الصحافية في لبنان وريمون وهبة الملحق في السفارة الفرنسية وبعد الغداء في الفندق سارت بنا سيارة ميخائيل الى مهد صباه وأحلامه الادبية ــ الى بسكنتا . وهناك أقمنا اسبوعا في منزله الوادع المطل على صنين وهضباته وتماثيله الصخرية الرائعة .



اخذ هذا الرسم في رواق منزل ميخائيل نعيمة في بسكنتا وهو ظاهر في اليمين يليه قرينة المؤلف فالمؤلف .



اخذ هذا الرسم في حديقة منزل آل نعيمة والظاهرون فيه من اليمين : السيدة زكية قرينة نجيب شقيق ميخائيل فنجلهما الذكي الفؤاد الاستاذ نديم فالمؤلف فقرينته فالآنسة مي نجيب نعيمة فالاستاذ ميخائيل .

كان ذلك الاسبوع غريبا فيما خلقه من بعث جديد لروح الرابطة القلمية فقد اجتمع في المنزل النعيمي بقيتاها أنا وهو ومعنا كانت تحضر اجتماع كل يوم وكل ساعة ارواح أحبائنا العباقرة الذين غادرونا الى العالم الثاني وعن ذلك حدثني ميخائيل في رسالة بعث بها الى حمص بعد زيارتنا يقول فيهـا :

« ... الا انني قانع من زيارتك بالايام القليلة التي أمضيناها معـا في بسكنتا . فقد عشنا في خلالها نصف قرن من حياتنا مرة ثانية ، وعاشه معنا اولئك الذين اجتازوا الحدود من احبائنا ورفاقنا . فالسلام عليهم حيث هم . والشكر للقدرة التي يسّرت لي ولك الاجتماع بهم تحت سقف بيتي » .

وحقيقة اني لم أودع منزل ميخائيل وأهل المنزل الاعزاء الا لتبدأ العاطفة التي جاءت في كتابه تلازم نفسي فتقرها عيني وتتواثب اليها روحي • فهنالك اجتمعنا بهم أياما ــ نعم هم احباؤنا جبران وندرة ونسيب ووليم وايليا ورشيد والاحوط وعطا الله وكلما خلونا أنا وميخائيل كان يسهل هبوطهم الى مجتمعنا فأسأله ويسألني عن دموع جبران وعواطفه وأهدافه وعن نكات رشيد وأقداحه معنا وعن ترصن نسيب وسكوته حتى نلزمه أن ينتضي من جيبه قصيدة نظمها جديدا وعن



اخذ هذا الرسم عند سفح جبل منين ونحن جلوس على حائط الرواق قبالة بيت مزرعة آل نعيمة المعروفة بالشخروب وهي كانت ولا تزال مهبط وحي النابغة ميخائيل والظاهرون فيه من اليمين : السيد نجيب نعيمة فحفيظة حداد فميخائيل نعيمة فعبد المسيح حداد وقد جلست ارضا الانسة مي امام عمها تمسك بيديه .

حديث وليم بلسانه ويديه وابتساماته وعن الباحوط وتقداته الفكهةوعن عطا الله وذكائه ونشاط أدبه وعن ايليا ونظراته ونظاراته وقصائده ذات النفحات الطيبة وعن ندرة وهدوئه وتلمع عينيه بالدموع لاجتماعناجميعا عائلة ادبيـة واحـدة .

والآن فيما أذكر هذه الانطباعات الادبية التي عدت بها من رحلتي ولن تفارقني مادمت حيا اثبت بعض الاحاديث التي استطعت جمعهاوالتي نقلها عني مراسلو صحف واذاعات بيروتية ودمشقية وحلبية ومصرية وكلها يلف حول النهضة الادبية ومحركاتهـا التي قامت بها الرابطـة القلمية تحت سماء نيويورك والتي لم يخبُ نور حياتها بوفاة معظـم عمالها الا ليضيء نهجه تحت سماء كل قطر عربي وفي نفس كل أديب تفتحت هباته العلوية على آفاق الرابطة .

واذكر هنا أنه عندما كنت في بيروت طلبت للتلفون فاذا بالداعي الاستاذ محمد الاشقر مدير الاذاعة اللبنانية يطلب مني حديثا معه ليذاع بعد يومين على تموجات الاثير ولما حاولت التملص من ذلك بـداعي أني وقرينتي مدعوان عند الساعة السادسة الى عالية مصيف الاستـاذ خليل رامز سركيس وقرينته نسيبة قرينتي وكان الوقت قد قرب مـن الساعة الرابعة اجابني بأنه بعد دقائق سيكون في قاعة فندق نور مندي فيحملني بسيارته الى دار الاذاعة فيطرح عليَّ سؤالات حضّرها لا تأخذ من الوقت أكثر من نصف ساعة مع جوابي عليها . عندئذ قلت له : « يا سيدي الاستاذ الفاضل أنا ضيف على دمشق والقاهرة وما وجودي في لبنان الا لانشق هواءه العليل وأحظى بمشاهدة ادبائه الاعزاء ولهذا اشترط عليك أن لا يكـون بين سؤالاتك ما له علاقة بالسياسـة . فأسرع وجاوبني بقوله : « كلا كلا كلا أنا لن أسألك الا عن الرابطـة القلمية وتاريخها ومبادئها وعمالها الذين شقوا للادب العربي الحديـث

طريقا تسير أقدام الادباء في الاقطار العربية فيه واطلعوا لهذا الطريق ضوءا يهتدي الادباء بنوره » .

فأجبته عندئذ : أهلا وسهلا بك واني لسعيد بمخاطبتك اياي بهذه اللهفة الادبية وسأسعد أكثر بمشاهدتك والتعرف اليك شخصيا فيما أنا حفظت لك في قلبي منزلة سامية مما عرفته عنك وسمعته من أصحابي عن سمو أدبك وأخلاقك .

من الاصدقاء الاوفياء بعهد المحبة والمودة وبعهد الادب العربي الذين لم اجتمع بهم في لبنان ، الشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح فقد علمت في بيروت أنه ألقى عصا ترحاله في باريس على الرغم من عروبته الثابتة في نفسه ، واهتمامه على الدوام بقضايا الفكر والادب العربيين . وهو الكاتب اللبق الذي نثره شعر وشعره نثر ترغب فيهما نفوس القارئين لما يستجلونه من عطف قلبه على كل ما يسمو بأدب عروبته وهذا ما يستجلى في كتابه « مغترب » فيقف عنده مطالعه على سفر جليل للنهضات المغتربية وشغف رجالها بلغة وطنهم الاول ودلفهم لوضع حد لقيام ادبها على أساس النقل عن القديم والجري على أساليب القدامى الذين مثلوا ادوارهم مبقين آثارهم لا للنسج عن مناولها بل للاشارة الى تاريخ عهودهم وما استوعبته من تفاعيل نفسية خاصة بالمحيطات وأزمانها .

ولقد أعجبني من الاستاذ صيدح وصفه لحركة البعث والتجديد التي انطلقت من المغتربين الاميركيين الشمالي والجنوبي اذ قال :

« لم يزل الادب المهجري حياً يرزق بآثاره لا برجاله ، وبمدرسته الادبية الجديدة التي تفرعت في الاقطار العربية . أما حركته المندفعة فتتفاوت فاعليتها بين قطر وقطر . وبوجه عام فقدت طلاوة الجدة والتماعة المفاجأة ، ولكنها احتفظت بقوة التأثير والتوجيه » .



رسم الشاعر الشهير الاستاذ جورج صيدح الذي جعل في اخريات السنين مقامه مع عائلته في باريس العاصمة الفرنسية وهو من اوفى الادباء بعهد لغته وامته العربتين وبعهد اخوانه ادباء العصر وشعرائه .

وشاعرنا الكبير جورج صيدح يقول عن الرابطة القلمية في حديث جرى بينه وبين فرنسيس نور (نقلا عن نشرة اضواء التي تصدر في باريس) ما يلي :

« الرابطة القلمية في نيويورك عنوان النهضة . تأسست عام ١٩٢٠ . وفي ١٩٣١ فجعت بوفاة عميدها جبران خليل جبران . وبعد أعوام مات أركانها : رشيد أيوب وندرة حداد ونسيب عريضة ووليم كاتسفليس وايليا ابو ماضي . وعاد أمين الريحاني وميخائيل نعيمة الى لبنان . وحجب عبد المسيح حداد ـ آخر أعضائها ـ جريدتها السائح » .

وما يلي مختارات من أحاديث رجال الصحف معي مما اجتمع لدي، وهو قليل جدا من كثير لم يتيسر لي الحصول عليه :

جاء في مجلة « المصور » المصرية بتاريخ ٥ آب ١٩٦٠ لمراسلها في دمشق :

« حداد » شاعر المهجر يعود الى « الوطن الام »

احد عمالقة الادب العربي في المهجر : عاد الآن الى وطنه الام زائرا

بعد ٥٣ عاما قضاها مغتربا مدافعا عن قضايا امته ووطنه . انه واحد من الاعلام الذين ألفوا جمعية الرابطة القلمية . ثم قضى معظم أفرادها : جبران خليل جبران ، رشيد أيوب ، ندرة حداد ، نسيب عريضة ، وايليا أبو ماضي . وبقي على قيد الحياة منهم : ميخائيل نعيمة الذي عاد الى وطنه ـ بسكنتا ـ بلبنان ، وعبد المسيح حداد الذي عاد الينا اليوم ...

ان عبد المسيح حداد ،ضيف دمشق في السبعين من عمره .. غادر مدينة حمص في (سورية) منذ ٣٥ عاما هربا من الجور والطغيان ، وأقام في نيويورك حيث التقى باخوانه الادباء العرب هناك ، وألفوا جمعية الرابطة القلمية ، وأصدر جريدة اسبوعية باسم « السائح » ما لبثت ان انقلبت الى يومية ، عاشت خمسين عاما ثم توقفت في العام الماضي .

الكواكب على الارض !

وفي ركن من أركان فندق سميراميس الهادئة في دمشق سألت عبد المسيح حداد :

ماذا كان شعورك عندما صافحت عيناك أرض الوطن ؟

والتمعت الدموع في عيني الشاعر الكاتب وقال :

ـ انه شعور من استطاع استنزال كوكب من السماء الى جيبه !

ثم سألته عن قصة جمعية الرابطة القلمية كيف تألفت ، وما هي ثمراتها ، وكيف كانت نهايتها ؟

فتأوه المغترب الذي اطمأن في ارض الوطن وأجاب :

ـ أنشأ الرابطة أدباء المهجر الشمالي ، فجمعت نخبة من أنصار التجديد في الادب العربي والتجويد لادب العصر منزها عن التقليد وموسعا افق الخيال والتفكير لذوي المواهب العلوية الفنية ، ولقد

ازدهرت وأينعت أثمارها حتى دنت نهايتها بوفاة أعضائها جميعا الا انا في نيويورك وميخائيل نعيمة في بسكنتا لبنان •

وما أطرف حادث مر بكم في المهجر ؟

وتلفت الرجل حوله كمن يستعيد ذكريات سعيدة وقال :

ـ اطرف حادث هو اصداري جريدة « السائح » وأنا في الثانية والعشرين من عمري • وكان رأس مالي نشاط من لا مال لديه وتجاوبا مع نفسي التي حفزتني للاقدام على هذه المغامرة التي أصبحت بعد أول عدد من الجريدة معركة متسلسلة متواصلة في ميدان الادب العصري والوطنية الحرة •

وكيف توقفت جريدة « السائح » اذن ؟ • وزفر الشاعر زفرة حرة وقال :

ـ اني أبصرت بدء النهاية لصحافتنا العربية في المهجر ، وأحسست بأن العجز قد قارب أن يثقلني بأعباء تؤثر على صحتي ، فرغبت في فرصة الاستراحة ما بقى لي من عمر •

شعراء جمدوا حياتهم

وانتقل الحديث الى الادب والشعر • فسألته :

ما هو بيت الغزل في الشعر العربي ؟ •

وضحك الشاعر وهو يقول :

ـ بيت الشعر الغزلي في الشعر العربي مسحة طيبة فنية ، وقد كانت هذه المسحة من أجود ما تفيض به قرائح الشعراء القدامى من المعاني المعبرة عن نفس مشتعلة بالحب • ومن التشابيه التي يرسمها الخيال بريشة العبقرية • الا ان الشعراء العرب بعدهم جهلوا واستجهلوا اهباتهم ، فجمد خيالهم وجروا على استعارة الاساليب القديمة معانيها وتشابيهها ، وهذا ما أضرّ بمواهبهم وجعلهم مقلدين فحسب •

وما هي الحكمة التي ترددها ؟

ــ الحكمة التي أرددها أن يفطن المرء وخاصة العربي الى قــول الامــام :

وتحسب أنــك شيء زهيــد"

وفيــك انطوى العالم الاكبرُ

ومن هو شاعر العرب اليوم ؟

ويرنو الرجل عبر النافذة الى مجرى نهر بردى ، والى ميــدان دمشق الكبير ، ويقول باتئاد :

ــ في الامة شعراء كثيرون • وأشعرهم من يستنطق قلبه وخياله • وقد يكون الاخطل الصغير من أبلغ الشعراء العرب في هذا العصر •

وما هي أمنيتكم في الحياة ؟

وأجاب الرجل بصوت خفيف ، فيه تعبير عن خمسين عاما قضاهــا بعيدا عن موقع صباه ويقول :

ــ أمنيتي في الحياة أن أموت وأولادي يبكون عليّ وأن أرى أمتي تنشط من ولادتها الثانية لترقى الى مصاف الامم السعيدة القوية المحبة لحيــاة السلام والتعــاون •

ولماذا تعودون الى المهجر ؟

وتلتمع الدموع في عينيه من جديد ويقول :

ــ سأعود الى المهجر لانه لم يعد لي مهجرا بل أصبح لي مقاما ،فيه عائلتي الادبية وعائلتي الحيوية •

واختتم أسئلتي قائلا :

ماهي انطباعاتكم عن الوطن الام بعد الغياب الطويل ؟•

فيمتلىء الشيخ ابن السبعين حيوية ويقول :

ــ لن تفارقني هذه الانطباعات مادمت حيا انها انطباعات ابــن

لهـذا الوطن . وقد رأيته على ساقه وقدمه يسعـى لرقيه سياسيـا وصناعيا وأدبيا واجتماعيا . وقد سرني ما رأيته على كثير من التقديـر والاعجاب .

★ ★ ★

عن مجلة الجندي الدمشقية في ٥ تموز ١٩٦٠

في ربوع الوطن الام

بعـد ٥٢ سنـة من الفـراق

الاديب المهجري عبد المسيح حداد يتحدث « للجندي »

« اذا تصورت مقدار حنينك الى بيتك بعد غياب اسبوع واحد عنه، فبامكانك ان تقدر عظم الحنين الى أرض الوطن بعد غياب ثلاثة وخمسين عاما عنها » . بهذا أجابني الاديب الصحفي المهجري الكبير عبد المسيح حداد على سؤالي الذي طرحته عليه حول الحنين الذي كان يشعر به تجاه الوطن وهو في المهجر ، وذلك أثناء اجتماعي به في بهو فنـدق سمـيراميس حيث ينزل ضيفا على وطنـه ، بدعوة من وزارة الثقافـة والارشـاد القومي .

جنـدي القومية العربيـة

والاستاذ عبد المسيح حداد من الرواد بين أدباء المهجر ، كافح في سبيل القضية العربية كفاحا بطوليا صامدا ، وله مواقف عدائية صريحة مشهودة ضد الصهيونية في نيويورك حيث يقيم ، وهو أحد أفرادالرابطة الشهيرة التي تألفت في المهجر باسم (الرابطة القلمية) وصاحب جريدة (السائح) التي أصدرها في المهجر في نيسان عام ١٩١٢ وتوقفت عـن الصدور في ٧ أيار (مايو) من عام ١٩٥٧ ، وقد ظلت طوال هذه السنين الخمس والاربعين منبرا حرا للفكر العربي وحربا شعواء على الاستعمار والصهيونيـة وأعداء القومية العربيـة .

دولة عظيمة تصنع تاريخـا ...

وسألته عن برنامج رحلته فقال : أولا أشكر وزارة الثقافة والارشاد القومي على هذه الدعوة التي أتاحت لي تحقيق امنية غالية طالما تمنيتها وهي أن أكحل عيني بنظر ارض الوطن قبل أن أموت ، فقد خرجت من بلدتي حمص فتى في السادسة عشرة من عمري ، واليوم أعود الى أرض الوطن وأنا في حدود السبعين .. وطوال هذه السنين كان الحنين يلح بي الى ارض الوطن ، وأشعر بسعادة عظيمة وأنا أسمع الاخبـار تترى عن الوطن الام ، تروي حكايات انتصاراته الباهرة في الميادين الداخلية والخارجية مع العلم أن أكثر هذه الاخبار يصلنا مشوها بمـا تزرق فيه المنظمات الصهيونية من سموم فنضطر لتحري الحقيقة مـن عـدة مصـادر .

وأشكر الله على أنني وجدت الوطن وقد أصبح دولة عظيمة تصنع تاريخـا ماجدا ، ولهذا سيكون برنامج رحلتي زيارة كل المحافظـات السورية ثم زيارة لبنان ومصر .

الشعب الاميركي والقضية العربية

وسألته : ما مدى تفهم سواد الشعب في أميركا لعدالة القضـايا العربيـة ؟

فأجاب واليأس في كلماته : من المؤسف أن الشعب الاميركي يجهل حقيقة القضايا العربية والسبب في هذا يعود ــ كما نعرف ــ الى الدعايات الصهيونية التي أقنعت الشعب الاميركي بالامور التالية :

١ ــ ان فلسطين وطن قومي لليهود ، والعرب هم الذين يتعـدون على حقوق اليهود فيـه .

٢ ــ الهدنة بين العرب واليهود ما هي الا خرافة وما وافق العرب على الهدنة الا تمهيدا للصلح مع اسرائيل .

٣ ـ هناك لاجئون يهود شردهم العرب وهم بحاجة الى مساعدات مادية ..

والصهيونية بعد هذا تصرف في أميركا مبالغ هائلة في سبيل تدعيم مركز اليهود باسرائيل ، وتستقدم اناسا يدّعون أنهم عرب وتجعلهم يعترفون أمام التلفزيون الاميركي بحق اليهود في فلسطين لقاء مبلغ يتراوح بين ٨٠٠٠ و ٦٤٠٠٠ ريال . ويقوم بهذه المهمة شخص يهودي اسمه هول مارش ..

وباختصار أقول أن الصهيونية تتحكم في مقدرات ومصائر كثير من الدوائر والمرافق والمؤسسات الاميركية الكبرى ، وهذا يشكل على قضايانا العربية خطرا جسيما ..

نحن مقصرون

وسألته : وبماذا نستطيع أن نحارب الصهيونيين ونرد كيدهم الى نحورهم ؟..

فأجاب : ان كل طرق الدعاية المضادة للصهيونية لم تجد حتى الآن ، ذلك ان هذه الطرق لا تعدو توزيع بعض النشرات ، بينما الصهيونية استطاعت أن تتغلغل حتى أعماق المجتمع الاميركي بالصحافة والاذاعة والتلفزيون والاموال ...

والمطلوب منا ـ نحن العرب ـ ان نعترف بالحقيقة وبأننا مقصرون وان نضاعف جهودنا في سبيل افهام الشعب الاميركي عدالة كل قضية عربية .. لا سيما وان الولايات المتحدة في المدة الاخيرة بدأت تنظر الى اليهود غير نظرتها السابقة المادية باطلاق .. بعد ان استمعنا الى تصريحات أمثال فولبرايت ، الذي استهجن أعمال اليهود في أميركا ..

ونحن المغتربون لم نقصر ـ يشهد الله في القيام بواجبنا ، ولكن ماذا يفعل عددنا الذي لا يتجاوز النصف مليونا تجاه خمسة ملايين يهودي

يسكنـــون أميركا ؟

واضاف يقول : اننا نستطيع أن نحقق انتصارات في أرض الامريكيين نفسهـا •• وحكاية الانتصار الذي حققناه بسبب قضية السفينة العربية كيليوباترة جعلت الامريكيين يعدون الى العشرة عدة مرات قبـل أن يوافقوا أي يهودي على اقتراح له مهما كان تافها •

الرابطـة القلميـة

وحدثني عن الرابطة القلمية فقال : ان عمر الهجرة الى أمريكا ثمانون عاما ومنذ بدأت ظهر هناك الادب الذي أسموه مهجريا •• وقبل أربعين عاما ظهرت في نيويورك نخبة من المفكرين والادباء العرب ، فأنشأنـا رابطة تضمهم باسم « الرابطة القلمية » كان عميدها المرحوم جبران خليل جبران ومن أعضائها : ميخائيل نعيمة ، وأمين الريحاني ، ووليم كاتسفليس ، وندرة حداد ، ورشيد أيوب ، ونسيب عريضة ، وايليا ابو ماضي ، ووديع باحوط ، والياس عطا الله ، وعبد المسيح حداد • وكان هدفنـا من انشائها العمل على ازدهار الادب العربي واطلاق الشرارة الاولى في أرض المهجر ، وقد حلت الرابطة بموت اعضائها ولم يبق سواي مـن المقيمين بأمريكا ، وميخائيل نعيمة الذي يقيم بلبنان •

الجيـوش السبعـة

وتكلم عن فلسطين فقال : ان نكبة فلسطين جرح في قلوبنا لن يندمل حتى يعود النازحون الى ديارهم ويعودوا يعيشون حياة حرة كريمـة مستقلـة ••

وقد كانوا يقولون لي في المهجر : كيف خسرتم فلسطين وأنتم سبع دول عربيـة ؟••

فأقول لهم ما ردده الكثيرون من المفكرين العرب الذين درسـوا قضية فلسطين دراسة عميقة دلت على مدى تخاذلنا في معركة فلسطين

وهو : ان العرب خسروا الجولة الاولى من معركة فلسطين لانهم كانوا سبع دول ..

حديث الشعر

واتقلنا من جديد الى حديث الادب والشعر ، فقال : انا لا أحب شعر المناسبات لانه لا يصدر في كثير من الاحيان عن دفق تلقائي .. ولذلك أنا لا أستسيغ شعر شوقي الذي قاله في المناسبات قلت : ولكن المناسبة أمر طبيعي في حياتنا !..

فأجاب : هذا صحيح ، ولكن يجب أن لا يتطرق الاديب في تكييف ، أصول أدبه وهذه المناسبات مما يقتل ملكة الابداع لديه ، ونجد أن خليل مطران كان لا يهتم كثيرا بالمناسبات فجاء شعره روائع خالدة .

الكتب العربية

وسألته : هل تصلكم الكتب العربية ؟

ـ لا يصلنا منها القليل وقد وصلنا مؤخرا كتاب للدكتور طه حسين، وكتاب (هذا .. أو الطوفان) لخالد محمد خالد ، وكانت هذه الكتب من طبع اسرائيل .

وما هي كتبكم المطبوعة ؟.

ـ لي كتاب مطبوع اسمه (حكايات المهجر) ولديّ اربعون مجموعة من (السائح) يمكن للانسان أن يخرج منها بمجموعة من الكتب الحياتية والقومية .

المرأة العربية

وسألت عقيلة الاستاذ حداد عما اذا كانت في رحلتها هذه قد خالطت النساء العربيات ..

فأجابت : نعم لقد قابلت الكثير منهنّ ، والواقع أنا معجبة أشد الاعجاب بحماسة المرأة وثورتها على بعض العادات البالية وخروجها

الى الحياة العامة والمجتمع تساهم مع زوجها في بناء صرح الوطن .

ـ وهل تطبخون هناك الطبخ العربي ؟

ـ طبعا وأكلتنا المفضلة في المهجر هي الكبة ..

ـ وكيف كان شعورك عندما وصلت أرض الوطن ؟

ـ أظن أن زوجي عبر عن شعوره وأنا عشت معه نفس هذا الشعور ..

جندي .. صامت

وعدت الى الاستاذ حداد أثير أمامه سؤالا جديدا : نعلم ويشهد الله أنك وقفت ـ ولا سيما على صفحات جريدتك ـ موقفا مشرفا دافعت به عن القضية العربية ضد الصهيونية . فهل أعطت هذه الحملات نتائج مرضية ؟..

ـ بالطبع .. فقد استطعت أن أدخل في روع كثيرين من السكان في الولايات المتحدة أن الصهيونية تسمم أفكارهم .. وأن حقيقة القضية العربية لها أصول رسمية وانسانية تؤكد عدالتها ..

ولست الوحيد الذي عمل في سبيل قومه ، فهناك كثيرون من أبناء المهجر العرب وقفوا في وجه الصهيونية موقفا بطوليا ، ونحن اذ نفعل هذا نقوم بواجبنا لا نبغي من ورائه جزاء ولا شكورا ، وكل ما نتمناه أن تتوحد كلمة العرب وقوتهم ، فنحن أمة قمينة بأن تستعيد كل أراضيها وأمجادها السالفة اذا عرفت كيف تجمع شمل أبنائها تحت راية عربية واحدة .. ان هذا الامر سيؤدي ـ حتما ـ لقذف اليهود الى البحر .

★ ★ ★

وجاء في عدد ١٤ تموز ١٩٦٠ من جريدة « الايام » الدمشقية :

مشعل الفكر

عبد المسيح حداد يقول رايه في الادباء والشعر المنثور والحر !

الشاعر الذي أفضله هو الذي يعتصر قارئه من شعره .. !

عبد المسيح حداد .. المغترب الكريم ، وصاحب جريدة السائح المعروفة في المهجر والوطن العربي كان في زيارتنا ، انه قريب الصلة بأدب المهجر ، وهو أديب وصحفي وكاتب له في شهرته وتفرده ما يحملنا على احترام آرائه .

وقد حملنا اليه خمسة أسئلة ننشرها مع أجوبة الاستاذ حداد فيما يلي :

س ١ : ما هي ابرز الحوادث والقصص الادبية التي صادفتها في حياتك وقمت بمعالجتها ؟.

س ٢ : في المهجر عدد كبير من الادباء ذاع فكرهم وشعرهم في جميع أنحاء العالم فما هي الاسس التي يرتكز عليها الادب في المهجر ؟.

س ٣ : ما رأيك في ميخائيل نعيمة وهل تفضله على جبران خليل جبران وما هي الميزات الادبية لكل منهما ؟.

س ٤ : ما هو الشاعر المفضل لديك ؟.

س ٥ : وما رأيك في الشعر المنثور والشعر الحر ؟.

ج ١ : أبرز الحوادث والقصص الادبية التي قمت بمعالجتها هي التي ارتسمت أمام مخيلتي من شؤون الحياة المهجرية وعند ذلك رأيتني مستعرضا رسوما شتى من مسالك المغتربين على تعدد الفوارق بين معارفهم ومفاهيمهم وأوضاعهم الخاصة وعلى تعدد واختلاف طرق معاشراتهم وتقاليدهم وهذا ما حملني على الابتداء بوضع أقاصيص عن حياتهم وقد جمعتها في كتاب ـ حكايات المهجر ـ وعندي منها بعد ذاك

الكتاب ما يمكن جمعه بكتاب آخر أو أكثر من كتاب واحد وسوف انصرف لهذا الجمع بعد عودتي الى مكتبي في نيويورك وقد أتمكن في بيروت أو غيرها من الاتفاق على الطبع فعندنا في نيويورك صعوبات كثيرة تحول دون طبع الكتب .

ج ٢ ــ أرى ان الاسس التي يرتكز عليها الادب في المهجر هي التحرر أولا من أغلال النسج على مناويل القدامى ثم العمد الى التفكير والدرس في الموضوعات التي تتراءى لكل أديب ليأتي تفكيره ودرسه بالفائدة المتوخاة لقرائه من متجهات التجديد والتجويد وعلى هذه الاسس انشئت الرابطة القلمية من أفراد لهم وزنهم في الادب العربي الحديث الجامع الحسن من لغات الغرب وآدابها الى الحسن من اللغة العربية وآدابها .

ج ٣ ــ لكل من ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران مقام مرموق في أدبه الخاص وهذا ما لا يحسن عنده تفضيل الواحد على الآخر لان لكل منهما ميزة خاصة به مع الاقرار بأنهما فرقدا نبوغ وعبقرية .

ج ٤ و ٥ ــ الشاعر الذي أفضله على سواه هو الذي يعتصر قارئه من شعره وخياله حكمة وفلسفة أو يستمتع برسوم معانيه الخلابة وصفا ورقما وأما رأيي في الشعر المنثور فهو أنه اذا كان عصيرا من تفكير لبق واحساس طلق لاغبار عليه اما اذا خلا من التفكير والاحساس فهو كلام مجسوع لا خير فيه . وكذلك هو رأيي في الشعر الحر لان هذا أيضا اذا تحرر اما من الوزن واما من القافية أو كليهما ولم يخلب لب القارىء بجديد من التصوير والتفكير والحكمة كان أشبه بلعب يتلهى به الشاعر وهو اللعب الذي أكثر من الرموز المغمضة حتى حار القارىء بتفسير ما يقرأه وضاع طريقه لحل تلك الرموز وغاية الواضع منها .



وجاء في جريدة « النصر » الدمشقية عدد ٣٠ حزيران ١٩٦٠ .

لبى الاديب المهجري الكبير الاستاذ عبد المسيح حداد دعوة وزارة الثقافة والارشاد القومي لزيارة سورية ، وقد جمعتني واياه مع عقيلته الكريمة جلسة ادبية هامة في بهو فندق سميراميس حيث نزل .

والاديب الضيف ، الاديب الوحيد الحي من أعضاء الرابطة القلمية التي أنشأها الكتّاب العرب في المهجر وضمت منهم : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة (وهذا وحده بقي حيا من الرابطة في الوطن الام) وأمين الريحاني ، ووليم كاتسفليس ، وندرة حداد ، ورشيد ايوب ، ونسيب عريضة ، وايليا ابو ماضي ، ووديع باحوط ، والياس عطا الله ، وعبد المسيح حداد . والاستاذ حداد حمصي الاصل ، ترك الوطن الام قبل ثلاثة وخمسين عاما الى المهجر وكان آنذاك في السادسة عشرة من عمره ، وعاد الآن اليها ليبدي اعجابه بما حققه وطنه من ازدهار في كل الميادين .

وللضيف الاديب جولات معروفة ضد الدعاية الصهيونية التي اشترت ضمائر وآراء وارادات الامريكيين ، وكان يصدرجريدة(السائح)، التي ظلت تصدر بانتظام من نيسان ١١٢ حتى ٧ أيار ١٩٥٧ .

والنقطة الهامة التي أثارها الاستاذ حداد في حديثه لي : ان الشعب الامريكي لا يعرف حتى الآن حقيقة القضية العربية ، ان الدعايات الصهيونية جعلته يقتنع بأن العرب هم الذين اعتدوا على اليهود في فلسطين ، وبأنه ليس هناك هدنة وانما مفاوضات قد تنتهي الى الصلح بين اسرائيل والعرب .

وقال ان الدعاية العربية ، بالرغم مما تنفقه على مكاتبها ومنشوراتها لا تزال مقصرة ، لانها لا تتغلغل في أعماق الشعب الامريكي ، في صفوف السواد الاعظم منه .. هؤلاء الذين منهم العمال الذين رفضوا تفريغ الباخرة كليوباترة .

وسألته عن الطريقة التي يمكن للعرب بواسطتها أن يحققوا انتصاراً على الصهيونيــة .

فأجاب : « لقد خسر العرب الجولة الاولى في فلسطين لانهم كانوا عدة دول » ، وخسروا بعض القضايا في المحافل العربية وهيئة الامم لانهم أكثر من دولة ، ولا يجعل العرب ينتصرون الا الاتحاد .. على مستوى وحدة المصــير المشتركــة .

★ ★ ★

وجاء في جريدة « حمص » عدد ٢٤ حزيران ١٩٦٠

عبـد المسيح حـداد

كمـا عرفتـه

بقلم أديـب ملحم البستـاني

لنحو ربع قرن خلا ، كنت تلميذا في مدرسة لبنانية ، تديرها هيئـة اكليريكية . وحدث ، مرة ، ان الادارة عاقبت أحد رفاقي على حيازته كتاب « الاجنحة المتكسرة » باعتباره من كتب « جبران خليل جبران » .

وفي اجتماع مدرسي عام ــ كان يعقد شهريا ــ اعلن مدير المدرسة رسميا ، عن تحريم كتب « جبران » وانزال أقصى العقوبات بمن يقتنيها أو يقتني بعضهــا .

وانني لا أزال أذكر تيك الفترة الباسمة من عمري ، وفي نفسي حنين اليها ، واعترف بأن ذاك المدير قد دفعني الى تقصي أخبار « جبــران » ــ خلسة ــ فتلقفت منها ما وصل اليه ادراكي يومذاك ، وسمعت ، لاول مرة ، بـ « الرابطة القلمية » وبميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، وعبد المسيح حداد صاحب جريدة « السائح » النيويوركية وغيرهم مــن أعضــاء الرابطـة ..

وفي يوم من أيام الصيف ، وكنت قد تركت المدرسة لقضاء العطلة

الصيفية في قريتنا من جبل لبنان ، دخلت على والدي في مكتبه واذ به يتصفح نسخة من جريدة « السائح » فوقفت وكأن على رأسي الطير ، وقد انعقد لساني ، وتسمر نظري في الجريدة ، فأشار الي والدي بالاقتراب منه وقال لي : خذ هذه الجريدة واقرأ هذا المقال بصوت مرتفع .. فتناولتها ، بلهفة وشوق ، والفيتني امام مقال عن نسيبي المرحوم سليمان البستاني ..

كانت تيك النسخة أول ما رأيت من اعداد « السائح » . ولحسن الصدف كان ذاك المقال لعبد المسيح حداد .

ويبدو ان والدي قد أنس بي انتباها ورغبة ملحة في الاستطلاع ، فراح يحدثني — على قدر مفهومي — عن صاحب « السائح » ورفاقه العباقرة ، صانعي الامجاد ومجترحي المعجزات من أبناء العروبة في العالم الجديد .

ومنذ ذاك العهد ارتسمت في ذهني صورة عبد المسيح حداد ، والرابطة القلمية . وأخذت تيك الصورة تتبلور شيئا فشيئا ، كلما تقدمت بي السن ، وازددت خبرة واطلاعا ...

أما كيف وقع مني نبأ زيارة « أبي جرير » لوطنه الاول ، في الثالث عشر من حزيران عام ١٩٦٠ ، وكيف تصورته ، فهذا ما احتفظ به لنفسي .

أورد الرحالة العربي يوسف العيد في كتاب « جولات في العالم الجديد » عن عبد المسيح حداد ، هذه العبارة : « عبد المسيح سما بالخلق والنبل والتسامح والتساهل ... »

أما أنا فأقول : حينما شاهدت عبد المسيح حداد ، في مطلع الاسبوع الفائت ، تملكني شعور بأنني أعرفه منذ أمد بعيد . فهو وديع متواضع ، تشع من عينيه الواسعتين قبسات العبقرية ، وترتسم على جبهته العريضة

امارات النضوج ، وتلوح على تقاطيع وجهه النير آثار الجهاد الفكري الطويـل ...

لقد تخطى شيخنا عبد المسيح حداد العقد السابع من العمر . ولو لم أكن أعلم أنه من مواليد سنة ١٨٩٠ لقلت ، حتما ، ان أبا جرير في الخمسين من العمر .

وضعت بين يدي شيخنا « أبي جرير » ثلاثة عشر سؤالا ، ورجوته الاجابة عنها . فتناولها بلطف متناه وقرأها ، ثم قال : سأجيبك عنها خطيا ، في المستقبل القريب .

لذلك ، فانني أعد القراء بها . ويمكنني القول أنها مادة جديدة هامة ، ستفتح آفاقا رحبة ، وتجلو غوامض كثيرة ، ما زالت محور أخذ ورد ...

مدّ الله عمرك الثمين ، يا « أبا جرير » فأنت رمز للنبل وللنضج ومكارم الاخلاق .

★ ★ ★

وجاء في جريدة « الوحدة » الدمشقية عدد ٢ تموز ١٩٦٠

« تركتها منذ نصف قرن .. والآن اراها من جديد » ترى كيف رآها ؟

ما هو شعور الانسان عندما يعود الى وطنه بعد سنوات الفراق ؟! أي شيء يعتمل في صدر المغترب .. أهو مجرد الحنين ؟ أهو دقات القلب المتسارعة المشوّقة الى لحظة البقاء ؟ ألقاء العيون المشرقة بالحب والاخوة، نفسها .. ولقاء الارض والبيوت .. والشوارع .. لقاء وطن بكل ما فيه من روعة وجمال ؟..

رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي » قال كلمته ، لما عاد قصائد رائعة .

وقالها من بعده الياس فرحات .. ثم هذا هو اديب ثالث من المهجر ،

يقولها بدوره ، بعد ٥٣ عاما من الفراق ، يقولها بعينيه اللتين تتطلعان في كل ما حولهما ، تغرفان من جمال الطبيعة حولهما ، وتعوضان كل سنوات الحرمان الطويلة •• ويقولها – عبد المسيح حداد – بقسمات وجهه ، المعبرة ، وبكلماته الشاعرية المسترسلة ••

من هو ؟••

ولد عبد المسيح حداد ١٨٩٠ في حمص ، وبعد دراسة الابتدائية تابع تحصيله بمدرسة المعلمين بالناصرة سنة ١٩٠٤ ، ولما عاد بعدها الى حمص تلقى دروسا بالانكليزية على يد خليل الخوري (شقيق العلامة فارس الخوري) ١٩٠٥ ، وبعد سنتين هاجر الى نيويورك لمتابعة الدراسة ، حيث كان اخوته قد سبقوه اليها ••

عام ١٩١٢ أنشأ جريدة « السائح » التي ظلت تصدر حتى عام ١٩٥٨ • حين صار عدد مجلداتها (٤٥) مجلدا ••

ويقول عبد المسيح حداد عنها :

« انها كانت في بدء ظهورها ، تنفس انسان ، يريد ان يعبر عن مكنونات صدره ، عن مشاعره ، وعن حنينه الى الوطن » •

وتطورت من ثمَّ ، فأصبحت منبرا يدوي من عليه صوت « الرابطة القلمية » ••

ويسرح عبد المسيح حداد في تأملاته عند ذكر الرابطة فيعود الى ذكرياته عنها ويقول :

– « كنا ، جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، ورشيد أيوب ، وندرة حداد – شقيقه – ونسيب عريضة ، ووليم كاتسفليس وايليا أبو ماضي » •• تجمعنا القرابة الخلقية والادبية ، وكان تفكيرنا ونظرتنا الى الحياة متشابهة الى حد بعيد •• وألّفنا « الرابطة » فكانت ثورة على الجمود ، وثورة على التقليد ، وبشرى بمواهب جديدة ••

كانت صيحة ادبية ما يزال دويها يطوف الشرق العربي الى اليوم ..

ويتحدث عن جبران فيقول :

ـ بدأ « جبران » حياته ككاتب غير اعتيادي كان ينشر في جريدة « المهاجر » لامين الغريب ، مقطوعات جميلة بعنوان « دمعة وابتسامة » ودرس الرسم في فرنسا ، ثم وضع عددا من الكتب ، ولما كتب بالانجليزية تناقل الناس في العالم كله كتابه « النبي » الذي نسج فيه على نهج « نيتشه » في كتابه « هكذا تكلم زاردشت » ولكن جبران اشتهر اكثر بعد وفاته .

ويعود « عبد المسيح حداد » فيتحدث عن جريدة « السائح » فيقول :

ـ كانت في البدء تصدر بـ ١٢ صفحة من الحجم الكبير ، وفيها صفحتان للادب ، وأخرى لانباء الوطن العربي ، وللسياسة العالمية .. وصدرت عام ١٩٢٧ يومية ، وما لبثت أن اضطرت الى ايقافها بسبب الازمة المالية التي استحكمت في ذلك العام بالولايات المتحدة . وعادت « السائح » الى الصدور عام ١٩٣٦ مرتين في الاسبوع ، وكان يطبع منها ١٣٠٠ نسخة .

والآن .. تعال لاقص عليك شيئا من حياة الحداد :

عام ١٩٢٢ تزوج عبد المسيح حداد من لبنانية بالمهجر ، ورزق منها بصبي وبنتين . وفي نفس السنة صدرت مجموعة الرابطة القلمية الاولى ، التي ضمت نتاج أفرادها الادبي ، وأصدر الاديب المهجري في نفس السنة أيضا كتابه « حكايات المهجر » ، الذي ضمنه صورا عن أخلاق المهاجرين وأحوالهم ، وهو في طريقه الآن لجمع كتابين آخرين عن المهجر . وسيصدر عددا من كتب اعضاء الرابطة القلمية .

وتحدث الولايات المتحدة كلها منذ سنوات عن مفخرة من مفاخر العرب هناك .. عن « جرير حداد » ـ ٣٦ سنة ـ ابن الاديب عبد المسيح ، الذي يعد الآن أحد أكبر ثلاثة مخترعين في الولايات المتحدة .. فقد اشترك من سنوات في اختراع آلة حسابية تقوم بجمع وطرح العدد الواحد (١٦٫٠٠٠ مرة) في الثانية .. وتقسم وتضرب العدد الواحد (٣٠٠٠) مرة في الثانية وقد تطورت الآلة بعد هذا فصار في استطاعتها أن تترجم على الفور من الانكليزية الى الالمانية الى الفرنسية .. ولا يوجد في العالم كله غير (١٨) آلة من هذا النوع تبلغ اجرة الواحدة ٢٥ ألف دولار في الشهر .

وتحدث الحداد عن انطباعاته عن دمشق فقال :

ـ انني أعيش في حلم جميل ، وليس في قدرتي أن أقارن بين دمشق التي تركتها من ٥٣ سنة ودمشق اليوم .. ان انقلابا شاملا وكبيرا قد حدث فيها . وفي مختلف مدن سورية الاخرى .

وأنا سعيد كما لا تتصور ، بهذا الانقلاب الاجتماعي والفكري ، وبارتقاء المواطنين في الثقافة والوعي .. انني لا آسف على زوال الشكل الذي كان منطبعا في مخيلتي ..

واذا سألت عبد المسيح حداد عن القومية العربية ومشاعر الشباب العرب في المهجر .. اندفع يقول بحماسة :

ـ لقد كنا نعيش مع الوطن كل معاركه القومية ، وما تزال آمالنا في الحرية والوحدة العربية ، التي حملناها معنا في سنوات الشباب ، تجري في دماء أبنائنا هناك جيلا بعد جيل .. ولعله ليس في قدرتي أن أصور لك الايمان العميق ، وتعلق

شبابنا الكبير بالقضايا العربية والزعماء المخلصين الذين ارتفعت أصواتهم دفاعا عن حرية العرب وكرامتهم •

ويقول عبد المسيح حداد من ثم :

وغدا حينما أعود الى الولايات المتحدة ، سأنقل الى اخواني هنالك ، كل مظاهر النهضة التي يعيشها الوطن ، سأقول لهم ، ان ما رأيته كان فوق ما أملت •• رأيت التقدم والانتصار ، رأيت الوعي والتفتح والسير في مضامير الحضارة •

★ ★ ★

وجاء في جريدة « حمص » في بضعة أعداد ابتداء من ٢٩ تموز ١٩٦٠ :

شيخ الصحافة الكبير عبد المسيح حداد

يوضح لجريدتنا نقاطا هامة ما زالت محور اخذ ورد

حسبما نشرنا في عددنا السابق بصدد الاسئلة التي وجهها محرر جريدتنا هذه الى الاديب الكبير شيخ الصحافة العربية في المهجر الاميركي الاستاذ عبد المسيح حداد ، وتفضل سيادته بالاجابة عنها ، فاننا نبدأ من هذا العدد بنشر الاسئلة والاجوبة متسلسلة •

س ١ ــ لا شك في أنكم تتبعون مراحل التطور الفكري في الشرق العربي ، والانتفاضات التحررية ، فما هو رأيكم ، وما هي ملاحظاتكم ؟

ج ــ منذ بدء هجرتي اخذت بتتبع مراحل هذا التطور الذي تسألني عنه فلقد شعرت به في نفسي سيرا بعوامل الميل الى تحرير الفكر العربي وانطلاقه في آفاق النهضة العالمية وهذا ما

يعزى اليه اتقـاد الثورة النفسيـة في داخلي بين الانصراف الـى عمل اليدين والقدمـين في سبيـل التحصيل المادي في بـلاد المادة وبين التزام الميـل الى آداب اللغة العربيـة والى الجهـاد في سبيـل العروبة فكان الفوز الى جانب الامر الثـاني وطفقت بضع سنـوات احصر ساعـات الفراغ على تتبـع مراحل التطـور الفكري لا في الشرق العربي الذي بعد عنه بـل في النفس العربيـة ولا سيما شطرها المغترب فأدركت بعـد حين ان بـين اخواني المهاجرين عـددا يسيلون ميلي وكان من ذلك تنظيـم ابتدائي لعضد الانتفاضات التحرريـة الخلاقة وهـذا التنظيم أدى الى درس الحالـة الفكرية العربية مـن وجهتها الراكـدة بسلام المنكمشـة على ذاتها في الاوطان العربيـة ثم الوجهة المتحفزة نحوها خواطر أدباء مهاجرين رأوا بعيون الغـيرة على الادب العربي ضرورة تحريره من قيـود التقاليـد في سبيـل افسـاح طرق آخذة بالوقوف على آداب الامم الغربيـة والشرقية للاشتراك معها في نسج النهضات العالمية ولجعل أدبهم غير مكتـف بفخره بالاصل الطيب والتاريـخ الشاهـد على عبقرية الاوائـل بل باثبـات وتوضيح أن ابناء أولئـك الاوائل أصبحوا بعـد قرون الظلام مستعديـن لحمل التاريـخ على أن يحفل بنتـاج الفكـر العربي اذا تحرر وتجنّد للتمرد على أوضـاع أصبحت قيودا للفكر ، ولتحريره أسـوة بالفكر الاوروبي والفكـر الاميركي في العالـم المتمـدن .

س ٢ ـ بعـد عصور الانحطاط المظلمة قامت النهضـة الفكرية وانطلق الفكر العربي في أجوائه الرحبة فما هو دور الادباء المهجريين في هـذه النهضـة ؟

ج ـ أرى واجبا عليّ تذكـيرك بأنه بعـد عصور الانحطـاط

المظلمة لم تقم النهضة الفكرية ولم ينطلق الفكر العربي في أجوائه الرحبة بل قامت النهضة اللغوية التي امعن باقتيادها البستانيون الاعلام أمثال بطرس وسليمان وعبد الله كما جاراهم فيها أعلام آل اليازجي أمثال ناصيف وابراهيم ولا سبيل الى تجريدهم من الفضل على تحرير الفكر العربي وتسييره في طرق النهضة الفكرية فان ما اتجهوه كان توجيها فعالا لتحريك الفكر بعد حين مضى على عصرهم وهم في التاريخ الادبي العربي معدودون بالماهدين الذين وضعوا أساس النهضة غير أنهم قصرهم زمانهم على اللغة وتوجيه جيلهم وما بعده الى ضرورة الجري وراء حفظ أدب اللغة فوضعوا كتبا شبه حديثة لقواعد اللغة ولكنهم في كل ما وضعوا وقد أجادوا به اجادة ذات فضل عظيم على اللغة وأبنائها لم يخطر لهم ان يتحرروا هم من عقال التقليد فما كتب أحدهم كتابا أو مقالا الا تحدى السابقين الغابرين ولا نظم أحدهم شعرا الا استعار معانيه من شعراء الماضي واقتبس تشابيههم أمثال وصف جمال الوجه بالقمر والشمس وكثرة الحزن بظلام الليل ووفرة الدموع بالامطار الغزيرة حتى أن كثيرين غالوا في الامر فأبكوا السماء وأظلموا الشمس في الرثاء وأمثال ذلك كثيرة لا أخالك تجهلها .

أما دور الادباء المهجريين فقد عقب دور تلك النهضة وتولى في أول أمره النهوض بسواهب الادب من تعامل التقليد الى أجواء الفكر والخيال الرحبة . وهناك مجال واسع للنظر فقد احدثت الرابطة القلمية عصراجديدا لدولة ادبية جديدة في العالم العربي وقامت عليها ثورات من ادباء الاوطان العربية تخللها كثير من الحط بكرامة عمال الرابطة وكثير من رشق المثالب وتوجيه السباب اليهم من

قبل الذين ادّعوا أن الرابطة القلمية تهدف الى هدم معالم اللغة العربية والى توجيه ادبها الى طرق الكفر وما الى ذلك حتى أخذ الفكر العربي الحر اينما كان وسواء أكان في المهاجر أم في الاوطان يتقاوى على الرجعيين الذين أرادوا استبقاء القيود في أقدام اللغة وادبها . وهنا رأينا الرابطة القلمية أو رأينا غايتها الشريفة تجد لدعواتها صدى حميدا في نفوس الشباب العرب أينما كانوا ولكن الرابطة القلمية لم تكتب لها حياة طويلة فهي قامت في أحد المغتربات ثم عدا عليها الموت الذي قضى على عباقرتها حتى لم يبق من عمالها الى اليوم الا هذا العاجز والاستاذ ميخائيل نعيمة في لبنان .

وهكذا تجدني أجيبك عن سؤالك عن النهضة الفكرية التي قامت بعد عصور الانحطاط المظلمة بأنها قامت بعد النهضة اللغوية والنهضة التي أدّت الى وضع قواميس البساتنة ومجمع البحرين لليازجي الاول ودواوين عديدة لشعراء كانوا يتربصون وقوع الحوادث لينظموا فيها مهنئين بأعراس وراثين للموتى ومادحين للحكّام وأكثرهم كانوا يستعيرون التشابيه القديمة التي أكل الدهر عليها وشرب ومنهم عدد وفير خلقوا ذوي مواهب شعرية ولكنهم لم يروا أن يحرروها وأن يحفزوا تفكيرهم في مجال فلسفة اجتماعية أو تصوّر فني وكل ما راعوه هو صيغ الكلام وصقله دون رابطة بين بيت وآخر ودون انطلاق فكري في آفاق الحياة السامقة .

س ٣ — هل تعتقدون أن الهجرات أحدثت تيّارات فكرية في الادب العربي ؟

ج — ليست المسألة اعتقادا بل هي حقيقة واقعة فالهجرات وما

عقبها من الاختلاط في ثقافات الاجانب والاطلاع على آدابهم لا شك في أنها أحدثت تيارات فكرية بدأ تأثيرها في الادباء وظهرت آثارها في آثارهم الادبية العربية ثم تعهدتهم الى ادباء العالم العربي كما لا بد ترون اتجاه أفراد عرب لتقليد كتابات جبران وغيره من نوابغ المهجر حتى أمس القريب أي قبلما شرع الادب العربي يتجلى بأبدع الحلى وأعمق الافكار الاجتماعية .

س ٤ ـ هنالك من قال ان الشعر المهجري لم يبلغ أشده فأجاب رفيقكم في الرابطة القلمية المرحوم ايليا ابو ماضي قائلا : « ان اخواننا الناقمين علينا بلا وزر قد بهرهم أن تبني فئة قليلة من الادباء العرب في العالم الجديد دولة رفيعة للضاد لم يقم مثلها في التاريخ ولعل أكثر ما أزعجهم وأقلقهم تهافت الشباب على الطعام الروحي الجديد الهابط عليهم من سماء المهجر فراحوا يستحدثون له العيوب تنفيرا للارواح العطشى من هذا المنهل العذب .. » هذا ما قاله أبو ماضي في رسالته الى الاستاذ نظير زيتون ، فما قولكم أنتم ؟

ج ـ ان ما اوردتموه عن ايليا هو رأيي أيضا وأما أن الشعر المهجري لم يبلغ أشده فلا غبار على ذلك ولو أن الله أمدّ بأعمار عمال الرابطة القلمية وبقيت مؤسستهم عاملة لاحدثت دون شك تقدما باهرا بارزا في الشعر العربي ولا أخصه أو أحصره في الشعر المهجري لان اعوان السلبية الذين اشار اليهم أبو ماضي قد اخفقت سلبيتهم فمالوا الى الايجابية واقتنع معظمهم بضرورة الاخذ عن اخوان الرابطة القلمية لا مهاجمتهم بلا وزر .

س ٥ ـ في ذلك الجو المحموم وردت على لسان البعض العبارة التالية : « ان تطعيم ادب الشرق بأدب الغرب ولّد هذا المخلوق العجيب الذي نسميه أدب المهجر » .

ترى .. ألم يتأذ الادب العربي (المقيم) بالياذة هوميروس العربية أوبكتاب كليلة ودمنة وغيرهما من الآثار الادبية النفسية المنقولة الاجنبية الجذور ؟.

ج ـ أراك أجبت في سؤالك نفسه عني في صدد ما تريد استجلاءه من تطعيم ادب الشرق بأدب الغرب . اذا كانت الياذة هوميروس وغيرها كثير من فنون القدماء الاجانب والمحدثين قد أثرت على الادب العربي لدن نقلها الى أدبنا فكم يكون تأثير تطعيم أدب الشرق بأدب الغرب المعاصر ؟ وكم يكون لما ولده مما سموه بأدب المهجر من التأثير على عقلية الادباء ونفسيتهم ؟

س ٦ ـ فلنكتف الآن بهذا المقدار لننتقل ، اذا شئتم ، الى موضوع آخر .

ما دامت الذكريات صدى السنين الحاكي كما يقول شوقي فما هي أعذب ذكرى تحفظونها لعهدكم في الرابطة القلمية ؟

ج ـ لك يا منازل في القلوب منازل ـ وان اعذب ذكرى أحفظها لعهدي في الرابطة القلمية هي ذكرى اجتماع نفر من الادباء الكبار الذين لم يجمعهم أدبهم فحسب بل خلقهم السمح الذي نفرهم عن الشذوذات الاجتماعية فصيرهم جميعا اخوانا محبين متعاونين على صقل مواهب بعضهم بعضا وقد كان لرفيقي على الحياة ميخائيل نعيمة شوط لا قرار له في ذلك الصقل ليجعل من تلك المواهب كنوزا أدبية وزعت غناها هنا وهنالك وهنالك حتى اجتذبت اليها ميول الناس وتقديرهم لانتاجات الرابطة القلمية الحديثة وخذ مثلا على ذلك في ديوان ابي ماضي الاول الذي طبع له في مصر وزِنه امام دواوينه التي طبعها في نيويورك ألا ترى عندئذ الفرق الهائل بين شاعر موهوب كان ينظم مقلدا فصار في الرابطة القلمية بعد عهد غير طويل الشاعر الذي يشار اليه بالبنان

والأعجاب والكثير لانه صار شاعرا يقلد ولا يقلد وينتج من دماغه وتفكيره لا من اساليب المتقدمين ؟.

س ٧ ــ يقول الاستاذ جورج صيدح انكم جعلتم مكتب«السائح» ندوة لاهل الفكر والقلم ومنه انطلقت حركة النهضة الادبية وفيه تأسست الرابطة القلمية وعليه اعتمدت في نشر آثارها . فهل لكم أن تشرحوا لنا هذا القول باسهاب خدمة للادب والتاريخ ؟

ج ــ كان بعد تأسيس الرابطة القلمية لزاما عليها أن تجد مكتبا وكان لمكتب « السائح » هذا الشرف فهو كان قبل الرابطة مجمع اخوان ادبها ومنه انطلقت فكرة تأسيسها وعليه اعتمد الاخوان في نشر آثارها الادبية وهذا ما دعانا الى اصدار اعداد خاصة لجريدة السائح كل سنة تحمل الى العالم العربي في دياره وفي مغتربات ابنائه انتاجات عمال الرابطة القلمية مما لا شك في أنكم اطلعتم على تلك الاعداد الممتازة .

ولا أرى موجبا للاسهاب في هذا القول المنقول عن أديب كبير وشاعر فكير هو الاستاذ جورج صيدح فاذا كان هو قد استطلع ما استطلعه عن السائح ومكتبه فيما كان بعيدا عن نيويورك فلا بدع أن سواه يستطيع استطلاع ذلك بمجرد ما يقرأه في أعداد السائح السنوية الممتازة وفي مجموعة الرابطة القلمية لسنة ١٩٢١ وهي المجموعة الوحيدة بدأت في تلك السنة وكنا نأمل باصدار مثلها كل سنة ولكن الخسارة المالية التي وقعت علينا في تلك المجموعة وضعت حدا دون اصدار غيرها مثلها في السنوات التي تلت ١٩٢١ .

س ٨ ــ ويقول الاستاذ صيدح أيضا :

« وما دار حديث عن الرابطة القلمية الا تخلله ثناء على عبدالمسيح حداد الذي احتضن الرابطة ورباها ومزج روحه بروح عميدها » .

انا أثق بالاستاذ صيدح ولا أشك في صحة قوله • فهل لكم أن تتفضلوا وتحدثونا عن كيفية احتضانكم الرابطة ومزج روحكم بروح جبـران ؟

ج ـ أجل لا فضل لي باحتضاني الرابطة فهي أيضا قد احتضنتني وكنت أصغر عمالها سنا وكان سائحي سائحها ولقد مزجت روحي بروح عميدها جبران منذ عرفته قبل عهـد الرابطة ببضع سنـوات وأخاله رحمة الله عليه تهلل بامتزاج روحي بروحه حتى أصبحت لـه قبل وفاته موضع ثقته الخاصة ولا سيما في سنوات مرضه ومحاولاته اخفاءه عن شقيقته مريانا واقربائه في بوسطن وعن اخوان ادبه عمـال الرابطة الآخرين لئلا يقلقوا عليه فلما قضى أدركنا جميعا سبب انحباسه عنا واخذ انسباؤه الذين قدموا من بوسطن يعتبون عليَّ لاني لـم أعلمهم عن مرضه • والحقيقة هي أني أنا لم أدرك الخطر على حياته تماما فقد كان رحمه الله حتى آخر أيامه في شغل مستمر يحاول رغم ما كان عليه أن يخرج من هذه الدنيا منجزا ما بدأ بتأليفه ومنهيا بعض الرسوم التي لم تكن قد استكملت •

س ٩ ـ هل ارتحتم الى ما تضمنه كتاب « جبران خليل جبران » لرفيقكم ميخائيل نعيمـة ؟

ج ـ نعم كل الارتياح على الرغم من أن كثيرين حتى من أقـرب أصدقائنا استهجنوا عمد ميخائيل الى وضع صورة حقيقية عن سـير جبران في الحياة دون ان يغض طرفه عن ذكر اوحال يعبر عليها كل من سار في طرقها ولقد وضعت درسا عن ذلك الكتاب بطلب من اديب كبير في البرازيل وهو الاستاذ شكر الله الجر نشره في مجلته الاندلس التي كانت تصدر في ريـودي جنيرو كما نشرته جريدة صـوت الاحرار البيروتية وفيه أظهرت معنى كتاب ميخائيل عن جبران وغايته في أن

يحيط الملأ العربي علما بأن فقيده جبران لم يكن غير انسان عادي مر في طرق الناس تماما ولكنه كان ممتازا عنهم بأنه أدرك سمو رسالته العلوية فكان يرتكب الزلل مثلهم ولكنه اختلف عنهم بتأنيب نفسه راغبا في أن يبتعد عن كل ما هو مادي الى أن يدرك المرتبة الروحية التي أرادها الخالق له .

وما ضرَّ جبران ان يميط عن طرق حياته كانسان مثل ميخائيل نعيمة فيعرفه للناس انسانا تخلص من اوحال الحياة حتى أصبح عبقريا لا يظهر مثله في أي أمة كل ألف سنة أو أكثر ؟.

ان جبران ، نابغة عبقريا ، معروف لدى من يطالع آثاره الادبية ولكن حب الناس معرفة عيشه على الارض دفع ميخائيل الى أن يصورها تماما بما تخللها من سوء وظرف وجمال وقبح وفي نفس ميخائيل دافع الى تبرير كل زلل بشري وقع فيه جميع البشر قائلا لهم : « من كان منكم بلا خطيئة فليرمه بحجر » ولكن خطايا جبران كانت درجات له لبلوغ ذروة العبقرية التي خلق لها .

س ١٠ ــ في الثلث الاخير من كتاب « جبران خليل جبران » فصل طريف تحت عنوان « الدُبك » وهذا « الدبك » على حد قول نعيمة نصبت أحابيله في مكتب السائح لرشيد أيوب ومن ثمَّ لجبران . فما هي ملاحظاتكم حول ذاك الفصل وما هي ذكرياتكم لتلك المناسبة ؟

ج ــ كان الشاعر الكبير المرحوم رشيد أيوب رغم شعره الباكي أكثرنا مرحا وكانت اجتماعاتنا به لا تخلو من التفكهة وكان جبران يميل اليها ويحبه حبا جما فلما شغلت بتهيئة العدد الممتاز لتلك السنة عدت الى مكتبي من المطبعة لاجد ميخائيل ينتظرني فيه للعشاء معا ولما سألني الى أين وصلت من تهيئة العدد الممتاز للطبع أخبرته أن آخرما تركته على بلاطة تركيب الصفحات قصيدةرشيد«وراح ماعرفناه»

وهي من أجمل قصائده وللحال خطر لميخائيل ان نلعب « الدبك » على رشيد فعدت أدراجي الى المطبعة وأخذت على القصيدة طبعة البروفة ولكني أزحت امضاء رشيد عنها ووضعت محله اسم شاعر عربي قديم وأظنه « ابن المعتز » على حقل أبيض من جريدة ألف باء الدمشقية .

وجاء جبران كعادته الى مكتب السائح كل يوم سبت ولما اطلع على القصيدة مطبوعة في عدد « الف باء » لابن المعتز لا لرشيد أيوب أخذ يبكي بكاء الاطفال قائلا : « ويلاه ان رشيدا يستطيع أن ينظم أحسن من تلك القصيدة فكيف أجاز لنفسه أن يسرقها ويدعيها لتنشر في العدد الممتاز أخاله أصيب بمس في عقله .. » وكنا في اجتماعاتنا كثيرا ما نضع « دبكات » للتفكهة والضحك وكان رشيد أيوب ابرعنا في النسج على منوال الاضاحيك المسلية .

س ١١ ــ متى تمت آخر مقابلة لكم مع جبران ، وماذا دار خلالها من أحاديث ؟

ج ــ كان ذلك قبل وفاته بيومين وكنت على موعد مرافقة عائلتي الى احدى ضواحي مدينة نيويورك لزيارة انسباء لنا وقد أزعجني جدا ما رأيت على وجهه من آثار العياء ولكني لم أفطن الى أن الموت صار منه قيد خطوة أو خطوتين ولما أخبرته عن عزم العائلة على الزيارة قلت له عندها ان العائلة تستطيع أن تذهب وحدها فأبقى أنا في نيويورك قريبا منه الا انه شدد عليّ بضرورة مرافقة العائلة على أن أعود اليه بعد يومين أو ثلاثة ولكنه أغمض عينيه في اليوم الثالث فلم أكن الى جانبه وعدت الى نيويورك مسرعا لدن خاطبني ميخائيل بالتلفون ويا للاسف لابكي جبران الحبيب مسجى في نعشه .

س ١٢ ــ هل ترون رأي نعيمة بأن جبران صوّر نفسه نبيا تحت نقاب من التمويه الفني في كتاب « النبي » خصوصا في فاتحة هذا الكتاب وخاتمته ؟.

ج ـ ان كتاب « النبي » كتاب رسالة جبران الادبية الروحية وليس من أعرفه من عرب وأميركيين قرأ ذلك الكتاب الا وسحرته موضوعاته ولكم استوحى بتلك الموضوعات كتاب اميركيون ومراسلو اذاعات الراديو والتلفجن • أما رأي نعيمة بأن جبران صور نفسه نبيا تحت نقاب من التمويه الفني فلا أدري ما عنى برأيه وما يضير جبران أو غيره اذا أحسن القيام بمواقف نبي يكرز بأبلغ حكمة في الناس • او ليس كل ذي موهبة رسولا من الله لشعبه ؟ أو لم يكن جبران رسولا يعظ قومه بأجمل الاساليب وأكثرها افادة للنفوس الراغبة في النمو الروحي والوعي العصري ؟

س١٣ ـ هناك فئة تقول : ان جبران تأثر بفلسفة نيتشة ونسج على منوالها • هل تقرون هذا القول ؟

وما هو وجه الشبه بين فلسفة نيتشة وبين فلسفة جبران ؟

ج ـ من ذا يقرأ كتابا ولا يحس بتأثير الكتاب عليه ؟ فاذا قرأ جبران فلسفة نيتشة أيكون مستغربا اذا أن يتأثر بتلك الفلسفة ؟ أما نسج جبران على منوال نيتشة فلا يتعدى الاسلوب كما نسج الحريري على منوال بديع الزمان فأجاد في مقاماته وبرّز على المنسوخ عنه في الاسلـوب •

أما وجه الشبه بين فلسفة نيتشة وفلسفة جبران فيمكن أن يكون الغاية في نفس كل منهما لتصوير الاشياء على عدسة الموهبة الموفورة عند كليهما وقد أتى كلاهما بافصاح جديد في عصره عن رسمه الموضوعات الحيوية وأجاد كلاهما تعبيرا عن تلك الموضوعات التي دراساها درسا فلسفيا يأخذ بالالباب ويبقى للاجيال ومختلف الاحقاب •

وثائــق لم تكتب

مع الاستاذ عبد المسيح حــداد

بقلم الاستاذ عبد الكريم الاشتر

لم يعد المتنكرون لادب المهجر كثيرين حولنا ، فهم الشيوخ الذين ما زالوا يؤمنون بعمود قائم في الادب لا يصح الخروج عليه • والادب المهجري عندهم أدب هجين ، شكس النشأة • ثم هم شباب لم يألفوا قراءة هذا الادب أو جفوا عنه لانهم لم يجدوا فيه الجهارةالتي تعودوها، وهوشتهم الجملة الطرية ، العجيبة القسمات ، المنغومة نغما يملأ النفس ولكنه لا يملأ الاذن ، ثم هم اناس اعتقدوا ان هذا الادب غزو جريء لقواعدنا الفكرية العريقة ، ومحاولة مشبوهة لتحويل ادبنا عن ينابيعه الثقافية الاصيلة الكامنة في تراثنا ، الى ينابيع غريبة متصلة بالكتاب المقدس وبالعقائد الشرقية القديمة من خلاله •

على أن هؤلاء الجافين جميعا لم يحولوا ان يفتح أدبنا ابوابــه لهذا الادب ، ويتأثر بوداعته في المضمون والشكل ، ويأخذ عنه تأثره

بالأنماط الفنية التي لاصقها في الغرب ، حتى لقد أصبح هذا الأدب جزءا ضخما من تراثنا الادبي الحديث . ووجب علينا ان ننهض لدراسته دراسة منهجية سليمة تكشف عن خصائصه وأنسابه واساليبه ، وتصف موقفه من حياتنا وأثره فيها ، وتحدد صلته بتراثنا . وبذلك نزداد فهما لهذه الموجة التي أقبلت علينا من البحار البعيدة ، ووعيا بالمناخ الفكري الذي كون مدءها .

وقد صدرت بالفعل في الاعوام الاخيرة دراسات كثيرة تناولت جوانب صالحة من هذا الادب ، وانصرف بعضها الى النتاج وبعضها الى المنتجين . ونذكر هنا دراسة في شعر المهجر الشمالي للاستاذين الدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم ، وقد فسّرا فيها حركة المهاجرة تفسيرا حفظ لها ابعادها الصحيحة . وجمع الاستاذ عيسى الناعوري دراساته في ادب المهجر التي كان نشرها في أحيان مختلفة ، في كتاب واحد صدر عن دار المعارف بالقاهرة . بل تعدينا ذلك الى دراسات جامعية في الادب المهجري نال عليها اصحابها درجات علمية رفيعة ، كالدراسة التي كتبتها الاستاذة نادرة جميل السراج عن شعراء الرابطة القلمية وتقدمت بها الى جامعة القاهرة لنيل درجة الماجستر . وقد صدرت عن دار المعارف بالقاهرة . والدراسة التي تقدم بها الدكتور انطون غطاس كرم عن جبران لنيل درجة الدكتوراه من احدى جامعات فرنسا . ثم الدراسة التي تقدم بها كاتب هذه السطور عن النثر في المهجر الشمالي الى معهد الدراسات العربية العالية ، لنيل درجة الماجستر .

ولئن كان انصراف دراساتنا في أول الامر الى الشعر المهجري لاسباب كثيرة فقد بدأ بعضنا ينصرف الى النثر . وستتكشف لنا في

الايام المقبلة القيمة الحقيقية لهذا النثر الذي أهمله دارسونا زمنا طويلا • ونأمل أن تكون دراساتنا للنثر في المهجر الشمالي فاتحةدراسات طويلة في هـذا الميـدان •

وقد يسرت لي هذه الدراسة ان أتصل بمصادر البحث في الادب المهجري بعامة ، وهي مصادر نادرة متفرقة ، يضطر الباحـث الى أن يجمعها من شتى الانحاء ، وان يرجع في ذلك ـ احيانا كثيرة ـ الـى المكتبات الخاصة • فأنا ـ مثلا ـ لولا رجوعي الى مكتبة الاستـاذ ميخائيل نعيمة لما استطعت أن احصل على كتاب (حكايات المهجر)الذي كتبه عبد المسيح حداد وأصدره في نيويورك سنة ١٩٢١ • والطريف أن المؤلف نفسه لم يجد في مكتبته الخاصة في نيويورك نسخة من كتابه هذا ، فأرسل يعتذر الي •

ونحن نعتبر هذه الكتب وثائق توشك أن تندثر • ولو قلنا اليوم أنها قيمة الكنوز لما صدقنا الا القليلون • ونقول القول نفسه في المجلات والصحف التي صدرت في المهجر ثم انقطعت • فهي سجل هذه الخفقة العربية الرائعة في تلك الديار • ولئن فقدناه لن نقع عليه أبدا • وسنظل من بعد ، حين نتكلم عن المهجر ، نرجم بغيب كبير • فهل تلتفت بعض مؤسساتنا الثقافية ودور الكتب عندنا الى هذه الحقيقة قبل أن يفوت الاوان ؟ فتوفد الى نيويورك وغيرهامن مدن الولايات المتحدةالتي استوطنها مهاجرونا وأتتجوافيها،موفدامختصا ينكبُ على جمع مجموعات كاملة من الصحف والمجلات العربية التي ظهرت هناك منذ أواخر القرن الماضي ، فيحملها الينا لتنسق وتوضع في احدى دور الكتب ، لتكون المرجع المقصود للباحثين في هذا الادب من انحاء الوطن العربي كله •

لقد حاول معهد الدراسات العربية في القاهرة أن يخطو هذه الخطوة الكبيرة ، فيسعى في ايفاد هذا الموفد المختص ، ولكنه لم تسعفه المخصصات • وموضع الامل اليوم وزارة الثقافة ، فهي قادرة على هذا ، فان لم تكن تميل اليه ، فتكلف بعض الملحقين ببعثتنا الدبلوماسية في واشنطن ، ممن يهيأ لهم القيام بمثل هذا العمل •

ولئن قلنا في الوثائق المكتوبة هذا القول ، فماذا نقول في الوثائق الحية التي يقرب في كل لحظة أن نفقدها ؟ أيمكن ان يثمن حديث يدلي به ميخائيل نعيمة مثلا ، عن دقائق الحياة الادبية في المهجر ، مما لا يقرأ في كتاب ، لانه يبعد أن يكتبه كاتب ؟ أو يمكن ان نتصور التجربة الروحية التي كان هؤلاء الادباء يكتوون بنارها دون ان ندخل الاروقة الخلفية التي عاش فيها هؤلاء الادباء تجربتهم في صمت ، قبل أن يظهروا للناس ؟

لقد زارنا منذ أشهر قليلة الاستاذ عبد المسيح حداد صاحب جريدة السائح التي كانت لسان الرابطة القلمية ، أقوى تعبير أدبي ظهر في المهجر ، وهو الذي احتضن نتاج الرابطة واذاعه وعاش مع أعظم ادبائها حياتهم المنتجة • لم يكن يفارقهم الا في ساعات النوم ، وقد لا يفارقهم أيضا • وكانوا يطمئنون اليه ويفضون اليه بذوات انفسهم • وما أكثر ما حضر ساعات المخاض التى كان يعانيها جبران ، اذ كان يملي عليه ما يكتب •

وهو ـ فوق ذلك ـ ممن عاصروا موجات المهاجرة الاولى ، وشاركوا في تطوير البيئات العربية التي كونها المهاجرون ، ووقفوا في وجه الانحراف السياسي والاجتماعي الذي ارتست فيه فئات من المهاجرين • (حكايات المهجر) وثيقة لا حد لقيمتها لمن يريد أن يدرس المهاجرة وأحوال المهاجرين • وما أحسب أن دراسة جادة في الادب المهجري ، يمكنها أن تنساه •

وقد كنت يوما من تموز السنـة الماضية في مطـار دمشـق ، حين حطت الطائرة التي كانت تقلّ الاستاذ عبد المسيح حداد ، وهبط منها رجال أخذت أتفرس فيهم ، لعلي أعرفه بينهم ، فقد كانت صورته الى جانب جبران ونعيمة ونسيب عريضة واضحة في مخيلتي • ثم هبطت سيدة شقراء فارغة الطول ، ما لبث ان انضم اليها رجل أقرب الى القصر، يصح ان يوصف بالبدانة • فهتف « نظير زيتون » : عبد المسيح ! ثـم اندفع اليه يطوقه •

وأوشكت عينا عبد المسيح أن تغرورقا ، وأخـذ يتلفت حولـه ويتنفس مهتاجا وهو يقول لمستقبليه :

الحمد لله الذي أراني وجوهكم •• أنا أخيرا على هذه الارض ، بعد ثلاث وخمسين سنة ؟ لقد قالوا لي : أن كل شيء تغير هنا ، فقلت لهم : وما عساني أرى اذن ؟ اني أريد أن أرى الدنيا التي خلفتها فان كانت تغيرت ••••••••

فلما اقبلت عليه ، حييته وسألته : متى أزورك في حمص ؟ قال : حين تشـاء •

وقد أقبلت في شوارع حمص الضيقة بعد ظهر الخامس والعشرين مـن تموز ١٩٦٠ ، أسـأل عن البيـت وأنا أراجـع ما كتبتـه عنه في رسالتي : لقد وصفته بالطيبة وجردت كتابه (حكايات المهجر) من القيمة الفنية ، واحتفظت له مع ذلك بواقعية الوصف • ورأيه في كتاب نعيمة (جبران خليل جبران) وما كدت أطمئن قليلا في المجلس حتـى أخرجت دفترا صغيرا كنت دونت فيه بعض الاسئلة ، وأنا اذكر نفسي بما كنت أوصيتها من تصنع البساطة حتى أنفذ الى النقط الصريحة مـن آرائه وذكرياته •

وليثق القارىء أني أقدم اليه صورة صحيحة لما قال ، أكاد أحرص معها على اعادة كلماته ذاتها .

قلت متبسطا : كتابك (حكايات المهجر) وثيقة ذات قيمة تاريخية كبيرة ، وقد امتدحه (بروكلمان) . لمَ لا تعيد طبعه ، فقد عرفت انه يعتبر من النوادر ؟

قال : الحق معك فقد زارني في نيويورك ، في ادارة السائح ، الاستاذ شاكر مصطفى ، واستهداني الكتاب فما لقيت نسخة اهديها اليه [1] وأنا أفكر الآن في اعادة طبعه .

قلت : لعلك ترى أن تحفظ لهذه الوثيقة قيمتها كلها ، فلا تدخل على الكتاب أي تعديل .

وكان وجهه يفيض عافية ومرحا وبساطة ، لم يغيره هذا الاكليل الابيض الخفيف الذي يغطي الرأس . وقد بسط يده على المسند من وراء كتفي في بحبوحة أصيلة .

وقلت متابعا الحديث : يحمد لك دارس كتابك واقعيته الدقيقة ، حتى ليحسبه تصويرا فوتوغرافيا لهذه الظواهر الاجتماعية والنفسية التي جلوتها في بيئات المهاجرين السوريين .

قال : الحقيقة ان أغلب الحكايات واقعية ، ومعظم الشخصيات التي صورتها صورت فيها اناسا بأعينهم وأعرفهم هناك . وحكاية (في بيت الميت) وقعت لي ، فقد كنت أنا نفسي في بيت الميت .

قلت : يذكر (جورج صيدح) في كتابه (ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية) ان لوليم كاتسفليس خازن الرابطة كتابا باسم (من ميت

---

(١) كتب الي الاستاذ عبد المسيح بعد عودته الى نيويورك يقول : انه وجد من الكتاب نسخة واحدة ، فابقاها لانه قد يحتاجها في طبع الكتاب طبعة ثانية .

حي الى أحياء أموات) فهل هذا صحيح ؟

قال : مبلغ علمي ان (وليم) كتب مقالة بهذا العنوان ، ونشرتها له في (السائح) ، وأحسب أن (صيدح) واهم •

قلت : هل حجزتك الزيارةعن القيلولة ؟

فقال في سرعة : ابدا ، اني لا انام بعد الغداء ، وهي عادة عودتها من يوم كنت أعمل في السائح ، فقد كان علي أن أصف الحروف وأدهنها بالحبر وأطبع الورق بنفسي ، فما كان يتهيأ لي أن أستريح ظهرا •

قلت في حذر : لقد اتصل بك لا شك ما لقي الاستاذ ميخائيل نعيمة من جراء كتابه عن جبران ، فقد اتهم بالكيد لصديقه وبتمزيق لحمه ، لانه ينفس عليه مجده الضخم ، فما رأيك أنت ؟

قال : لقد كان بين جبران ونعيمة تنافس أدبي محمود ، ولكن كتاب نعيمة عن جبران أسيء فهمه • ولقد قاربت أن أشترك مع نعيمة في كتابة الكتاب في نيويورك ثم انفرد هو به • والحق أنه كان يستطيع أن يعرض في بعض المواقف في حياة جبران دون أن يؤذيه بالتصريح ، ولكنه لم يفعل لانه ناقد صارم • لقد مات جبران وقراؤه لا يعرفون شيئا عن حياته الخاصة ، وهم أحبوه من خلال ما كتب ••• وقد كان لجبران مثل ما للناس جميعا من نقائص • ألا تظن أنه انسان ؟ فهو اذا يحب ويكذب ويخدع ويسكر • ولقد تعاطينا مرة الحشيش معا للتفكهة ولدرس فعاليته • وتابع عبد المسيح يقول : ان ان الامريكان يذكرون لموتاهم الحسنات والسيئات • ولكننا نحن هنا في الشرق نجعل موتانا كلهم ملائكة • ومن هنا كان غضب بعض الغاضبين على نعيمة •

ثم سكت قليلا وقال في مرح : لقد مات أحد الارلنديين ، فذهبت أرملته وابنته في حفلة تأبينه الى الكنيسة ، ووقف الكاهن يثني على رجل البر والتقى والفضيلة •• فالتفتت الام تسأل ابنتها في دهشة : — بنتي ! أهناك ميت غير أبيك ؟!•

وقد حكى عبد المسيح الحكاية بلهجة حمصية أصيلة بلغت مداها في الخفــة والعفويــة •

وفجأة •• انفتحت في ذاكرتي صفحة عنيفة ••• أيقول عبد المسيح هذا الكلام الرطب في نعيمة وكتابه ، وقد جعل في الحديث الذي ادلى به يوما ليوسف البعيني في مجلة العصبة البرازيلية سنة ١٩٤٨ ــ سقوط (ميشلين) في علاقتها مع جبران كفارة تكفر بها هذه التعسة عن نفسها ! كأن جبران كان في تغريره بها يؤدي رسالة الهية ! ولكني سكت •

وسمعت الاستاذ عبد المسيح حداد يقول : ليس هناك ما يوجه الى الكتاب اذا استثنينا اللغة التي كتب بها • انها عنيفة • لقد قلت هذا الكلام مرة ونشرته في بيروت جريدة (صوت الاحرار) •

وأسرعت أقول : هل خلف أخوك (ندرة) غير ديوانه المعروف « أوراق الخريف » ؟

قال : نعم • شعر لم ينشر • وقد يتاح لي نشره •

فقلت : وأنت ؟ ألم تقل الشعــر ؟

فقال : قلته ، ولكني لم أنشره •

وقلت : لقد كنت صغيرا حين بدأت تصدر (السائح) • كيــف استكملت تعليمك ؟

فقال : كنت في الواحدة والعشرين • وقد عملت قبلها قليــلا في التجارة • وكنت أتردد على مدارس ليلية هناك لانه لم يتح لي أنأكمل تعليمي في الوطن • وقد كنت تعلمت الانجليزية في حمص على يد (خليل الخوري) ليتاح لي دخول الجامعة الاميركية في بيروت • ولــم أكن أحسب أني سأهاجر بها الى أميركا ! • اما العربية فدرستها في حمص في المدرسة الروسية الابتدائية ، وكان فيها معلمون ثقات • واستاذي هو (يوسف شاهين) استاذ المهجريين الحمصيين كلهم •

قلت : وما هي بضاعتك في الروسية حينما هاجرت ، بعد أن درستها في مدرسة المعلمين في الناصرة ؟

قال : شيء قليل .. فقد احتلت اللغة الانجليزية محلها في حافظتي .

قلت : وما حال السائـح الآن ؟

قال : أوقفتها ، وبعت المطبعة . ولكني احتفظت بالادارة . وكأنما لحظ في عيني ما جال في نفسي فقال متابعا :

ــ سينتهي ــ على كل حال ــ كل شيء في السنين المقبلة ، ولـن يبقى للجيل المقبل منا الا الذكـرى .

وأوشكنا أن تنحرف قليلا في الحديث ، فتداركت الاستاذ أسأله :

ــ يتهمون ميخائيل نعيمة بأنه تأثر بجبران في موقفه من الحيـاة وتفسيره اياها هذا التفسير الصوفي .. أحق هذا ؟

فقال : لا شك أن جبران أثر على نعيمة بتصوفه ، ولكن نعيمـة كان يحمل بذور الاستعداد لهذا التأثر .. وجبران كان أشد تأثيرا في أعضاء الرابطة من نعيمة على كل حال . على أنه كان لنعيمة تأثيره الكبير أيضا فهو الذي وجه أبا ماضي مثلا الى الشعر الصحيح ، ولم يكن أبو ماضي على شيء من العلـم .

قلت في حذر : وهل كان سلوك نعيمة في المهجر مرضيا ؟ ألم تكن له (خطيئات) كالتي أحصاها على جبران ؟

فقال في حزم : بل كان نعيمة في المهجر يعف عن المال والنساء . ان جبران عالم ونعيمة عالم آخـر .

قلت : هل كان جبران يقرأ العربية في المهجر ؟

قال : قليـلا !..

قلت : وهل كان يسود أعضاء الرابطة ، أو بعضهم على الاقل ،اعتقاد بأن الثقافة العربية لاصقة بالاسلام ؟

قـال : نعـم !

قلت : وأسباب الهجرة ، هل هي طائفية في رأيك ؟

قال : لا بـل هي اقتصـادية .

وعدت الى جبران ، فقلت في تقرير متسائل :

ـ كانت تقع في لغة جبران أخطاء كبيرة .

قال : نعم . كان نسيب عريضة يتولى اصلاحها ماستطاع .(المواكب) مثلا تحفل ببعض الاخطاء . ولقد كنت أنا أصحح له بعض الاخطاء دون أن يشعر حين كان يملي علي .

فقلت : ألم تكونوا تطلعون على النتاج الادبي الحديـث فـي الوطـن ؟

قال : بل كنا نقرأ بعضه . وقد كانت تأتيني بعض الصحف والمجلات العربية بطريق المبادلة ، فأقـرأها ويقرأها بعض أعضاء الرابطـة الآخـرون .

وقد ساحت على خد الاستاذ عبد المسيح هنا قطرة عرق كبيرة ، مسحها وهو يقول : حر حمص !..

قلت : أتشكـو ؟

قال : : بل أتلذذ باحساسي به ، وأذكره لازيد من احساسي به .

قلت : هل تعتقد أن للادب الاميركي تأثيرا في الادب المهجري ؟

قال : لا شك ، تأثير كبير . لقد تأثرت أنا مثلا بالصحافة الاميركية . وكنـا جميعا نقرأ الانجليزية .

قلت : هل كان (وليم كاتسفليس) يعرف الانجليزيـة حـين هاجـر ؟

قال : كلا ولكنه كان ضليعا باللغة الافرنسية التي سهلت عليه تعلم

الانجليزية التي ما عتم أن أصبح يتكلمها ويخطب بها أحيانا •

قلت : ونسيب عريضـة ؟

قال : تعلمها • وقد بدا تأثره بالادب الروسي والادب الاميركي على السـوا ء••

قلت : وهل انتسب جبران الى جماعة (الحلقات الذهبية) ؟

قال : لا ولكنه كان على ولاء مع القائمين بشؤونها ، وكانوا مـن خريجي الجامعة الاميركية ببيروت • وكان رئيسها ــ فيمـا أظـن ــ فيليب حتـي •

قلت : وجمعية (سورية الحرة) التي انتسب اليها نعيمة ؟

قال : كانت جمعية سورية يرأسها الدكتور نجيب صليبي ، مـن الفليبين ، وأصله من سوق الغرب بلبنان • وكان يشترك معه ابراهيـم الرحباني وهو قسيس أكبر في كنيسة في بوسطن • وكان هذا القسيس عربي الميل ، يدعو الى أن تتتلمذ الامة العربية على يد اميركا •

قلت : وهل كنتـم تنشرون في صحفكم أشياء توجهونهـا الى الوطـن ؟

قال : بالطبع ، وقد منعت السائح منه سنة ١٩١٢ ــ لهذا السبب ــ من دخول اراضي السلطنة العثمانيـة •

قلت : هل أسستم رابطة ما قبل الرابطة القلمية التي اعلنتموهـا سنـة ١٩٢٠ ؟

قال : نعم ، لقد اسسنا الرابطة القلمية لاول مرة خلال الحرب ، وكان الريحاني عضوا فيها • وكانت تعقد اجتماعاتها في بيتي قبل أن أتزوج • وقد هدمناها لنبعد عنها أحد الذين اندسوا فيها •

وسألت فجأة : هل تعتقد ان لجبران وصية غير التي أُظهرت بعـد وفاتـه ؟

فأجاب : نعم ، على أنه لا شأن لنا بجبران بعد وفاته .

فقلت في الحاح : ومن تتهم ؟ فأجفل قليلا ثم غمغم وابتسم .
قلت : اختــه ؟
فــلاذ بالصمــت .

وأسرعت أحول الحديث :
ـ الى أي مدى بلغ تأثر جبران بنيتشة في رأيك ؟
فأجاب : لقد تأثر باسلوبه الكتابي فقط ، لا بأفكاره .

قلت : وما صدق صلته بمي ؟

قال : كان جبران يقرأ لي بعض رسائلها اليه . ربما كان جبران يميل اليهــا ، ولكنه لم يكن يحبها . لقد كان جبران يعرف مرضه الخطير ويتهيأ للموت !..

قلت : أليس في حوزتك أو حوزة من تعرف شيء من رسائل جبران اليك ؟ فكأن سؤالي نكأ جرحا لم يلتئم . وبادر يقول :

ـ لقد كان للسيدة ماري عزيز خوري في نيويورك ، ما يشبه أن يكون (صالونا أدبيــا) . وكان جبران والريحاني يترددان عليه . وقد أرسل اليها جبران أكثر من مئتي رسالة بالعربية والانجليزية . وقــد دعتني هذه السيدة الى أن أعمل معها في تنسيق هذه الرسائل وطبعها . وبدأنا العمل فعلا . ولكن السيدة أصيبت بفقدان الذاكرة وتسلط عليها رجل اسمه (سيدني وليامز) استطاع أن يحصل على توقيع يجعله وصيا على أموالها . ولم يقبل هذا الرجل أن يسلمني الرسائل على الرغم مــن أنني شكوته الى القضاء وكان الحكم الى جانبي .

قلت : وأيــن الرسائل الآن ؟
قال : عنــد رجل اسمه نسيب الطرابلسي .
قلت : بقي أن تتحدث عنك .

قال : لا شيء يستحق الذكر : أبي موظف صغير في حمص ، كـان يعرف العربية والتركية ، وامي من اسرة عريضة التي منهـا الشاعـر نسيـب .

قلت : بمن تأثرت من كتاب العرب ؟

قال : أنا معجب بالمازني لاني أحب الفكاهة والنقد ، وربما كان ذلك أصيلا فيّ لاني كنت اعقد في السائح بابا باسم (ألحان وأشجان) أضمه نقـدا فكهـا .

قلت : وهل كنت تعتقد ان المقالة التي تكتبها ذات قيمة فنية ؟

قـال : نعم .

قلت : وما هو مثالك الادبي ؟

قال : ليس من يغمس قلمه بالحبر كمن يغمسه بدم القلب .

وكانت الشمس قد انحسرت كثيرا عن القبة العالية ، وبدأت تهب علينا نسمات حمص البليلة المنعشة ، وبدا على وجه الاستاذ عبد المسيح ارهاق لم ينجح في اخفائه ...

فاستأذنت وانصرفت ...

نظرة المغترب
الـى العالم العـربي
بعـد الرحلة

هذا الكتاب أردت من وضعه اطلاق ضوء وان ضئيلا على الحالة النفسية في البلاد العربية مما وعيته من تحرر الشعبية في سورية ومصر وسواها من الاقطار العربية التي تنشد وحدة الصفوف العربية ، على غرار اتحاد فدرالي ، ضمن استقلال داخلي واسع ، يهدف الى جمـع شتات الامة العربية في بوتقة دولية لا يسيطر فيها واحد على الآخر ، ولا يمتص قطر استقلال قطـر آخر ، ولا يستغله لمصالحه السيـاسيـة والاقتصاديـة .

حدثت في سورية انقلابات متتالية وأخالها جميعا جاءت نتيجـة لانطلاق الوعي من صدر الامة فهي ان لم تكن قد جاءت بما يذكر بأي خير للشعب السوري غير أنها أزاحت النعاس عن مقلته وأهابت بـه

للجري وراء استقلاله التام والقضاء على مكايد الاستعمار الاجنبي ، وقطع دابر الاقطاع الداخلي المتعدد الالوان ، وقد بدأت اشباح الاقطاعية الداخلية تتقلص شيئا فشيئا والحمد لله ، ذلك أن هذه الاقطاعية التي هي من رواسب العهد التركي ليست عميقة الجذور ولا متسعة النطاق •

وحدثت في مصر أيضا ثورات متتابعة ، يتنازعها المد طورا والجزر تارة ، وتشتد حينا وتلين أخرى فهب الشعب المصري مطالبا بحقه في الحياة والعدالة الاجتماعية على مبادىء الدمقراطية والتعاونية والاشتراكية ، وهي مبادىء تلبس في كل نظام حكومي حللا متباينة متناقضة،بينها ماهو أصيل وبينها ما هو دخيل ، وهي لها في الشرق معنى ، وفي الغرب معنى آخر • وبين المعنيين هوة عميقة ، وتفاسير متنوائة تذهب بالاهداف والغايات الصحيحة •

هكذا رأيت الشعب على نشاط بدائي كثير وعلى وعي وفير يتطلع الى الامام غير وجل وقد ادرك الآن أن له وطنا وعليه مسؤولية رعاية هذا الوطن بساعده وقدمه وعقله وضميره حرا من تقاليد رزح تحت أثقالها زمانا جعله عبدا لمطامع زعمائه وعبدا لمطامع أجنبية •

رأيته في مصر وسورية ولبنان واعيا لا نائما متناسيا حقه على الحياة وواجبه نحو بلاده التي أصبحت حرة وهو يدرك تماما أن عليه العمل فردا وجماعة لرفع مستواه المعيشي ولرفع مستوى وطنه في الميدان الدولي •

ورأيت الشباب عليما أو طالب علم يحمل في نفسه هوى وطنيا لم يع مثله قبل هذا الزمان ولابدع أن تنفجر القوى النائمة في أعماق النفوس ،

وتبرز المواهب وتنصقل العقول وتتشدد العزائم لتبني بناء علميا جديدا وطنا عريقا مجيد الصفحات ، رائع الآثار والحضارات ، في كل شبر من أرضه تاريخ متألق النور ، وفي كل حجر من حجاره قارورة عطور ٠٠وفي كل سهل من سهوله قيثارة شحرور ، ومزمار عصفور ، وهتاف يعانق العصور ، وملعب صقور وكناس ظباء وبدور وفي كل بادية من بواديه رمال تحلم بالعطاء ، فترفع سرابها صلاة الى امساء • وركعة شمم واباء • وفي كل رابية تتأرّج انفاس الحب والاشواق ، وينتفض للحرية والكرامة لواء خفاق ، وللخير والانسانية زند عملاق ، واذا الروابي اغرودة انطلاق واشراق •

وهاناذا الآن أجمع أملي مع تلك الآمال التي يرعاها ركب الشعوب العربية متجها بمضمون هذا الكتاب الى اخواني المغتربين الذين اعذر لهم حيرتهم كما عذرت لنفسي حيرتها بعدما رحلت الى الوطن جائلا في دوائره ومصانعه ومتاحفه ومكاتبه فأبصرت ووعيت لوطني روحاجديدة ناهضة كانت الدعايات الاجنبية ولا تزال تتعامى عنها وتصد اخبارها عن مسامعنا في مغرباتنا •

ايها الاخوان المغتربون خذوها مني كلمة صادقة وجدانية تعرفكم بعد اليوم بوطن آبائكم كما هو حالا يتوكأ على علم أبنائه واخلاصهم ووطنيتهم وشغفهم باستعلاء وطنهم في جميع حلبات العمران •

خاتمة المطاف

قدر الله تعالى لواضع هذا الكتاب أن يجتمع بوطنه الاول بعد نصف قرن وثلاث سنوات قضاها مغتربا بجسده ولكن روحه ما برحت تجنّد قلبه وقلمه لخدمة بلده وامته •

وما كنت قبل ذلك التقدير من رب القضاء غير حائر في أمر غربتي وما راودها من الرغبة في العودة ولو ببضعة أشهر أكحل خلالها العين برؤية التغييرات العصرية من عين ومن معنى مما تدافعت فيه عجلات التقدم النفسي والعمران البلدي •

ولقد حرت زمنا في أمر الغربة والرغبة اللتين ذكرتهما الا اننا نحن المخاليق قلما نفطن الى أننا كثيرا ما ندعوا انطلاق أقدامنا ليس الا من جراء ارادتنا في حين أن الحياة تسيّر خطواتنا من حيث ندري ولاندري• هكذا رأيتنى مدفوعا للانطلاق من الغربة الى العودة وكان ذلك من نعم الحياة وتقديرها •

وعلى أثر تلك الرحلة أحسست بالهام من لدن الحياة بأن اختمها

بكتاب ينوب عني خاصة لدى اخواني المغتربين الذين لا بد من انهم يرغبون في استطلاع ما أحدثته رحلتي من الانطباعات •

لهذا أقدمت على وضع هذا الكتاب ليشترك معي كل من يقرأه في انطباعاتي فأنا منهم مغترب طاف في أنحاء الوطن الاول وشاهد ما شاهده باشراف الضمير الحر ناهجا به نهج مغترب لا يأمل من ذلك الوطن الا أن يستمر على رقيه بعد أن أصبح قياده من نفسه •

وأنا حيال هذا كله راغب الى القارىء في أن لا يكتفي بالصورة التي عنها ارتسمت انطباعاتي فلقد زرت الوطن وهو لا يزال في مطلع الطفولة الدولية فاستقلاله لم يكن الا منذ سنوات قليلة الا اني رأيته يحبو على قدميه بصحة مأمولة وبوعي منشود متطلعا الى الامام ثابت الاقدام وآملا ببلوغ الشباب عندما يصير تام الاهاب مقدما على تحقيق أعلى الرغبات •

الروح الوطنية في وطننا الاول راغبة واذا كان الوطن لا يزال في بدء سيره على قدميه فلقد رأيته ينشط لركوب السلاهب في طرق عصرية تبلغه من غير شك أبعد المراتب مهما تتزايد أمامه المشاق والمصاعب •

هذا كتابي قد أملاه عليّ ضميري أمامي ، أقدمه خاصة للملأ المغترب ـ هذا الملأ الذي حار مثلي حيال مختلف الدعايات الاجنبية التي تجعل الابيض أسود والاسود ابيض حتى تغيب الحقيقة عن أبصارنا • ولي الآن ان استنهض اخواني المغتربين للتنكب عن تلك الدعايات الخبيثة فلا يقيمون لها أي معنى فهي لغايات الذين كرهوا لوطن آبائنا ـ وطننا الاول ، استقلاله وحرية أهله الا ان انطباعاتي هذه لا بد من أن تنتقل من نفسي الى نفوس اخواني ليروا بعدئذ ان الامة العربية جمعاء قد استيقظت من طويل سباتها وهي عامدة الى جمع شتاتها ثم الى رفعة شأنها وتفجير حياتها الذاخرة بالذكاء ومضاء العزيمة

لترقى المراقي العليا ولتختط لنفسها الطرق المؤدية الى السلام باقدام وتعاون وخير نظام بقيادة الزعماء الاباة الاوفياء والرجالات المخلصين الاصفياء الى مرامي الحياة الداعية امتنا الى العمل بما وفرته في نفوس قادتنا من الاخلاص والوفاء بعهد الامة وبما في الامة نفسها من وفر الذكاء ورعي العهود وحفظ الذمام •

وأقول في الختام : هذه انطباعاتي لم تطبعها على صفحات نفسي أية الغايات النفسية ــ خذوها عني وادرسوها واذكروا معي أن الامل وطيد بارتقاء امة يعرب في جميع طرق الاجتماع والعمران فقد حررتها الحياة لتحرر من تاريخ العصر الدولي خير الصفحات وتعيد الماضي السعيد ، وما عليه من نفسها كل مزيد ، يجعلها محترمة من قريب وبعيد ، ومرموقة بعيون الاعجاب والتأييد •



